

دار الشروق

الأعمال الشعرية

مجلد عفيفي في مصر

أخترت لانا الموقنتا
المتوكلت



أَخْفَاكَ الْمَوْفِقُ
الْمُنْتَوِحَشْتِ

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد العظم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيويه المصري - رابعة العنوية - مدينة نصر
ص.ب : ٢٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت . ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)



محجل عفيفي مظهر

أخفلا المومنين
المتوحشين

دار الشروق

والنهر يلبس الأقنعة

سهرة الأشباح
«محاكمات وانتظارات»

١٩٧٠/٧/١٨

تخرج من دفاتر الأعمال والأقوال
أشباحها المرصودة
ترفع لي رءوسها المجوفة
أمارس الدفاع والموت، تمارس الأشياء
طقوسها الليلية المكثفة:
كلُّ جدار معبر، كلُّ زايا الأرضة
أقدام شرطي يسير سيرة المنتظما
دخيتي تصبح في أصابعي المرتجفة
جرحا ومُدَيَّة وقلمًا ونارها دما
دخانها يصبح خيمة معقودة
يصطف فيها البشر المدججون بالعيون . .

وقفتُ بين النُّطع والسيافُ
مُسْتَجْمَعًا مملكتي الخفِيَّةُ
وارتعشتُ في جسدي مواسمُ القطافِ
وانفجرتُ خليةً خليةً
تَحَجَّرَتْ وارْتَعَدَتْ مفاصلي من خوفٍ أن أخافُ . .

أرى عيون الشرطة السرية
تلمعُ من وجه إلى وجه ،
ونسكب الوجوه في الشوارع الخلفية
كلُّ قفا وراءه عينان تخرقان ظلمة النخاع ،
تسألان عن هواجس الهوية
وإرثنا المكتوم بين الشقة الخرساء والشفاف
وعن حوارنا الضائع بين البحر والصفاف
وعن توقُّع الزواج بين اللحم المسنون والشرارة الكونية
أرى عيون الشرطة السرية
أصبحُ شرطياً أكابدُ القمعَ لما يَنْبُتُ في الأعماقُ
من صرخات الشعر والقصائد المشوية
ومن طقوس الدمع والعناق
ورقصة التداخُلِ الحميم بين جسدي
وجسد البكارة الليلية .

كان دفءُ المخدع الرطب رباطًا حول قلبي
كلما فكرتُ في السير المنوم
شدني خوفُ هبوبِ العاصفة
كلما فكرتُ في الأرض التي أسكتها الليلُ الطويلُ
وانقسامي كلما أبصرتُ في الأعين تاريخَ الجراحِ الرَّاعفةِ
شدني وجهك يا طفلة رُوحِي الواجفة
شدني - في فمك الضاحك - طعمُ الأرغفة ..

حوائطُ الحواجز الوهمية
تَحْجُبُ إيقاعَ الصدى الذي يجيءُ
من صرخةِ القتلى وقعقاتِ العُدَّةِ الحربيةِ
وشهقةِ البيوتِ حينما تُخلَعُ من جذورها،
وَألمِ المغاورِ السفليةِ
حين يجيئها المخاضُ كلَّ ليلةٍ . .
نَظْلٌ في الدائرةِ الشرعيةِ .
(أفتح الآن زجاجَ النافذةِ
عَلَّني البسُّ من لحمِ الظلامِ
جسداً يسترُ منفايَ المقامِ
بين جذرِ الأرضِ والزهرةِ في قرعِ العَمَامِ .

أفتح الآن زجاجَ النافذةِ

عَلَّنِي أَسْمِعْ مِيرَاثَ الْحَقُولِ
وَتَوَاشِيحَ الدُّخُولِ
وَمِرَاسِيْمَ انْفِتَاحِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ . . .
وَأَسْرَارَ الْفِطَامِ .

أَفْتَحْ الْآنَ زَجَاجَ النَّافِذَةِ
عَلَّنِي أَطْلُقْ عَصْفُورَ الْهَوَاجِسِ
عَلَّنِي أَتْرِكْ وَجْهِي صَرْخَةً فِي
عَذَابَاتِ النَّخْلِ أَوْ وَشْمًا عَلَى حَائِطِ مَبْكِى
أَوْ دَمًا مُشْتَعَلًا فَوْقَ وَسَادَةٍ
أَوْ سِيَاجًا مُشْرِعًا مِنْ زَهْرَاتِ الشُّوكِ
فِي وَجْهِ الرِّيحِ الْمُسْتَعَادَةِ

حِصَارُنَا يَبْدَأُ لَوْ تَفْتَحَتْ نَافِذَةُ لَيْلِيَةِ
تَحْتَ خَطِّ الْبَرْقِ . . . فَتَدْخُلُ الْأَشْبَاحُ :

أربعة أشباح في صوت واحد:
«أتينا من سماء السحر والتعزيم والتزويل»
نُبشِّرُ بالحقيقة في زمان القحط والتضليل
نُبشِّرُ في زمان الحق بالتهديم والتعطيل
ونرفع في المحافل شارة وعلامة
لقُـدوم «ظلمائيل».

ظلمائيل.. صورةٌ وصفيّة:
لظلمائيل عِينان
مُرْمَدَتَانِ بِالشَّمْسِ الْقَدِيمَةِ وَالسَّيِّمِ الْأَوَّلِ
الْمَحْمُولِ فِي نَقَالَةِ الْخَلْقِ
مُفْتَحَتَانِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي لَمْ تَخْتَمَرْ طَمِيًّا
وَلَمْ تَخْضَرْ صَحْرَاءَ
وَتَائِهَتَانِ تَحْتَ مَجَرَّةِ الْفَوْضَى
وَمُعْتَمَتَانِ تَرْكُضُ فِيهِمَا نَارُ الدُّهُورِ

وتمطرُ السحبُ القديمةُ ظلمةً ورؤى وأضواءَ
له شفتان من شجر اللغات ومن جذور الشعر والصمتِ
له قلبٌ تفجرُهُ خيولُ الحبِّ والمقتِ
فَيَنْفُضُ في ترائبه دماً مُسْتَقْطِراً من
غيمة التعزيم والكيمياء
به ماء العناصر ، فيه سرُّ المزجِ والخلطِ
وفيه المعجمُ الأبديُّ للأسماء .
له نعلان من طين الشرائع والوصايا المطفآت ،
وشعرُهُ الأسودُ
كُرُومٌ غَلَّغَتْ أَصْلَابَهَا في رأسه المعطاءُ
لتشربَ من عطاياهُ
وتحملَ من عناقيد التدكُّرِ كلَّ ما سيُجيءُ من أحياءُ
وفي رِثْيَتِهِ روحُ الماءِ
وأشجار التناسلِ والدمُ الدوّارُ في دوامة الأبناء .

شبح:

كان يمشي مسرعاً، كان يطيرُ
خالعاً وجهها نباتياً، ومملوء الخلايا
بتواريخ اللقاح
عابراً خَضْخَضَةَ الموج . . له ألف ذراع
تقطفُ الجنسَ المشاع
في كهوف الليلِ والفُسْفُورِ، يعلو ويَطِيرُ
في انفجارِ البيض عن أفراخه،
يدخلُ في عرسِ القبيلة
شَبَقاً أو لغة بكرة ورؤيا مسنحيلة
تصبح الأرضُ له أمّاً وزوجاً، ويُشيرُ
شارة الدهشة . . تمتد الفروع
يرقصُ الآن أمامي

خالعاً وجه البدايات القديمة
صارخاً كي تصبح الأرض له أمّا
وزوجاً
وقبيلة ..

شبح:
دَقَّ في الليل زجاج النافذة
وتدلى رأسه من قفلها . . ثم تجسّد
قال : «فلتلقِ على كَفِّي ما تحملُ من إرثِ الشكاوى
فأنا أصعدُ من جوعك للخبز الخرافي
وللشمس التي تطلعُ من
آنية الحبر العتيق
وأنا أصعدُ من ليل السجون
وانتظاريك للخيل وفرسان المطر»

وأنا أصعدُ من صَهْدِ السَّفَرِ
وبكاءِ الريحِ في بابِ الموانِي الموصدةِ . . .
مدَّ كَفِّيهِ إلى جُمُيزةِ الحزنِ القديمِ
في دمي ، هَزَّ الفروعَ
فارتمتْ منها ورِيقاتُ الدموعِ
وانتظرتُ الفرحَ الطالعَ من نسغِ الأغاني المعتمةِ
قال : « هَبْنِي صوتَكَ الدافئِ كي أنعسَ فيه
وأرخني من شقاقِ الكلماتِ
كلُّ آتٍ سيجي . . . »

كانت القافيةُ الصعبةُ والليلُ البطيءُ
مقوِّداً حولِ عظامِ القدمينِ
وأنا أحملُ في ثلجِ اليدينِ
تاحةً حتى ينامَ

رُمَحَهُ حَتَّى يَنَامَ
وَانْتَظَرَ الشَّمْسِ مِنْ عَامٍ لِعَامٍ.

شَبَّحَ:

كَانَتْ اللَّيْلَةُ سُورًا، وَالْمَدِينَةُ
حَائِطًا يَنْتَظِرُ الْبَاكِينَ فِي جَوْفِ الشَّقَوقِ
وَسَرَاجًا مَعْتَمَ الضَّوءِ يَغْطِي الْكَائِنَاتُ
بِاسْتِدَارَاتِ السُّطُوحِ الْفَارِغَةِ
وَمَرَاسِيمِ الثَّبَاتِ.
وَأَنَا أَغْلِي انْقِسَامًا فَوْقَ أَسْفَارِ الدَّمِ الْحَيِّ
وَأَسْفَارِ الْمَمَاتِ.
أَقْبَلَ الْمَوْتَ الَّذِي كَانَ صَدِيقِي
فِي رُؤْيِ الرُّعْبِ الْقَدِيمِ
وَانْتَظَرَ الزَّمْنَ الطَّالِعَ كَالزَّهْرَةِ مِنْ فَوْضَى السَّدِيمِ

أقبل الموتُ بوجهه وقناعُ
ضممني وهو يغني بالوداع
لزمان اليأس بالأندلس :
(جأذك الرعبُ إذا البرقُ رمى
رُمحه بين الضحى والغلسِ
فأحال الصمتَ ناراً ودماً .

آه ياليلاً زجاجيَّ العيونُ
أطفئ الآن عيونَ الحرسِ
علّني أهربُ في نعش الجنونِ
هَرَبَ الطينِ بجذرِ النرجسِ

أو أرى الشّعَرَ الخرافيَّ الظنونُ
جالَ في النفسِ مَجَالَ النَّفْسِ

سدّد السَّهْمَ فأصمى إذ رمى

طائر الخوف وعصر العَسَسِ
 وأحال البرقُ أطلالَ الحمى
 بثر نارٍ في هشيم اليّيسِ .
 وأنا أغلي وأغلي . . أتبخّرُ
 تصبح الظلمةُ أقدامي وعنفُ الريحِ في
 البحرِ خطايا
 آخذُ النارَ التي خبأها البرقُ بأوتادِ الخلايا .
 تصبح النارُ عطايا
 تحرثُ الأرضُ فتشُقُّ البكارةُ
 عن تواريحِ الزنا، تنقلبُ الأسطُحُ،
 يَهْوِي كلُّ ما قامَ،
 وفي قلبِ الحطامِ
 كنتُ مدفونًا أرى دائرةَ الأفقِ تضيقُ
 وغبارَ الهدمِ يصاعدُ، والشمسُ بقايا
 من دمٍ يُعقَدُ في بطنِ السديمِ . .

هذه الأرضُ الخلاءُ
بعد أن قاءتُ بنيتها أخرجتُ أحشائها
وانتظرتُ أغربةَ الليلِ : وباءَ فمِجاعةُ
واندحاراً تحت خيلِ الغزوِ أو خيلِ الحرَسِ
وانكساراً صامداً تحت لثامِ اللُّغوِ أو صمتِ الفجیعةِ

(هذه جوهرةُ الخضرةِ تغلي
نحت عينيَّ وتعلوها المياهُ
كلُّ شيءٍ زبدٌ يطفو ورعدٌ ودُخانُ
وسماءٌ تتخلَّقُ
وإطارُ الفلكِ الدائرِ يدنو ويضيقُ
وأنا - كائنُ أيامِ الحريقِ -
طينةٌ في بيضةِ الأرضِ وإيقاعٌ عميقُ

يَتَخَفَّى صَوْتُهُ فِي أَبْجَدِيَّاتِ الْحَرِيقِ .
فَاطْلُعِ الْآنَ . . فَفِي كُلِّ رَمَادٍ وَسَقُوطُ
أَسْمَعُ الطِّينَةَ تَغْلِي بِنَشِيشِ الْإِخْتِمَارِ
وَأَرَى كُلَّ تَوَارِيخِ الْقَنُوطِ
غَابَةً تَبْدَأُ مِنْهَا الصَّرَخَاتُ الْحَجَرِيَّةُ
وَأَسَاطِيرُ الْعَصُورِ الذَّهَبِيَّةُ
وَأَرَى شَيْخُوخَةَ الدَّهْرِ الْبَطِيءِ
بِرُعْمًا تَصْعَدُ مِنْهُ الشَّجَرَةُ .

(عَرَفَ الْأَسْمَاءَ مِنْ قَبْلِ الْمَسْمَى
عَرَفَ الْفَعْلَ عِبُورًا مِنْ نَقِيضٍ لِنَقِيضٍ
لِبَسِّ الصَّمْتِ الْبِدَائِي قَنَاعًا وَانْتَظَرَ
رَعْشَةَ الدَّهْشَةِ وَالصَّوْتِ الْحَوَارِيِّ الْخَفِيفِ .)
فَاشْرَبِ الْآنَ عَصِيرَ الثَّمَرَةِ
وَأَبْدَأِ الْعُرْيَ الْبَرِيءِ
طَاطَى الرَّاسِ . . فَقَدْ أَثْقَلَكَ التَّاجُ الْمَلِيءُ

ببقايا الشهب الأولى وأفلاكِ المطر
وتواريخ الروى المندثرة
وحوار القبضة البكر وإذميل الحجر
وتقدّم بالشعار الملتهب
تاركاً في صخرة الأرض الخلاء
من خطى الثورة والخلق علامة
للقِيامة . .

١٩٧٠/٧/١٨

وشم النهر على خرائط الجسد «الوشم الأول»

أوطن السرّ الذي يطلعُ مني
خُطوتي تاريخه
رأسي فضاء أنجمه
لحمي علامات النخوم
و.. أمدُّ الجسر حتى يقتلونني.

ظَلَّلْتَنِي مِنْ جَنَاحِهَا سَحَابَةٌ
وَصَلَّيْتَنِي بِالْدَّمِ الْهَارِبِ مِنْ شِقِّ لَشِقِّ،
وَضَعَّيْتَنِي فِي الرِّبَابَةِ
وَتَرَأْتُمُنِي الصَّوْتِ بِكَثْرِ الصَّرَخَاتِ
فَتَمُتُّ قَلْبِي فَأُطْلَقْتُ حَمَامَةً
لَبَسْتُ مِنْ زَعْبِ الصَّوْتِ تَوَارِيخَ الظُّلَمِ
وَتَوَاشِيحَ الْكَأَبِ
وَأَنَا أَنْتَظِرُ النَّاقَةَ مِنْ فَتْقِ السَّمَاءِ
عَلَّهَا تُلْقِي عَنْ الرَّحْلِ كِتَابَاتِ الْمَطَرِ
وَمِنَ الضَّرْعِ حِكَايَاتِ السَّيُولِ

(ما الذي تُخْتَمِرُ الْأَرْضُ بِهِ !!
مَا لِي أَرَاهَا

فَتَحَّتْ مِنْ ظَمَأِ الشَّهْوَةِ أَرْحَامَ النُّجُوعِ
وَمِيَادِينَ الْمَدِينَةِ
وَانْفَرَجَاتِ الشَّقِيقِ الْمُسْتَكِينَةِ
بَيْنَ طَمَئِ الْعَالَمِ الرَّخْوِ وَأَجْسَادِ الْبَشَرِ (١١)

طَائِرُ الصَّرَّخَةِ - إِذْ نَقَرَ مُنْدِيلَ السَّحَابَةِ -
شَفَّهُ الْبَرْقُ فَأَلْقَى دَمَهُ وَرَدَّأَ عَلَى كُلِّ رَدَاءٍ
أَحْرَقْتَنِي وَرَدَّةُ الْبَرْقِ وَعَرَّتَنِي أَمَامَ الْغُرَبَاءِ

(وَأَنَا قَزَاعَةُ الطَّيْرِ بِأَرْضِ الْفُقَرَاءِ
كُنْتُ فِي قَلْبِ الْعَرَاءِ
مُسْتَحِمًّا بِعِرَاكِ الطَّيْرِ فِي الرِّيحِ ،
وَمَحْشُوًّا بِأَوْرَاقِ التَّقَاوِيمِ وَأَسْلَابِ السُّفَرِ .)

كُنْتُ فِي الْأَرْضِ الْغَرِيبَةِ

أَحْرُثُ الْقَلْبَ لَا يَامُ الْعَنَاقِيدُ الْحُبَالَى
كُلُّ أَحْلَامِي كَرُومٌ، طُرُقِي قَنِينَةُ السُّكْرِ الْخُرَافِي،
وَفِي بَحْرِ الْجَسَدِ
سَمَكُ الْقُرْشِ وَصَوْتُ السَّفْنِ الْمَشْتَعِلَةِ
وَإِغْتِلَامُ اللَّيْلِ وَالرَّيْحِ وَقِرْصَانُ الْخَوَارِ الْمُنْقَرِدِ
وَالْتَّشَهِّي لِلرَّدى الرَّاقِصِ فِي بَرْقِ الْمَرَايَا
مِنْ شَطَايَا الْكَأْسِ إِذْ يَسْقُطُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْكَائِنَاتِ
قُلْتُ: فَلَا بُدَّ أَرْمَانِي

(جِئْتُ مُحْمُولاً عَلَى نَقَّالَةِ الرَّعْدَةِ وَالْخُوفِ
وَفِي فَوْضَى الْجَسَدِ

كَانَ خَبِزُ النَّفْيِ يَغْلِي،

كَانَتْ الصَّرِخَةُ رِجْلِي وَمَكَانِي .)

فَتَمَشَّيْتُ عَلَى النِّهْرِ . . .

أَرَى فَوْقَ مَرَايَا سَطْحِهِ الرَّأَكِدِ وَجْهِي

رَغْوَةٌ مِنْ عُسْبِ الشَّطِّ، خَلِيطًا مِنْ خِيوطِ الشَّجَرِ
الذَّابِلِ وَالْمَوْتَى وَأَطْلَالِ الْبُيُوتِ
وخطوطًا مِنْ مَلَائِينَ الْوُجُوهِ السَّاعِبَةِ .
(وَأَنَا قَزَاعَةُ الطَّيْرِ بِأَرْضِ الْفُقَرَاءِ
كُنْتُ فِي قَلْبِ الْعُرَاءِ
وَاقِفًا، يَسْتَأْلِفُ الطَّيْرُ ذِرَاعِي - الْحَشَبَةُ
وَكُرَاتِ الْقَشْرِ فِي رَأْسِي الْغَرِيبِ الْمُسْتَبَاحِ .)

وَأَرَى فِي الشَّاطِئِ الثَّانِي جُنُودَ الْمَلِكِ الْقَاسِي
يَدُقُّونَ الرَّمَاخَ
بَيْنَنَا نَهْرٌ مِنَ الْمَاءِ وَنَهْرٌ مِنْ مَسَاحَاتِ الْوُجُوهِ
بَيْنَنَا أَرْضٌ أُمُومَةٌ
وَفِطَامٌ، بَيْنَنَا أَرْضُ الْأَذْلَاءِ الْمَهَانِينَ،
وَأَيَّامُ الْعُرُوشِ
وَمَمَالِكُ الدِّمِ الْوَاحِدِ، وَالْخَبْزُ النِّحَاسِيُّ،

وتاريخُ السَّجُونُ .
وأنا - آه من الكُرْه - أمدُّ الجسرَ حتى يقتلونني
أجعلُ النهرَ دماً يلفُظُ أسماكَ الجرائمِ
أرفعُ القُمَّلَ والسَّوسَ غمائمَ
وأولِّي وأهاجمُ
وأمدُّ الجسرَ حتى يقتلونني
علَّني أغسلُ وجهي ،
علَّني أبدأ في نهر دمي عُنْفَ السَّباحةِ

(وأنا فزاعة الطير بقمح الفقراء
أغرس القامة في طين المجاعة
قدمي ساخت . . فَيَلْتَفُّ بها الطحلُبُ
والعشبُ ،

وفي جُمُجُمَني عَشَّشَتِ الغربانُ ،
في مملكة القشِّ وأوراقِ التَّقَاوِمِ - الجسدُ

وطنٌ تسكنهُ الريحُ وأطيّارُ العراء
وأنا فزّاعة الطير بأرض الفقراء . .)
علّني آخذُ رأسي بعد أن يَضْرِبَهُ السيفُ وأمضي
خارجاً من ملكوت الخوف ، من أرض ممالكِ
الدمِ الواحدِ أطوي في خلاياهُ بساطَ الأرضِ ،
أبني وأقيمُ
وطناً ، أنشرُ من كثرِ النقوشِ الدموية
أطرُدُ العالمَ ، أمحو زمنَ الصوتِ ، وأمحو
طينةَ الموتِ وشوكَ الأبجديةِ
أنشئُ القلعةَ بين الشفتينِ
أشحذُ الرمحَ على تقطيةِ الجبهةِ ، أرمي ظليّةَ
الشهوةِ والذكرِ وأرمي بومةَ الرؤيةِ ،
أنشقُ على الرأسِ عدواً وصديقاً
أحفرُ الغابةَ في الشَّعرِ خباءً وطريقاً
أرسلُ الرأسَ إلى كلِّ الجهاتِ

طائرًا يرقصُ في بَوْتَقَةِ النارِ العميقة
قمرًا في نهرِ أعماقي ، وصَقْرًا في سمواتِ الجسدِ ،
مَطْلَعًا للشمسِ ، شَبَّاكًا علي بدءِ الخَلِيقَةِ
في انفتاحِ الأرضِ والماءِ وظلماءِ الجَمَدِ .

كنتُ وحدي . . أشربُ الظلمةَ والطلُّ وأغفو

في خلايا قامتي المنغرسَة

تاركًا وجهي ينحلُّ وأعضائي تدوبُ

في اختلاطِ الحلمِ

(في بوتقة الدهشة عند العتبة)

أدخل الباب . . أرى شهوة أيامي خيولاً

وأرى الأشياء في لون العيون الشرسة

وأرى - قبل ابتداء الأرض - غيماً مثقلاً

تحت سماءٍ مشمسة

وأرى الساحة منديل دمٍ مشتعل

يطفؤ ويطفؤ في كتابات الغرق

وانتظارِ السنة الكبرى لكي تبدأ في

رقصتها المزدوجة .)

وأنا أسمع صوت الغليان
 (في دمي أم في دم الأرض؟) وأمشي في الهواجس
 كل يوم بيضة تفقس في أعشاش أحزاني مدينة
 كل ظل عابر ينبت في وهمي كوى للحس والرؤيا،
 وأصواتي السجينة
 وردة دامية تفتضها شمس المخاضات الدفينة
 وأنا أسمع في الظلمة صوت العابرين
 فأرى عورة أحزاني تعرت
 أنحني، أسقط، أرمي للفضا الأسود غربان الأغاني
 وعصافير البكاء...

كان سرب الطير يساقط في فسقية العالم
 صيفاً وشتاءً

كان يقات خبايا الحركة
 في جذور الأرض ما بين خريف وربيع

كان إرثُ الفقراءُ
نحاتِّمًا ، كان زَفافُ الملكةُ
نَفْحَةُ البوقِ ليمتدَّ سماءُ الأرضِ بين الأمراءِ
بعناقيدِ الشَّواءِ
وطقوسِ الصمتِ والرقصِ وأيامِ الحِدادِ .

سُرَّةُ الْأَرْضِ قِصَاعٌ مُلِّتٌ مِنْ دَمِنَا حَتَّى الْحَوَافِ
وَعَلَى بُؤْسِ الضُّفَافِ
كَانَتِ الْوَحْشَةُ شَمْسًا فِي سَمَاءِ الْمَدَنِ الصُّغْرَى،
وَكَانَتْ أَعْيُنُ الْأَجْلَافِ لَيْلًا دَامِسًا،
وَالْمَوْتُ مِيعَادَ غِرَاسٍ وَقَطَافِ
وَأَنَا أَهْوِي إِلَى النَّهْرِ الَّذِي يَحْفَرُ مَجْرَاهُ الْخِرَافِيَّ بِلَحْمِي
فَاتِحًا نَبْعًا مَصْبًا
غَارِسًا نَخْلًا وَزَيْتُونًا وَقَضْبًا
طَارِحًا فِي مَوْسِمِ الزَّهْرِ عَلَى طَمِي الشَّغَافِ
شَوْكَةَ الدَّهْشَةِ وَالصَّمْتِ الْمَفَاجِئِ
وَتَوَيْجَاتٍ مِنَ الْهَجْرَةِ فِي اللَّوْنِ وَخَبْرًا مِنْ
لِقَاحِ الشَّعْرِ وَالْبَحْرِ وَأَعْشَابِ الْمَرَافِئِ

يحفرُ النهرُ بلحمي وطنَ السرِّ
 ويخضرُ نخيلُ الإغترابِ
 (وطنُ السرِّ الذي يطلع مني
 خطوطي تاريخه، رأسي قضا الجُمه،
 لحمي علاماتُ التخوم
 وطيورُ البرِّ إذ تاكلُ لحمي وتطيرُ
 جعلتُ لحمي تاجاً، جعلتني ملكاً تمتدُّ
 من تحتي حدودُ المملكة
 أدخلتني زمنَ النهرِ المسافرِ
 أرجعتني بعد أن هاجرتُ من مملكتي
 قطرة ماءٍ ودمٍ، كان السريرُ
 مرقاً الليلِ وسورَ المملكة . .)
 وأنا - تحت نخيل الإغترابِ
 أخذُ الطينَ، أسويه بكفي خيولاً،

وأسْرِي ملكة
 فأراها انتفضت تسعى . . على جبهتها
 من دمِ الفكرةِ شمسٌ ومجاعةٌ
 وبعينها من الشهوةِ أطيّارُ دمٍ مشتبكةٌ
 واستغاثتُ القرونَ الهالكة .
 كنتُ في زحمةِ أعضائي وفي دهشتي المرتبكةُ
 أتملّى وجهها، أشهقُ:
 هيا . . كثريني وأنشُريني
 عدّد الذرّ ورملِ الصحراءُ
 كسّريني كرغيفِ الفقراءُ
 واحفري النهرَ على صدري وشمّاءِ دمويّاتٍ
 واجعليه - بين أبنائي وبينني - لقبَ الإسمِ
 وإرثَ البركةِ
 ومراسيمَ التعارفِ

جَسْدِي سَمَكًا فِي نَهْرِ أَعْمَاقِي وَصَوْتًا فِي شَفَاهِ

الْآخَرِينَ

وَاجْعَلِي مِنْ طَيِّبَتِي أُنِيَّةَ الْغُسْلِ وَحِنَاءَ الزَّفَافِ

وَأَثْرِي تَحْتَ أَعْتَابِ الْبُيُوتِ الصَّامِتَةِ

رُقِيَّةً دَامِيَّةً

وَأَتُنْظِرِي . .

١٩٧١/٦/٦

مَهْرَةُ الْخُلَم

مهرةُ الحلم كانت تُحَمِّمُ تحت سماءِ البراري
 ومن فوق صهوتها أتوحدُ بالسَّرجِ :
 ساقاي هُدَايَةُ الصُّوفِ ، لينُ الأصابعِ
 خيْطُ الحريرِ المَحِيرُ في غنماتِ الفتوحِ القديمةِ
 أنا فوق صهوتها راجعٌ من جراحي البعيدةِ ،
 والجرحُ نافذةٌ ودمي قمرٌ يتوقَّدُ في شجرةِ الأفقِ ،
 كنتُ على سَرَجِهَا مَيِّتًا . . أتوحدُ بالسرجِ شيئًا فشيئًا ،
 دمي فوق غُرَّتِهَا وردةٌ في مكاحلِها جَرَسٌ يتأرجحُ ما بينَ
 صوتي الذي غَزَلَتْهُ الرِّيحُ بأصْبُعِهَا خَاتَمًا ثم
 وُكِّتَ به في البراري البعيدةِ
 وبين صدى صرختي وهي تطلع في آخر الأرض
 جُمُيْزَةٌ للعصافيرِ .

وجنهي - فتوق من الطمي ينهمر الليل فيها
وتهوي السموات . .

أحتفن الماء أملأ ينبوع جوعي دنانير من
ذهب الوحشة المتساقط أشري بها
كفنا وبلاداً أكون لها ملكاً
وأنا أتوحد بالسرّج شيئاً فشيئاً،
دمي خطوة نحو مملكتي . .

مهرة الحلم ترعى وتختضم العشب،
والعشب رائحة من قميص الحبيبة . .
أنظر حولي :

أرى في تراب المواقيد ليلاً من الرحمة السابغة
وانظر نقش الكلاكل في الرمل . . هل
كان عرساً هوادجه رحلت أم هو
الشعر بيني لعيني مملكة ثم يهدمها ؟

مهرةُ الحلم تخطو بطيئًا بطيئًا
 ويمتدُّ ليلُ البراري
 أنا فوق صهوتها ميّتٌ أتوحدُ بالسرج ،
 تحملني للبلاد التي انتظرت ألفَ عامٍ . .
 وكلُّ اقترابٍ مسافةٌ هجرةٌ
 وكلُّ رحيلٍ إليها اغترابٌ وكلُّ مشارفها تنوغلُ في
 جسدِ الليلِ
 تحملني مهرةُ الحلم تخطو بطيئًا بطيئًا . .
 وأنظرُ وشمَ القرى في ذراع البراري وقد
 رَحَلَ العشبُ ، أقوتُ مرابطها ،
 كتبتُ تحت ليل البراري بأظلافٍ قطعانها
 - وهي ترحلُ - مرثيةً لقدورِ الطعامِ وماءِ
 السواقي وخبزِ الأمومةِ

تحملني مهرةُ الحلم . . تحملُ وردةَ جرحي وأجراسَ
لحمي المفتت . . أهلي بعيدون . .
وهي ترى طرقاً للزيارة ،
تحملني لسريرِ التذكرِ والنومِ في قريةِ الأهلِ . .
أهلي بعيدون ،
تحملني مهرةُ الحلم تحت سماء البراري وترعى
وتختضمُ العشبَ والعشبُ رائحةً في قميص الحبيبة . .

١٩٧٣/٩/٣٠

وشم النهر على خرائط الجسد «الوشم الثانى»

لمعْرِى الحَيُّ عن جيفته وغيْلانُ يفتحُ
الساحةَ بدمه المتكلِّم والجموعُ لا تسمعُ
ولا ترى مراسيمَ قتلِ الملكِ.

بين عيني دمي ، فوق جبيني
 موعدٌ بيني وبين الساحة المملئة
 يبطون الأمهات
 ومحارِث العيون المطفأة
 (أنتَ في هوة أعماقي غابة
 طلعتُ ناراً من الصخر ، ينابيع قراش مشتعل
 ونوافير طحالب
 دوّمتُ تحت انفراط الطيف بدءاً
 من تواقيع النهاية . .)
 وأنا كنتُ بأخلاق المشيمة
 هارباً نحو جذور الشمس في لحم الظلام .

كانت الساحة ملأى بالعظام
ربما يأتي البدائيون من ليل الفروع
يحملون العالم الطالع من هممة الخوف
وأعراس القبيلة
(آه يا مختبئاً في قشرة العالم
يا منكشفاً بين الضلوع)
يقلبون القمر الصامت أنثى ، والسحابة
مهرة تصهل في الأفق فتشقق المدائن
(أنت تأتي . . شبحاً يلبس من ماء المرايا
جسداً ، تخطو إلى الساحة ما بين الشهود
كلما نقلت أقدامك . . قرأت في الزوايا
صورة العالم ، وانشق القناع
فتعري الحي عن جيفته واخترقت ليل العيون
صرخة الموتى على الموتى . . وما كان يذوب
بين عيني أراه يتجسد

وهو يمضي هاربا في جسد الليل العظيم . .)
وأنا أبصر ظلي ساقطاً بين العيون
يفتح الساحة كالشفرة ، يَنْصَبُ بأعتاب البيوت
وأنا أرقص فوق الخشبة
رقصة الذاكرة الحبلى بعرس الماء والنار
وأيام الحوار
(حين كان الموت يأتي كل عام
في خطى قابلة القرية يرمي كعكة المرء
واكليل الفطام
كنت في موعد ميلادك تبكي وتغني .
عافر القرية تُعطي بيتك الخائف سبعا من
كُرات الخبز . .
في كل رغيف / طبقات الأرض
كي يمنحها قطعة ثوبٍ وجديلة
يبدأ الحمل الطقوسي المخيف

بعبير الجسد الظامي إذ تدخل من طوق القميص
ساقطاً فوق الزوايا والتتوءات إلى الأرض
فيلقاك فراغ القدمين

سبع مرات . . وفي كل عبور
كرة الأفق ارتمت بين يديك
يومها كان الردى يرتد عنك
تاركاً زهرته الخضراء وشماً بارزاً في ساعديك .
وأغني بأكاليل الدم النازف : آه
من ترى يعذرني ممن رأوني جائعاً
واكتنزوا / طُرف العالم ، أنساب الإمامة
فانظروا يا فقراء الأرض . .
هذا دمكم

في سروج الخيل أجراس وفي شال العمامة
مدن يمسحها النقش رسومًا شجرية
وانظروا يا فقراء الأرض . .

هذا الحكم

حينما يُنْضِجُ الرعبُ الخرافِيَّ يَجِيءُ الأمويُّونَ
ويأتي الفقهاءُ

في لغات العصر . . تمتدُّ المسافةُ

بين كفي ولساني ،

نطفةُ العالمِ تُنْصَبُ سيوفًا ، والمسافةُ

بين رأسي وفروع الشمسِ تمتدُّ حبالاً

كرةُ الأفقِ تضيقُ

وتلفُ الريحُ أنشوطتها ، تنسجُ حول الرقبةِ

عُقْدَةُ الصرخةِ .

ظلي كان في الساحة يبكي ويغني للقيامة :

انظروا . . في جسدي فرحةُ ينبوعٍ مفاجئ .

(كان جرحي غربةً مكتوبةً فوق جبيني

يومها . . حطَّ على صدري صقرٌ معدنيٌّ من

لغات الأرض من أجناسها

يَنْقُرُ الْقَلْبَ . . تَعَرَّفْتُ بِعَيْنِيهِ عَلَى مَوْتِي الصَّدِيقِ
حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى صَمْتِ الْمَلَائِكِينَ الْمَدَانَةِ
يَوْمَهَا . . كَانَ كِتَابُ الذَّاكِرَةِ
بِرَعْمِ النَّارِ رَمَادَ الْخَطْبَةِ
قَطَعُوا رَأْسِي . . فَأَبْصَرْتُ بِهِ يَهْرَبُ مَخْبُوءًا
بِأَسْرَارِ الْكَهَانَةِ
فَابْحَثِي عَنْ جَسَدِي الضَّائِعِ فِي أَزْمَنَةِ الْهَدْمِ ،
خُذْنِي لَكَ طِفْلاً يَقْطَعُ الْغُرْبَةَ شِعْرًا وَبِكَاءَ
عَلَمِي رَقْصَةَ الْمَوْتِ الرَّشِيقِ
وَاخْذِينِي لَكَ زَوْجًا وَإِمَامًا . .)
انْظُرُوا . . فِي جَسَدِي فَرَحَةٌ يَنْبُوعٌ مَفَاجِيءُ
انْظُرُوا . . فِي جَسَدِي تَخْتَبِئُ الْأَرْضُ وَتَصْحُو
كَلِمَا طَوَّحَنِي الْعَالَمُ فِي دَائِرَةِ الْمَوْتِ الرَّشِيقِ .

(أَنْتَ فِي هُوَّةِ أَعْمَاقِي غَابَةٌ)

طلعتُ نارا من الصخر ، ينابيع فراشٍ مشتعل
ونوافير طحالب
دَوَّمتُ تحت انفراط الطيف . .
ثم انتظرتُ
جسداً يمنحها مملكة الأفق العميق . .)

١٧١/٩/٢٠

أكتب نافذة على مملكة الموت الآخر

هو الماء:

جرحُ الينابيع ، بوابةٌ تترجّلُ منها
فلولُ الغمامِ إلى ساحةِ النهرِ ،
والماءُ مخطوطةٌ تترجّلُ منها وجوهُ القبيلةِ
نسلاً فنسلاً ، وعينايَ في شاطئهِ الواسعينِ
صوتُ المحارِثِ ، صوتي انفتاحُ القشورِ عن
الحبِّ ،
صوتي انفلاقُ النوى وامتلأُ العناقيدُ .

والماءُ نافذةُ الحلم :

هذا هو الماءُ يطلع من عطشِ الحلمِ مملكةً
للفضاءِ المقبَّبِ .
ينتظمُ الشمسُ في غليانِ الخليفةِ والقمرُ
المتارجحَ

(في جسدي مَطْلَعُ الشَّمْسِ من جسدي يَتَقَوَّسُ

خَطُّ الْفَرَاغِ وَيَبْزُغُ وَجْهَ الْقَمَرِ .)

وَشَعْبٌ مِنَ الْمَاءِ يَمْزُجُ تَحْتَ رَمَالِ الْبَدْوَةِ

أَصْرَخَ فِيهِ لَعْلَ نَوَافِيرِهِ تَتَشَقَّقُ عَنْ غَابَةِ

الْفُقَرَاءِ وَأَرْجُو حَةَ الْعَنْفِ (يَمْلُؤُهَا

الْقَمْحُ تَلْمَعُ فِيهَا الْمَنَاجِلُ)

أَبْكِي لَهُ فِي غَوَاشِي الرُّؤْيِ ،

جَسَدِي يَتَوَهَّجُ بِالشَّمْسِ خَلْفَ نَوَافِذِهِ الْمَوْصَدَةِ

أَغْنِي وَأَكْتُبُ أَقْمَارَ عَشْبٍ مَجْنُوحَةٍ وَشَمُوسًا مَعْلُوقَةً

بِالشَّبَابِيكِ ، أَكْتُبُ إِكْلِيلَ فَاكْهَةٍ وَأَضْفَرُهُ فِي

زَوَاجِ الْمَوَاوِيلِ وَالْمَاءِ وَالطَّمِي ،

أَكْتُبُ فُجَرَ الْمَوَانِي وَقُبْرَةَ الْمَوْجِ وَالسَّفْنَ الْعَائِدَةِ

وَأَكْتُبُ شَالَ الصَّبَايَا الْمَلُونِ أَكْتُبُ أَجْسَادَهُنَّ

الْمَلِيئَةَ بِالرَّعْدَةِ الْمَوْقِدَةِ

وَأَكْتُبُ أَغْنِيَةَ الرِّيشِ وَالْقَشِّ أَكْتُبُ تَاجَ

العصافير للرحم الواعدة
وأكتبُ جوعي على واجهات المتاجر، أكتبُ في
الرياح الثقيلة بالغيم، أكتبُ في احتلام
التلاميذ وقت البلوغ، وأكتبُ في سروج الخيول
ووشم الرصاص على قبة الجامعة
وأكتبُ جوعي مظهرةً تستحم بدمع الشوارع تكبرُ
تحت الهراوات تدخل أروقه السرُ
تحلم بالثورة الغامضة
يحاصرني الليلُ . .

الْبَسُّ، أكتبُ الليلَ جنيةً تتمدد في
فرشة الأفق دافئة الفخذين وناضجة
الثمر المتفجر بالعشق، أرقد بين يديها
وأسكنها وطنًا أتكشفهُ
(وجْهك الخلو يا أول الحلم يا آخر الحلم تفاحةُ
نضجت وتقاسمها صدى السيف والرعبُ،

وجهك يا أول الحلم يا آخر الحلم خيمة .
وتحت الضفائر كانت خطى قمر الجرح تدنو ،
يفتق جلاببه الدموى وينسج من جرحه
عنكبوت الفضاء مناديل حمراء .
هذي هي الأرض تنشق طينتها والفضا مطر أحمر ،
وجهك الحلوى أول الحلم يا آخر الحلم مغتسل
والدما تتفجر أمطارها شجراً شجراً . .
وجهك الطفل غابة
تسيجها صرخة الموت

أكتب جوعي رغيفا ورمحاً وشمساً أخبئها
في قميصي وأدخل . .

هذا هو الشجر المعدني يمدُّ فروع
الشظايا مسننة ويمدُّ عناقيد القنفذية
ينتصب العشب كالشفرات الصديئة
(أدخل أم تدخل الغابة المعدنية في جسدي ١٩)

وأواجه وحشَ الكلام المدجج، وحشَ
السكوت الخرافي . . أبصر موتي المضيء
يلوحُ لي ضاحكا في مرايا العناقيد والعشب،
يقطف لي زهر خشخاشه ويقاسمني النوم والحلم
(هل أنت واقفة في الشبابيك تنتظرين بريدي الذي
لن يجيء ١٩٤٠)

١٩٧٣/١٢/٢٢

وشم النهر على خرائط
الجسد
«الوشم الثالث»

إلى غيلان الدمشقي
وهو يجدد شهادته على مفترق الطرق
بين النوم الألفي والثورة المغدورة
والموت المغموم

هي الشمس . .

هل كانت الأرضُ رمانةً تتخلَّق فيها أجنَّتُها الخضرُ،

هل كان ما في عروقي غمامة

تفتقها الريحُ، تجدلُّها موسماً يفتح في سرَّة الأرض،

تنسجها حمرةً تتكشف

تنسجها رَحماً ومشيمة؟!

هل الأرض رمانةٌ جسدي جذرُها الشبكيُّ،

هل الشمس كانت رصاصاً يُثَقَّبُ أفرعها (جسدي)

مانحاً جسدي شكله بالفراغات والكتل

المستحمة في قزح الدمع

والدمعُ قوسُ الأفق؟!

هي الأرض . .

هل كنتُ أنشودة الصيد بينهما

أم أنا السمك المتحجر في مائها المشتعل ١٩
هي الشمس والأرض . . رأسي القضا ، قدماي الممالك ،
بين الأصابع كانت قرى النوم والمدن المستحمة
بالليل ، بين الأصابع كانت رمال الظهيرة
سقوفاً تدرّب أوطان موت وأكفان جوع وغربة
تبعثر أجناس أرصفة ولغات ، تبعثر حبّ المواريث ،
تُنبِت نخل الحجارة
تمد موائدّها . . كل شيء مضيء . . وليمتّها رأس
تتخابث
بالهمس ، يقطر منها دم يتخاصر فوق الصحاف
ويلتف أقنعة وكلاماً . . كلاماً
يخثره الخوف .

كانت رمال الظهيرة
تكورّه شجراً حجريّ التفرع . . يا ساعة الرمل . .
هل أنت آنية الغضب المتفتت هل أنت رمانة الأرض

يُخْتَضُّ فَيْكَ الْفِرَاقُ - الرَّمَالُ - الْكَلَامُ
وَهَلْ أَنْتِ مَوْعِدَةٌ لِلْهُوِيِّ حَطَامًا عَلَى رَكْبَةِ الصَّرِخَاتِ
الْقَدِيمَةِ

وَهَلْ أَنْتِ مَنْدُورَةٌ لِلتَّخْلُقِ أَرْغَفَةً وَوَجُوهًا وَأَحْصَنَةً وَدَمًا
تَتَخَاصَرُ فِيهِ الْعِدَاوَاتُ وَالْخُوفُ وَالْقَهْرُ ،
يَرْقِصُ فِي شَهْوَةِ الْعَنْفِ ، يَكْشِفُ لَيْلَ الْغَرَائِزِ
وَالشَّهَوَاتِ الصَّرِيحَةِ ،
يَلْبِسُ كَنْزَ هَوَا جِسْمِهِ جَسَدًا وَيَمْدِدُ يَدَ الْخَلْقِ بَيْنَ
الرَّمَادِ وَيَخْطُو خَطَى الشَّكْلِ بَيْنَ هَيُولَى الْقِيَامَةِ أَمْ أَنْتِ
يَاسَاعَةُ الرَّمْلِ كِرَاسَةٌ لِلْمَوَاقِيتِ . . فِي كُلِّ سَطْرِ
تَصَارِيفُ أَرْضٍ يُغَمِّسُهَا الْبَحْرُ بِالْمَلْحِ يَأْكُلُهَا
لَقْمَةً لَقْمَةً ثُمَّ يَكْتَبُ :

« هَذَا شِتَاءُ الْمَطَرِ »

أَتَى كَرِغِيفَ الطَّحَالِبِ . . هَلْ يَغْسِلُ الْمَاءُ أَطْرَافَهُ
أَمْ يَجِيءُ دَمًا مِنْ فُسَادِ الْعُنَاصِرِ وَالْوَقْتِ ،

هل يغسل الماءُ ما خَلَفَتْهُ اليَدُ البائِدةُ
وهذا ربيعُ المواقيت أم موعد للشجر
يفتق من قشرة الوقت أكامه الهامدة !!»

نافذة من الزجاج المعشق :

هي الشمس . . سَمَرَهَا عنكبوتُ الشظايا ،

سفينة نوح على الأرض ،

وجهك يا طفلة الحلم والرعب منقسم

مستريبُ المساحات ، أثوابك امتلات

بعطايا التناقض :

من تحتها سرّة تتسقق ،

هذي جيوشُ السلاطين هامةٌ في السكون الملون

(لا تعبري النهرَ يا طفلي يا غزالة رعي

وحلمي المكثف . .

يأتي زمانُك . . يأتي زمانِي . . فنعبر في

جسد الرقص ، نخترق الصرخة الحجرية)

هي الأرض . .

هذا الدمُ المتخثرُ ، وجهُ الحسين ،
وعيناهُ كأسا دمٍ ،
والشهادةُ بين ذراعيه : طفلٌ تكلمُ في جانبيه
الفتوقُ السخية
ودائرةُ الرمل كعكته وفطام الشفاء الطرية .
هي الأرض . .

قارورةُ الظمأ المتجذّر بين التعاشيق .
(هل كان يدري الحسين
بأن المياه الأسيرة ملحٌ أجاج
وأن اشتجار السهام على الأفق فاتحةٌ
في كتاب المطر؟)

هي الأرض . .
نافذةٌ للغيوم الأسيرة ،
لا تعبري النهرَ يا طفلي يا غزالة حلمي المكثف ،
هذا هو الله يمنحني ساعديه ،

وهذا هو الشعب يقذفني حجراً في سكون
الزجاج الملون . .
فانتظري . . جسدُ الرقص يبدأ رعدته الدافئة . .

تقدّم معي أيها الجسدُ - العبدُ
وامرق كما يمرق الرمحُ، هل صرخةُ أنتِ
مكتوبةٌ في
نسيج الشوارع أم أنتِ دوامةٌ تتجسد في
مدن تتقشّر تحت نصال المطرِ
ويابقة من دم كتبها المدائنُ . . هل أنتِ مكتوبةٌ في
المياه
أم الماءُ جرحُ الكتابةِ !

تداعيات عصرية:
كنتُ - من نخل النعاس -
أحمل الطمي الخرافي وأعطي
- من عطايا - كتابات الحواس
فأرى العالم حولي غابةً من شجر الصخر،

ونافورة ماءٍ ونحاسٌ

نُصِبَتْ خيمةُ موتي . .

والعروسُ الخشبية

غُرِسَتْ في مركزِ الساحة . . والساحةُ ينبوعُ

دمٍ تحت ثيابي

فاضحكوا بعد رحيل النعش بالموتي ،

كلوا خبزَ الشعائر

وانظروني . .

تطلع الشمس نصالاً

يسرعُ الغيمُ / البلادُ المبهمةُ

تفتحُ الريحُ كتابَ المطرِ / الأرضُ التي تفتحُ من

شهوتها أخذودها البكرَ فتهوي مدناً

شاخَتُ وعراها سقطُ الأقنعة

تفتحُ الريحُ كتابَ المطرِ - الشوك - الهواجسُ

فأرى النارَ التي تبرق من بين حروف الماء

أصوات لغاتٍ ، مدناً ترجف في لحم المساحات التي
تكنسها الريح من الإرث ،
أرى وجه المطر

أبسته الأرض من لحم المساحات
(التي تسقط أو تولد)

أثواب الفصول الأربعة
يتمشى في التواريخ دماً - نقطاً - حصى من
أدعيات الفقراء

واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون.
وغيوماً كتب البرقُ بها وجه البلاد المبهمة . .
هو الماء . .

جرح الكتابة ، أوراقها الصفرة والخضر ،
يمحو ويثبت ، والماء طمث على قدم المدن الراحلات إلى
أول الليل والماء طمث على راحة المدن المقبلات ،

ووجهي - الشواطي . .
 (فلتضربي يا مياه الكتابة
 برجرجة المحو ، هذا هو الجسد المرتخي :
 وطنٌ عَمَرَتْهُ الكآبة
 وضوأت اللغة المستباحة والغمة المستجابة
 مساحاته . . فاضربي يا مياه الكتابة . .)
 ووجهي - الشواطي . . تلك «دمشق» التي كنت أغسل
 أقدامها وأراها على شجر القلب رمانة
 تتخمر فيها أجنتها الخضراء ،
 هذي دمشق التي أسلمتني وكنتُ بساحاتها
 أتكلّم . . كان الكلامُ يحمم في
 جسدي باشتباك الغرائز ،
 وشئتُ وجهي بلون الردي
 وانفعال الشهادة
 أنا جسدٌ يسكنُ الصوتُ أعضائه . . وأنا الصوتُ

أَسْكَنَ فِي جَسَدِ الشَّعْبِ
وَالشَّعْبُ بَيْنِي الْقَرْيَ (أَرَأَيْتَ الْمُلُوكَ إِذَا
دَخَلُوا قَرْيَةً؟) كُنْتُ أَغْسِلُ وَجْهَ دَمَشْقَ
وَأَقْدِمُهَا وَأَرَاهَا عَلَى هَوْدَجِ الْعُرْسِ ..

(فَلتَنْسَجِي كَفَنِي يَا بِلَادِي
فَوَجْهَكَ مَحْوً لَوَجْهِي، وَنَهْرَكَ مَرْتِيَةً فِي الْعِمَادِ
وَأَنْتِ.. أَزْرَعِي خَشْبًا لِلتَّوَابِيَتِ
وَلتَكْتَبِي فِي الرَّمَادِ
وَحَطِي مَصَائِرِكَ الِهْمَجِيَّةَ.. لَا أَنْتِ مَسْكُونَةٌ،
لَيْسَ هَذَا الدَّمُ الْمَتَخَشِّرُ مِنْ نَظْفَةِ الْخَلْقِ،
لَيْسَتْ بِلَادِي بِلَادِي.)

وَكَانَتْ تَحْمِلُ ضَفَائِرَهَا تَحْتَ الْوِيَةِ السَّيِّي
تَنْثُرُ أَبْنَاءَهَا فِي نَسِيجِ الشَّوَارِعِ

في كل وجه توارىخُ نوم يُفَزُّعُه الحرسُ الملكيُّ،
وتحت القنوط المداهن نافورةُ الغضب المتآكل
تَبْرِقُ تصدأً . . هذا أنا غضبُ النار نارُ الغضبِ
وهذي النعوشُ المليئةُ مسبحتي ودمي طالعُ
في عروق الخشبِ
أنا في الرغيف الخميرةُ، في السوق سرُّ الربا،
في كنوز الصبايا قُشَعْرَبَةٌ،
وأنا فيضانُ الكلام المؤجِّل . . أحمل وجه
دمشقَ على شجر القلب رمانةً،
أتحول في النهر دوامةً من حجارة

(وحدثني أنه اصطنع الأمويين والشعبِ
نهرين بينهما برزخٌ عسسٌ وسجونٌ
وأقلامٌ فقه ملونةً)
قال : فانظر . . فأبصرتُ . . هذا هو الكلُّ . . فانزرعي

يا بلاد الرعية بالخيل وانزعي بالرماح الطويلة
ولتزحفي مثلما يزحف السيل
فلينقسم كل بيت على نفسه كل ماء على نبعه
وانفجر يا زمان الرضاة أزمنة للعداوات
والقتل والثأر . . قومي ازحفي يا بلاد الرعية
وانقسمي قسمة تتوحد تحت رحاها السنابل،
هذا دم تتوحد في أرضه مهرة الحلم،
يكتسح الماء
والماء نهران بينهما برزخ . .
فلتقومي . .

فتوى للغضب:
باسم من أكتب، والليل أمامي كتب مصفوفة
والشعب لا يقرأ؟!
فلاكتب:

ضربنا مثلاً ما ملكاً كان هو الساحر والكاهنُ،
والغابة طقسٌ جسديٌّ، كانت الغابة فيه
شجراً منتظراً والنومُ تاجاً من فراء المطر الأخضرِ
والصيدُ انفساحَ الدهشة البكر، وكان الصوب لجان
قمر العشب ونهر الدم ما بين أقاليم الحواس.
أرأيت القمر الأخضر يطفو في الينابيع؟ أرأيت السمك
الوحشي يلتفُّ به، يأكل من أحشائه، يرتدُّ في
سُلَّمه الهابط للموت بطيئاً؟
أرأيت الملك الكاهن تستعصي عليه لغة السحر؟
أرأيت الجسد الذابل تنشقُّ عليه الغابة - النهر - المطرُ
فهو في جوع القبيلة
موسمٌ يبدأ، في أرحامها وقت دم يفصل بين الموت
والخلق؟
وهذي لحظة تنفتقُ الذاكرة الحبلَى بها . . والشعبُ
يرتدُّ إلى حربته يشحذُها،

يرجع للطقس وميثاق الذكورة .
أرأيت الملك الساقط ما بين الحراب
جسداً منفرداً السر؟ رأيت الشعب إذ يغمس
كفيه بعنقود الدم الفاتر أو يغسل أطراف الحراب
خالعاً طاعته ، متشحاً بالرعب والجرأة؟
كان اليوم من أرغفة المخلق الطقوسي . . وكان الرقص
شعباً طالعاً كالنهر ، كان الرقص عرشاً - صولجاناً -
جسداً يولد ، كان الرقص تاجاً ، والقبيلة
ملكاً ، والرقص والحربة بهواً للمراسيم .
رأيتهم؟!

وأنا أكتب أمثالا :

أرى في جسد الشعب الينابيع العميقة
مُلئت بالسّمك الوحشي ، والنهر الذي يفجأ بالبرق ،
أرى وجه القمر
بازغا في أفق الجوع - الدم - الرقص - الحراب

(أسمعتمُ صوته في الجسد الدابل يبكي ويغني؟)
فاخرجوا . . هذا هو البرزخُ . . هذان هما النهران . .
فارموا عن يدين . . اقتتلوا
فالدُّمُ القادمُ أرضاً، مهرةُ الحلم . .
سمعتمُ؟!

أنا في دمشق التي كنت أعشق غمَّازتيها
أمرٌ مرورَ الهواءِ المِراوِغِ
تمتدُّ بي شجرةُ الموت كالقلعِ
من حولي الأرضُ مركبةٌ جنحتُ . .
أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر
فأردت أن أعييها وكان وراءهم ملك يأخذ
كل سفينة غصبا . .
ولكنهم أسلموني . . هي الأرضُ معطوبةٌ،
فانتظرتُ . . أكانتُ مرايا الكلام رماديةً
لست تدري أتبصر وجهك أم وجهَ جلادك
المتخفي وراء الزجاج أم الموتُ
يرقُب ميعاده بين عينيك !!
خيلُ « هشام » مطهَّمةٌ وهو يعبرُ بين الجماهيرِ

(هل هذه الرغوة البشرية من فقراء الرعية
أم طغمة الحرس المرتشي تتخفى وتصطنع
الفقهاء وتعقد من زحمة المهرجانات أقنعة؟)
ونخلت ساحة الموت (والأرض لافئة قشرتها الخوافر)
والليل يهبط . . يهبط . . تمتدُّ بي شجرة الموت في الريح
يا أيها الطائر المرتخي . . جسدي أفرع
تتوجّع ، هل قادم أنت ملتجئاً لعشاش
الجروح لتكمل نومك أم أنت مرتعد
والمسافات تحت جناحك تفقس أرضاً وشعباً؟
أنسخي على الأفق يا ناقة الموت ، وارتحلي ،
ها هو القمح والنخل أبسطة والجيش الغربية
واقفة في المداخل والشعب بيني القرى
(أرايت ملوك السلالة إذ يدخلون القرى؟)
وأنا جسد الصرخة الراحلة
سلام على النهر في كتب الفيضان المؤجل ،

ألقي سلاما على زهرة الإنقسام التي تتبرعم في
خرق الجوع والخوف
ألقي سلاما . .

١٩٧٣/٨/١٧

حُلْمٌ تَحْتَ شَجَرَةِ النُّهْرِ

أنت . . هل أنت بلادُ الدفء والأرضُ قميصٌ فوق
أكتافك محلولُ العرى والبحرُ في حقوك محرورُ
رمى سرواله الأخضر واستلقى نعاسا
تحت أفيائك . .

والأرضُ صراخٌ ثرت فوق مهاويه القرى^(١)
واستنبئت من ركضه الهالِع أسوارُ المدائن
فأنا أبحر فيها؟

(١) البستي القرى عُرِّيها معطفاً وأساورَ طينيةً
من مجاعاتها، وهبني قبيل رحيلي زوادةً من
مواويلها، والبكاءُ برجلي خفقان، أبوابها موعداً
للبيكاء واعتابها غربةً تترجّل في وطن الروح،
والنارُ أحصنةٌ حمحمت تحت شمس الشراسة،
ألقت بفرسانها في برار من الماء والنار،
والنهرُ يغدُرُ بالجثث الطافية
وكل القرى انتظرت جثث الميتين بعيداً . .
فهل يفتح النهرُ أبوابه في سواعدهم،
هل يجيئون . . هل؟

جسدي يطلع من طيئته ، والغمرُ محفوفٌ بلبيل الخلق ،
والله على جوهرة الخضرة^(١) يدعوني كتاباً وقراءة
وأنا أسمع صوت الشجر الطالع في الرعد
فأدعوه رغيماً وعباءة^(٢)
أه من تسمية العالم :

رعبٌ يفتح العالم للهجرة في الموت ،
وموتٌ يفتح الأفق على مملكة الماء . .
اسمعيني

فأنا الطالع ما بين يديك

-
- (١) هذي جُداذةٌ قول من الكتب الصفر تطفو
إلى مطر الخلق من غرين الشهوة الجامحة ،
وتخضرُ ما بين متن وحاشية ثم تُقرأ في ورق القلب
(والقلب ساعة طمي يرفرف ميقاتها في فضاء الدما)
ثم تأخذ وجهها يُجندُ في جملة القول ركنين : فعلاً وفاعلاً .
(٢) أكنتُ أنا أرتديها . . أكانتُ مختاةً تحت جلدي ؟
زماناً أرقع والخرق ليس يضيق ، وهانذا خالعٌ جسدي

مُبْهِحاً ، (تَنُورُ مِيقَاتِكَ يَخْلُو مِنْ رَمَادِ الْوَقْتِ) ، نَارٌ
طَلَعَتْ مِنْهُ ، وَنَهْرٌ فَائِثٌ بِالْمَاءِ يَنْشَقُّ مِنَ النَّارِ . .
اسْمَعِينِي
فَأَنَا عَصْفُورُ مَاءٍ ، وَطَنِي جُمُيْزَةٌ أَسْقَطَهَا الْبَرْقُ ،
وَفِي مَمْلَكَةِ الرِّيحِ دَمِي فُسْحَةٌ حَلِمٌ بِالْبَرَاءَةِ
وَأَنَا أَبْهَرُ . . هَذَا جَسَدُ اللَّيْلِ ، وَهَذِي
مَدَنُ الْبَحْرِ (١) الْمَضَاءَةُ . .

(١) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا . . /

فَمَنْ يَسْتَطِيعُ كِتَابَةَ مَرْتَبَةِ الْمَدَنِ الرَّاحِلَاتِ . .
نَمْرُ جَنَائِزِهَا ، كُلُّ مَوْتٍ وَلايَةٍ
وَكُلُّ الْوَلَايَاتِ بَاعَتْ مَفَاتِيحَهَا ،
قَطَعَتْ مِنْ صُكُوكِ الرُّؤْيَى شَجَرًا لِلْقُرَى وَالسَّقَايَةِ .

كان ماءً يابساً . .

يطلع أشجاراً ويمتد رصيفين من الظملة ،
قاعُ هذه الأرضُ ، على أكتافنا من كرة البحر^(١)
ظلامٌ يابسٌ من جمَد القطب ،
ومن مملكة الملح شعوبٌ طلعت :
تحت قشور الجسد الرخو نزيهُ العشق والموت ،
نوافير الدم الناضج في نخل العداوات وأنساب القبيلة
وأنا أكسر من فوق النواويس وأحجار المياه
خاتمَ الطمي . .

افتحي في كرة الليل الدهاليزَ

(١) وهو في مملكة القلب جاذبية الهدمِ وأفقُ

التناثر وبعثرة الأشلاء ،

باسمه أنكسر ، وعلى راحتيه أسيل دماً نافرًا منشقًا ،
وأطير زفرةً مبطنةً بالخوف ومحشوةً بالعشق الوحشي
المعارض ، وفي جسدي يتكلم ماءُ الينابيع .

أنا أكسر اختام الملوك ،
انتشري من ورق الوقت وجميزة نيرانك . .
في كل كلام^(١) شرك يختانُ نهديك ،
اركضي في خطواتي والبسيني جسداً ،
وانتشري من ورق الصرخة والفتح . .
أراهم يقتلون الآن أبناءك ،
يَسْتَحْيُونَ أبناءَ الممالك
فهل أَسْمِيتِي قبل الرحيل
وطناً ! هل أنت خبأت بأعضائي شعباً ؟
وأراهم يقبلون
مدناً تصهل في أهدابها الظلمة ،
في أحراشها تشتبك الحيتانُ ،
في أرصفة الليل الثقيلُ

(١) رأيتُ الكتابَ سجناً والسجنَ كتاباً ،
بينهما جسدٌ مصلوبٌ تنقرُ العصافيرُ عينيهِ :
إن فتحهما عَمِي وإن أغمضهما رأى وإن
رأى احترقتْ أوراقُ قضيتهِ وذهبَ دمه هدرًا

تَتَعَرَّى شَهْوَةُ الْقَتْلِ الْبِدَائِي عَلَى الْحَفَةِ الْعَرَسِ . .
اركضي في خطواتي قبل أن يَسَاقُطَ الْغَرِينُ مِنْ
جميزة النهر^(١) فإني

[أنتظركِ على كل فج فانبسطي
كالبر والبحر وارتفعي كالسما المرتفعة،
فإني أرسل النار بين يديك
فلا تدور ولا تستقر^(٢)]

وأرى في جسدنا صخبَ الحلم القديم :
[أيتها النائمة هلمي فاستيقظي وأبشري
فقد أنزلت المائدة ونبتت عليها عيون الطعام

(١) والنهرُ في مصحف الأرض قد كتبتُه يدُ الرب في سورة الماء، كلُّ
القراءات مكتوبة في صحائفه :
كان أبيضَ أحمرَ أخضر -

من كان ذا بصرٍ فليرَ الآن ماذا تقول الحواشي التي
كُتِبَتْ في لفائفه ثم فسرها الطلُعُ والشجرُ الأدمي
اقرأوا . . كل شيءٍ قراءة .

(٢) من النفري .

والشراب وسوف يأتونك فيروني عن يمينك
وشمالك ويكونون أعاونك ويغلبون
لأن الذي يقاتلهم يقاتلني وأنا الغلوب
فُتحت الأبوابُ عليك
فتزيتي وزيتي الشعوب بيهاثي (١) . .]

(١) من النفري .

كرة اليابس والماء . . انظريها
قشرة من حول أعضائي . .
ويساقط من جميزة النهر دمُ الوشم على رأسي ،
وتاجُ الطمي مختومٌ على هيكلي النائم في الموت . .
أرى تحت قماط الكفن الحائل
أيامك تأتي هودجاً يكسر أختام النواويس . .
انظريني : ملكا ألبس تاجيك
اخلعي خلخالك الفضي . . هذا حجرُ
الماء يغطيني ، اكشفي وانكشفي ،
بطنك بيضاء وحمراء وخضراء ،
وقال [النهر] لي :

[انصب لي الأسرة وافرش لي الأرض بالعمارة
وارفع الستور المسبلة لموافاتي فإني أخرج
وأصحابي معي أرفع صوتي وتنبت شجرة

الغنى في الأرض ويكون حكمي وحدي،
ذلك على المعيار يكون
وذلك الذي أريد^(١) .]

١٩٧٢/١١/٢٩

(١) من الثوري .

وشم النهر علي خرائط الجسد

«الوشم الرابع»

[هل أنت تحلم فالشمس طالعة في صراخ
المواويل والنهر مختبئ يتكلم تحت سريرك
والنوم بوابة تتدفق منها مواريتك الصامتة؟]

رأيتك طالعة،

ورأيت شمس الدمع طالعة وراء

قميص شَعْرِكَ والظهيرةُ نخلةُ الوشم

المدلَّى في فضاء الحلم، والموالُ بواباتُ أرضك:

هذه تغريبة الخيل الفنية في

مراعي الدهشة الخضراء، والبحرُ المراهقُ وردةٌ

فتحتُ على زبد الغرائزِ جلوةَ العرس الخرافة،

هذه فرسٌ مجنحةٌ تهيمُ إلى سرير الأفق،

هذي كائناتُ الماء جامحةُ الليونة تفتح

الجسرَ الرابط هودجاً لتساكبِ

الأجساد في الأجساد.

شمسُ الدمع طالعة وفي قوَدَيْكَ نافذةُ

العصافير الأسيرة، صمتك الدهريُّ خبزٌ في انتظار

الآكلين، خطاك نقشٌ دائمٌ التجوال في لحم الكتابة^(١)

أنت تغتصب الهيولى زوجةً وتردُّها مكتوبةً في
مصحف الأرض البراح، وأنت في ظلماتها شبحٌ
يضيءُ نوافير الجسد المقدس بالفصول، يضيء تحت
دوائر الثديين أجراً السنابل والمواويل المليئة
بالخيول الخضراء، يفتح في خشونة عشقها وطناً
ومملكة لأبناء السبيل وأنت عرش النوم في
أعضائها . .

(١) كتابك يطلع بين الأظافر واللحم عرساً من
الصرخات وطمياً من الغضب المتشي بالمياه العميقة،
يطلع من رجفة الجرح تحت نصال المطر/
ويطلع: برؤية زغب تتشقق من تحته صفحة الوجه
والنقش عصفورة الخوف، والله يسكن في
وحشة البوص، وحهك في نخلة النهر طلع الكلام،
وطبليّة العائلة/ مقسمة بين أيدي الممالك،
مكتوبة في حدود الأقاليم، فاقرأ:
كتابك في عنق العائلة
تقياء وقرأ تحاياك تحت رنين الفتوس الصديثة،
تحت مصاهرة الخوف، تحت شمس الدم المقبلة
وكوم ثريلك في قصعة الشعر . . وانتظر القارئ . .

لبستك عاريةً وأنت جريت في
أبهائها مترجلاً وتركت في راحاتها حبَّ الطحين،
كتبت في ورق الزواج تميمةً ممهورة بالخبز والبركة.

كان سربُ اليمام الملونٍ مندهشاً بالشمس والفراغِ
المضيء،

كانت دوائره تتداخل وتكتبُ وردةً وسنبلةً نازفةً من
هدوء الأفق، ثم تعلو وتكتب تاجاً للملك المساحات
الممتدة..

تفاجئها أبسطةُ القمح وحصيرةُ الزروع والينابيع فتبهط
كالعناقيد المنفرطة.

ترى قميصك المفتوق نافذةً على حجرة النوم
الأرضية^(١) وطبقاً

(١) على الباب تزوع كرمًا تعشش فيه الرياح
وتلتهم زقزقة الطير، تحفر تحت سرير الرماد
المكوم نهرًا وتحلم:

هذا هو النهر ينسج أعشابه هودجاً
والعرائس يطلعن من خضرة الماء والشمس ترمي =

من القمح وفتات الخبز ومخدة من القش وشجرة . .
فتختبئ في قميصك المفتوق -
وأنت تكتم الضحك كيوم ولدت البقرة ويوم تعلّمت
تحسّس المشيمة والبيض الدافئ وتعرفت على وجه
أملك في رائحة الخبز واللبن الرائب ،

= دنائرها -

أنت تحلم :

محرمة العرس منقوشة بيمام الدم
المتوهج ، هذي هي الريح تعقد صرتها من
بعيد على النقع والحيل ، تأتي إلى شاطئ النهر
(بينكما الماء والشمس)
ما كدت تنظر حتى رأيت أمير الخيول المغيرة
والموت يلبس شكته ويخوض في النهر نحوك
هل أنت تحلم ؟ !

كان أمير الخيول المغيرة والموت مرتعشا
تفكك أعضائه ويذوبه الماء ، يجرفه النهر -
هل أنت تحلم فالشمس طالعة في صراخ المواويل
والنهر مختبئ يتكلم تحت سريرك والنوم بوابة
تدفق منها موارثيك الصامتة ؟ !

وَأنتِ تَكْتُمِ الضَّحْكَ وَاللَّهْفَةَ وَالْجَزَعَ كَيَوْمِ انْتظَرْتَ مَهْرَةَ
عَاشُورَاءَ وَنَسِجْتَ مِنْ أَصْوَاتِ الرِّيحِ وَصَرِيرِ
الْأَبْوَابِ

وزواج الكائنات مشاهدًا للعدل والقيامة
حتى فاجأئك الشمسُ فطيرةً حمراءَ على مائدة الليل
فخفت أن تصحو الحاكورة وتراك متلبسًا بالحلم . .
فكنت أول من يخرج لملاقاة العشب المفضض
بالندى ورائحة الطمي المبلول
وترى ما تركت طيور الفجر على التراب الرطب من آثار
مخالبيها المتشابكة ،

خطوطًا خطوطًا كالشجر والأغصان ، يدق قلبك
بعنف وتتلاحق أنفاسك بالخوف والغبطة والمطاردة :
هذه رسالة لي ، هذه الكتابات على الأرض معقودة
على سر الخليقة ومطوية لي على وعد خاص ،
أتكشف فيها أبجدية متشابكة ملفوفة معقودة الأطراف
منقوطة وغير منقوطة ،

هذا ألفٌ متكسرٌ وهذه ياءٌ كالمهرة الجامحة
هذه مملكةُ القراءة، وتاجي كلمةٌ تسبح
أغصانُها في شجر الأبجدية الذي يبدأ ولا ينتهي،
وأنتَ . . يا كتاب الأرض المنقوشة
من أين أبدأ وأين تنتهي الجملة الأولى ؟
آ . . را . . يا . .

وقبل أن تلتقط خبط الجملة الأولى تصحو الخليفةُ
كلها، ويحرثُ الله أرضه الواسعة بأقدام
السعي المبارك وأظلاف الأنعام
و . . سربُ اليمام يختبئ تحت قميصك المفتوق . .

أرسم مجمرَةً من الصلصال المحروق وأسميها
طاقةَ الوبر، وأرسم خطوط الطول والعرض على
وطنٍ بمساحة الجسد وأسميها سراويلَ الدَّمُور
وكوفية الزغب المراهق وصُدْيَرِيَّةَ العرس المؤجل،
وأرسم دراهم الكحل والغبطة الفسفورية في

زرائب الرياح والبوص وظل الشجر، وأرسم
إبريق الجماعة وشاي الظهيرة وأقراط الخرز الملونة
وأكتب: هذه شجرة العائلة

وبركة الإقامة بين السماء والنهر.

وأنظر:

هذه الأرض المقيمة في خطاك،
وهذه مسجدة الظلم المشجرة المساحة
بالشقوق.

وأنت للفيضات أبواب مفتحة برائحة المياه،
تفوح من إبطيك رائحة الدريس، بوجهك الشمس
ابتنت أكواخها،

قدمك جورت الشقوق عليهما جلد الذبيحة . .
هذه الأرض المقيمة في خطاك ازيئت بقناعها السري:

(شمس تفتح الساحات أجرائنا مكدسة

وصيف يكنس الكيزان،

شمس للفساد ولاغتيال الكائنات

ولحظة للموت وال ميلاد تفتح في

تخاريق البراح شقوق شهوتها المقيمة بين

محراث الذكورة والمياه . .)

وانتَ: في قدميك تمتلئ الشقوق بكل ما في الأرض ،

هل يمتد لحم الأرض من قدميك أفدنةً فأفدنةً ؟

أم الأسماءُ والوطن المليء مكدسٌ بالدمع

تمنحه خطاك خريطةً فيقيم في جلد الذبيحة

والشقوق تُفرَّعتُ من حوله شجراً وأسيجةً ؟

وانتَ الآن تطلع من ثيابي ، أنت تطلع من

رؤى غضبي ، وتطلع حارساً والشمسُ مِقلعٌ ،

وتحت خشونة الزَّغبوط وشمٌ غزالة برية . .

جُمُيزة الملكوت تسقط

أنت في زمن اغتصاب الشعر فاغتصب الولاية

واغتصب لغة العراك ونازل العشق العصي

وزاحم الميراث بالورثة /

قاف : آخرُ العشق وأولُ القتال ،

آخر الغرق وأول القراءة .

تاء : طبقٌ للخبز وجَفَنَةٌ للدمع والدم ،

آخر السُّحت وأول التراب .

لام : صرخَةٌ معقوفةٌ وجسدُ امرأةٍ يَتَقَبَّضُ

بالشهوة ورشاقة الطيران في الريح

وامتلاء الحمل وتحدي الولادة ،

شِصٌّ عالقٌ في قلب موجة دَوَّارة

(هل أنتَ الصيدُ أم الصيادُ أم أنتَ صانعُ

المسافة بين أقصى الفريسة وأقصى القصاص ١٩)

كل أرض ألزمتها طائرُها بين الشمسِ الدمع وخشونة

الأيدي ودهشة الطفولة الوارثة

فاقرأ كتابك . .

هذه الأرض شهادة تتوقّد بالزهر والعشب
والسنابل
وتتسع كالوليمة وتعقد مناديل الخبز على حوار
القاتل والقتيل
طويت الصحف وجفت الأقلام . .

١٩٧٤/٥/٥

197A

القطاراتُ لم تنقطعُ . .

غيشُ الفجرِ لوزةُ قطنٍ مبددةٌ نفضتها
الرياحُ على قبة النخل والشجر النائم ، انفتحتُ
خَوْخَةً الباب . .

صوتُ الأمومة من خشب السنط آخرُ
زاد ومفتحٌ للبلاد الأليفة ، آخرُ ما أعشب
الوجه من زغب الشمس ، أولُ لافطة أتهجى
كتابتها غربة في اتساع الشوارع بالخلق . .
والفجرُ يفتح أبوابه في زجاج النوافذ ،
شمسُ بكفك السميطة المحمص تطلع منقوشةً
بالجدائل والسهم

(انخلعتُ في الجلايب أحصنة الطين ،
لُبُ النوى المرّ ، مسبحة الرامخ الأملس)
انفسحتُ بيتنا الأرض يارهج الحرب بين القبائل

(هل أنتم الآن بين الحجاز وتونس ، هل
صدئت في دروع زناتة أو في سيوف
الهلالية الشمس ، أم تمسحُ الكتبُ المستجدةُ
صوتَ الربابة من طينة الذاكرة ؟)
وخبز القرى في الحقائق مرتعشٌ بالقرابة والملح
(عينُ زجاجيةٌ تتفحّمُ جيماً معطشةً ،
وطنٌ ينتهي من كلام الختان الصبي ،
ونهرٌ أفتشُ عنه خرائطَ ليست مبللةً ،
ورقٌ تتكومُ فيه البلادُ الفسيحةُ ،
والماءُ يسكنُ بئرَ التذكّر ، والشمسُ
مرسومةٌ بالرصاص .)

القطاراتُ لم تنقطع . .

والمسافات بين الوجوه وبين المرايا

مهشمةٌ، هاهو الوطن المستديرُ على جسد الأربعة
تكسر فوق الموائد، هذي صحاف الكوابيس :
أطعمة الخوف دافئةٌ، والسلالُ المليئةُ
تفتح صررتها في رصيف المحطات، ينتشر الوحشُ،
يلبسُ أقنعة الأهل، يركضُ في فلوات الوجوه الأليفة
وحوشًا وحوشًا . .
فأصرخُ . .

يستيقظ الضحك، السوق تمتدُّ أروقة
للمساومة، الأرض تنشق أرضين،
والشعبُ شعبين، أحصنة الماء تصهل في الذاكرة .

هو الماء . .

جمرةٌ عشقٍ متوجِّهةٌ في براري البداوة،
محفورةٌ في بكاء الطلول ومكتوبةٌ في سيوف القبائلِ

والشعر مكتوبة في طقوس الدم الجاهلية .
هو الماء جمرة عشق متوجة والرعية من
أصدقائي امرؤ القيس علقمة الفحل والنقري
الغريب المشردين قري مصر والبصرة ،
السهروردي زوج ابنتي وأنا طالب الثار من
قاتليه ومن يُعيدون تطويقه بالحصار المعاصر
والأسئلة

أحرره من سجون الخليفة كي يفتح الأسئلة
مناديل للخبز ، بوابة لاغتصاب الميادين من حاكميها ،
فهل لغة تتوقد فيها مصاهرة العشق والموت ،
هل قمر ينكسر مسبحة ،

هل صلاة تدمم في سجر الرب ، هل
أصدقائي يقيمون في الزلزلة
ويلقون أقوالهم بسطًا في الميادين . .

هذي أباريقهم مطرٌ من صراخ النبوة ،
هذي الجموعُ استحمت بشمس المجاعة . .
هل أصدقائي يُقيمون بالجامعة
صلاة القبائل للغيم والنهر ملءُ اليدين
وهل لغةٌ تُشعلُ النار في حطب الشجر . .
هذا هو النفريُّ المشرّد في لغة
الخطباء يولول في وحشة السحر يصرخ في
صحراء الكلام ويكسر قُفْلَ الينابيع يدخل
في مدن الحاكمين يقيم المتاريس ينشئ كوميونة من
قُشعريرة الرفض والأسئلة
(وأوقفني . . عن يميني خرابٌ يُسيّجه النومُ
والأرضُ قد لبست زخرف (الأمن)
وازيّنت ، عن شمالي خطى النهر كانت
تلاحقني ، كان يقرطُ في خطواتي الشباك

المليئة بالموج ، يكشف لي سمك الحلم والنار

في الغيمة المثقلة)

فهل غرقٌ يستعيد الينابيعَ

هل غرقٌ تتفتح فيه الهتافاتُ عن جسد الحلم،

هل غرقٌ تتقشر من تحته المقصلة

فيهوي الكلامُ المهجَّنُ،

هل غرقٌ يتلبس كالسَّ والهديان المرابط في

ساحة الحلم والخلق،

والحلمُ مركبة الحاضرة الشاملة؟

وهذا هو السهروردي يدخل ليل الميادين

والأرضُ مخبوءةٌ تحت جُبَّتِه وهو يبصر طيرَ

الجلالة متشراً تنقمصه الكائناتُ الأسيرةُ

محتشدا في قلوب المراكب والنهرُ يمشي

مظاهرةً فمظاهرةً . .

والبلادُ البعيدةُ ترسلُ ملءَ السلالِ فطائرَها
الدمويَّةَ زوادةً للجُموعِ المقيمةِ خلفِ المتاريسِ
ترسلُ موالها المتجلِّدَ في الدمعِ والسهرِ ورديُّ والنفريُّ
يخطُّانِ فوقِ الحوائِطِ والصحفِ الجامعيةِ طيرَ الكلامِ
المفاجي بالشمسِ والريحِ ،
والكحلِ مشتلٌ في عيونِ الصبايا بوحشيةِ الحبِ
والثورةِ المقبلةِ
* لو أني أطلعتُ من لغتي نخلةً لخطفتُ اللغاتِ
الهبجينةَ خطفَ المناجلِ درستُ المعارفَ درسَ
الرمالِ عصفتُ عليها الرياحُ العواصفُ
«مراسلة من النفري»
* الواقفون بي واقفون في كل موقف
خارجون عن كل موقف.. وأنت معنى الكون كله.
«كلمة سر الليل للنفري»

«قد جاء وقتي وأن لي أن أكشف عن وجهي
وأظهر سُبُحاتي ويتصل نوري بالأفنية وما وراءها وتطلع
علي العيون والقلوب وترى أوليائي يحكمون. فأرفع
لهم العروش ويرسلون النار فلا ترجع وأعمر بيوتي
الخراب وتزين بالزينة الحق، وترى قسطنطين كيف
ينفي ماسواه، وأجمع الناس على اليسر فلا
يفترقون ولا يذلون.

«رسالة تحريض من النفري»

«أنا مُكَلِّلُ الليل ومُنْهَرُّ النهار، أَقْلُ الليلُ
وطلع وجه السَّحَرِ وقام الفجرُ على الساق
أربط المنطقة فينعد كلُّ شيء. والبسُ درعي
ولأمتي فتستيقظ الأرض، والبسُ البرقعُ
ولا أكشفه.

«دعوة النفري للمنازلة»

« العلمُ المستقر هو الجهلُ المستقر .

«دعوة النفري لقراءة ما لم يكتبُ

« اهدمُوا واهدموا واهدموا

نَفَخَ اللهُ فِي جَسَدِ الشَّعْبِ لَمَّا اسْتَوَى فَوْقَ

عَرْشِ الْمَجَاعَاتِ ،

يَنْفَخُ فِيهِ السَّابِلُ وَالْغَضَبُ الْمَتَاجِجُ ،

نَحْنُ لَهُ أَنْبِيَاءُ ، مَصَاحِفُنَا تَنْزِّلُ مِنْ شَهْوَةِ الْمَاءِ

اهدموا واهدموا

فَالشُّوَادِيفُ شَاهِدَةٌ وَالسُّوَاكِي رِسَائِلُ مَطْوِيَّةٌ

حَمَلَتْهَا إِلَيْنَا الْمَوَاوِيلُ مِنْ قَرْيَةِ الْأَهْلِ ،

خَاتَمُهَا وَرْدَةٌ لِلصَّرَاخِ . .

اهدموا واهدموا . .

«نشيد الخروج»

« هذه قبةُ الجامعة

هبطَ الليلُ . . فالتفت حراسُها للهجومِ المباغتِ
والنومُ تطلع أشجارُه ، انطفأ الكحلُ ، أرخى
الرخامُ يديه على ركةِ التعبِ المتألقِ ،
والنومُ ينثر أعشاشه بالهواجسِ والخوفِ . .
هل لانت الأرضُ كالفرشِ الأسريّةِ
فالتحمَ الجسدُ الآدميُّ بصمتِ الحجارةِ
والكتبِ الآفلةِ
ودوى الرصاصُ البعيدُ . .
هل استيقظ الماءُ في الذاكرةِ
فهذا هو النهر يترك فرشته ويمدّ خطاهُ
وجوهاً وجوهاً
يُشجّرُ ليلَ الميادينِ بالرقصِ والأذرعِ
ويفتحُ لحمَ الشوارعِ
بيتُ الشوارعِ يفتحُ نافذةً للأممِ ،
في ظلمةِ الشرفاتِ تضییءُ الأبوةُ بالخبزِ والماءِ ،

تحت الضفائر يبرق وهجُ القرابة ، ينعقد
الخوفُ والياسمين المفضضُ بالدفع زغرودةً
للزواج الجماعي أسورةً للمواعيد . .
دوى الرصاص البعيدُ القريبُ
وأقبل سيلُ الدروع الصقيلة
يسدّ المداخلَ ، وأنهمر المطر المتوحشُ قعقةً
ونجومًا نحاسيةً .

كل هذا السلاح المرابط من أجلهم ؟
- قالت امرأة -

وطنٌ يتقلد مجزرةً
م يخافون شعباً تربى على الخوف ؟
أسلحةٌ مشتراةٌ بما كثفته المجاعاتُ من
صدأ فوق أسنانهم ثم تُشرعُ صفًا فصفاً
فتصرخ تحت فتوق الثياب القديمة شيخوخةٌ باكرة ؟
- تقول الصبية -

(لكنها قبل أن تكملَ القول يخنقها الدمعُ)

دوى الرصاص القريبُ

هو الموتُ . . يفتح تحت عباءته سكةً لالتحام

البنادق باللحم

دوى الرصاص المفاجئُ

قَعَقَتِ العرباتُ المدرَّعةُ ، انغrust في

الرصيفَ الأكفُ ، فتحنا الخطى سكةً يهربُ النهرُ منها

ويحمل جرحاهُ في دمهم للبيوت القريبةِ

(هل غسل النهر أثوابه من

خيوط الدم المتخثر ، هل زال حبرُ المطابع

من فوق كفيه؟)

هذا هو الفجر يكنس صمتَ الميادين

والشمسُ تلمع فوق الدروع الصقيلة .

«سيناريو تسجيلي»

شهادة:

البلادُ البعيدةُ أوحشَها الحلمُ والرقصُ
فالشَّمسُ مُجدورةُ الوجهِ ، تصفرُّ تحت
المِلاطِ المُقشَّرِ ، تسودُ في جُدُرِ الطينِ ،
ينفتحُ الجرحُ في جثةِ الأمكنةِ
فمًا باردًا كنعاسِ الغريقِ على العشبِ ،
قرَقَصَتِ النصبُ الحجريَّةُ ، هذي سماءُ الميادينِ
مثقوبةٌ . .

ليس منتظمًا فوق طبلِ البراحِ المشاعِ سوى
خطوةِ الدرَكِيِّ وصوتِ الحذاءِ الثقيلِ على حَجَرِ
السمعِ ،

في ورقِ الذاكرةِ
يُقرِّصُ في دمه وطنُ نقشتهِ الشطوطُ البعيدةُ
بالسَّلْقِ والشَّمسِ مُحمرَّةٌ في مياهِ الأصيلِ ،
القطيفةُ في حبقِ الماءِ مسكونةٌ بالفراشِ الملونِ ،

سجادةٌ من نجيل المجازات ، رائحةٌ من وضوء
الجباه السخية فوق حصير الجوامع ، رائحةٌ
الخبز طالعةٌ من مواقدنا العائلية . . في ورقِ الذاكرة
يقرفص في دمه وطنٌ . .

وحدها . . قامةٌ من رخامٍ

الليونة والدهشة الشيفية ،

والقُرْطُ مركبةٌ للنداءات والوحشة المزهرة

وقفت تتمسحُ في ظلها تحت ضوء ، الفوانيس ،

ترمي رماد سجائرها في الرياح ، تُقزِّقُ لبَّ المواعيد

والتعب المتدثر بالكحل والزغب المتخفي ودفءِ

الفراء .

(خطوةٌ . . خطوتان . .

ومن بين وجهيهما شعلةٌ ودخانٌ

السجائر كالفرشة المستضاءة ،

عاد إلى مُستراح الحذاء الثقيل على

حجر السمع .)

«ملحوظة : النهاية مفتوحة»

نداءاتٌ على الجدران لم تقشّرْها الأظافرُ

ولم يغسلها المطر:

١ - اختبئ يا قطاراً يهرول في الحلم،

صوتك يخلع ريش النشاز الملون، يسقط بين
الصدى والصدى، وتُصنِّفه شَقَرَاتُ الأظافر،
يدخل أوركسترا الأسر.

فلتختبئ يا قطاراً يهرول في الحلم،
فالأرض مكشوفة والمحطات مفتوحة تحت ضوء
السفر

اختبئ فالإقامة مأهولة بوحوش القراية
والألقة الناعمة

٢ - جسد للعشيرة: أعضاؤه انفَرَطَتْ

كالعناقيد في ورق الملصقات - الأفيشات - وهج

النيون المشاكس .

حطَّ الظلام :

فهل يَنْفِرُ النهْدُ تحت الأكفِّ وَيَلْتَمُّ رَهْطُ العناقِ
الصريحِ وهل يفتح الليل مَضِيْفَةً للتخاصرِ
والجنس ؟ ، هل تُفَلِّتُ الشَهَقَاتُ المقيمة في اللون ،
هل ؟ !

٣ - تَنَفَّسَتْ حَقَائِبُ الوطن ، يا لله ،

هل يملك كلُّ هذه الملابس الداخلية ؟ !
وبعثرها في الريح ، فهل كل هذه الألوان من
شمس واحدة ؟ !

وغربت الشمسُ

فكلُّ طريقٍ صباحٌ وكل صباحٍ طريقٌ .

٤ - العصافير تنسج أعشاشها في

حديد الشبايك والأرفف الخشبية في المكتبات
وفي الحافلات المليئة بالنزحمة الضاحكة

والعصافير تنسج أعشاشها تحت ليل من
الشعر المستعار وفي خوذ الشهداء
وأحذية الهاربين .

٥ - أسرعوا أسرعوا . فالبلاد القديمة
ركضت خلفكم ، واكتبوا واكتبوا . فالبلاد القديمة
قطعت شجر الأبجدية

٦ - مطلع جاهلي يجيء

تطلع الشمس في الذاكرة
تحت إيقاعه يَسْتَضِيءُ
وطنٌ للخراب الطلولي
نهرٌ تجرُّه الصرخةُ الفائرة

٧- صخبٌ، وبلادٌ تجلجل في حجر السمع،
والرعدُ يزرع أعضاءه . .
انتظروا . . تصهل الخيل في الأروقة

حلم:

هذه امرأةٌ تتغطى بأوسمة العُرْي ، قشٌ
تطاوَل من إبطيها ، وحلفاءُ شمسٍ بهيجةٌ
ضربتُ قُبَّةً من خشونة أوراقها فوق
شمس الزَّبيبِ المقيمة في الفخذين الشهيين
هل هذه امرأةُ المرمرِ امرأةُ الصَّولجان؟
طيورُ الحجارة ترصفُ بيضَ السطوع الملّون ،
يُنقُّه البردُ والدفءُ ، يفتح فيه الدهاليز :
هذي المدينةُ في الأفق مملكةٌ والرعيّةُ
يضرِبُها طائفُ الصرخةِ الهالعةِ

- : أتعرفني؟

- : ربما :

فوق عينيك جرحٌ يذكّرني بمرايا الطفولة
 والطيران المفاجئ بين الذراعين والسقف .
 - : أُلحٌ تحت ثيابك سيفًا ، فهل طالبٌ أنتَ
 للثأر أم خارجٌ تسترِدُّ البداة والصيد في
 غابة الدهشة الملكية ؟
 - : أطلبُ بيتًا وعائلةً أسترِدُّ على خبزها شرفَ الإسم ،
 أطلبُ بئرَ القبيلة .
 - : هذي المدينةُ مؤبوءةٌ . . يترجّلُ وحشٌ جميلٌ
 التقاطيع ما بين همهمة الفقهاء ودفء الفراش
 المبلّل بالنوم والموت ، ما بين وشوشة القصر بالمخمل
 المستريب وعرافة الشهوة الجسدية والانتحار البطيء .
 أنا ملكٌ ، والمدينةُ تحتي تُلَفُّ عصائبها ، بين تاجي
 وعرشي تساقطُ الشمسُ داميةً ، يخلق الليلُ
 تحت هشاشته حيوانَ الوسامة والرعب ،

ألوية للخفافيش ، عرافة الصرخة المستجيرة

تبعني للخلاء

تؤامرني وتقايضني؟

.. : كيف؟

.. : آخذ سيفك ، خذ صولجاني ، وقل للجماهير :

قابلني الوحش يأكل صاحبكم فقطعت جناحيه ،

مزقته قطعاً قطعاً .. فاخترني ..

سوف تلبس تاجي وتشهد مملكة تنفصد أنهارها

تحت رجليك ، ترقد فوق سريري ، وتفتح زوجي

خزائنها .. وأنا أتخفي ، وتأخذني في عبيدك ..

.. : تعرفني؟!

.. : ربما ..

بين نهديك نهرٌ يذكرني بالرحيل المفاجئ في

الفجر، أذكر بحراً وصحراء، في ركبتك ارتعادٌ
يذكرني

بالأراجيح والنوم، أذكر شمساً مضجبةً في
خزائن فخزين . .

عينا فتشتا عن بلاد السراويل والدفع . .
ها وطن يتقَّظ في الذاكرة
فمُدي الموائد واستتري والبسي تحت عيني أوسمة
العري، قشُّ الخليقة ممتلئ بالطيور الغربية
والوحش، أروقة القصر واسعة

(كنت أطلب بيتاً وعائلة أسترده على
خبزها شرف الاسم . .
ها أنت عارية تفتحين الصناديق
تعطينني من خزائن فخذك مملكة

تتطاول فيها السلالاتُ . .

والصمتُ عائلةٌ تتماسكُ في كل ربحٍ

- : أتعرفيني؟

- : أنت . . هل تعرفين انسلاخ الظلام من البحر . .

هل تعرفين انتقامي؟

خزائنك الخضرُ مفتوحةٌ بين كَفَيَّ . .

هل تعرفين انتقامي؟

مملكة أخرى:

واسعةُ خطوةُ الشمسِ ، أوسعُ منها غيومُ
القصاصد في القلب ، أوسعُ منها يدٌ وفمٌ يرفضان
رغيفَ الممالك ..

والأرضُ واسعةٌ يتناسل فوق خرائبها عنكبوتُ
الأقاليم ينقرطُ الملكوتُ الملوّنُ أسيرةً وبلادا ..
وأوسعُ منها دمي ووضوئي المباغتُ في رجفة الجرح ،
أوسع منها حصيرةُ نومي علي قبة الحلم ..

مملكتي لا تزولُ إلى آخر الدهر ،
مملكتي وسعتُ كلَّ شيء

ومملكتي شارعٌ ورصيفان تطلع بينهما
خطوة الرقص جُمَيِّزةٌ للغداء الجماعي . .

نكتبُ فوق الأكفَ مواعيدنا ، نتحسسُ
قارورة اللون والأرضُ تضحك ملءَ الفروع ،
الأباريقُ تهوي مكسرةً في كتاب القوانين ،
نكتبُ نارا مُجَنَّةً . .

كلما غسلَ الموتُ أوجهنا اقترب الفجرُ . .
هذا وضوءُ الكتابة ،
نصْطَفُ في حضرة الحلم . .
نكتب مملكة للشوارع . .

هذي الشوارعُ مملكةٌ يتبَطَّنُها الحلمُ

والرقصُ ،

تَلْتَمُّ أَصْوَاتُهَا جَسَدًا لِلْقَصَائِدِ
أَزْمَنَةً لِلْجَنُونَ الْمَبْرُقَشِ بِالْمَاءِ وَالشَّمْسِ . .

١٩٧٤/٧/٤

رُبَاعِيَّةُ الْفَرْحِ

فَرْحٌ بِالمَاءِ

١ - فصلُ الخبرِ المقدم:

أَلْتَفُّ بِالْشَّمْسِ وَغِبَارِ الْمَسَافَاتِ الْمَفْتُوحَةِ
أَغْسَلَ جَسَدِي بِالنَّقْشِ وَرَغْوَةِ الْغَضَبِ
وَحَنَاجِرِ الْعُشْبِ الْمُسَنَّئَةِ
وَأَفْتَضُ أَخْتَامَ الرِّيحِ وَكُؤْمُونَ النَّدَى فِي الْبَرَاعِمِ .
يَسْكُنُ النَحْلُ تَحْتَ إِبْطِيٍّ وَبَيْنَ أَصَابِعِي تَخْتَبِئُ
الْيَنَابِيعُ الْخَائِفَةُ
وَالْأَرْضُ زُجَاجَةٌ تَهْشُمُ الْوَانَ الطَّيْفَ وَتُلْزِقُهَا عَلَى
جَسَدِي الْمَعْلُوقِ بَيْنَ الْجُوعِ وَالرَّبِيعِ
أَمْتَلِئُ شَيْئًا فَشَيْئًا كَالْيَقْطِينِ الْعَسَلِيِّ الْأَحْمَرِ الْمَدْلَى
فَوْقَ أَهْرَامَاتِ التَّرَابِ وَمَصَاطِبِ التَّحَارِيقِ
أَنْضِجُ بَطِيئًا

بـ

ط

يـ

ءـ

اـ

وأفرح بمراهقتي واكتشاف دمي
أنجلي للأطفال كرة أرضية لامعة تتدحرج
وللطاغية مؤامرة ملغومة تسعى
وللأحلاس الغاوين لغزاً مطاردًا
وأنت تحت عيني حُرثٌ يتكور ويتجوّف
لنا المشيئة حيث نشاء
وبين السُرّتين رغيْفٌ ينتظر الوارثين .

وهذا هو الماءُ والماءُ والماءُ
والماءُ بوابةُ يفتح الليلُ أفعالها فتمرُّ الخلائقُ :
هذي مخاصرةُ البحر للبحر ،
هذا زواجُ الينابيع ، والنهرُ يسحب مَحْرَمَةً

العرس منقوشةً بالدنانير والعشب . . يشتر أقراطه
وأساوره ،

الماءُ بوابةُ يفتح الصبح أقفالها :
ها هو اللهُ يلقي تحياته شجراً
وحروفاً يطيرها في فضاء الكتابة /
صفوفاً صفوفاً . .

خلعتُ قميصَ دمي . اشتبكتُ
من حبائل أسمائه لحظةُ الصيد ،
أوقفني في مفاجأة السنبلة /
لأستألفَ الطيرَ ، يُختدعُ الطيرُ لي :
اهبطي في سلام الغيوم البطيئة . . فلتهبطي
فرحُ القلب أعقدهُ سنبلاً سنبلاً . .
هذه لحظةُ الصيد :

سربُ الحمام يدخل أبراجَ ذاكرتي ،
كل ورقاء من نعمة الحرف تجدلُ عشَّ الكلام .

هو الطير .

هذا هو البحرُ محتشدُ النومِ تحتِ الملاءاتِ

والخضرةِ المعتمدةِ

تلاعبه في سريرِ التذكرِ شمسُ الكوايسِ والوقتِ ،

معصمه ازدانَ بالأرضِ أسورةُ

والبلادُ الفسيحةُ مرسومةٌ في مدارجه :

ها هي الأرضُ . . زهريةٌ من رمادِ الهشاشةِ

منقوشةٌ بالجعارينِ والخيَلِ ، مكتوبةٌ

في شظايا العروشِ «النواويسِ» أسماءُ من

ملكوا صولجاناتها ،

فوقِ فخّارها المتكسّرِ ما زالتِ القبلاتُ القديمةُ دافئةً

والخطى فوقِ وجهِ الجرائيتِ تصرخُ

بين حطامِ العواميدِ والبهو آلهةٌ تتكلمُ في

كتب الصلواتِ . . استمع :

ها هو البحرُ يلبسُ أسورةَ الأرضِ

يخلعها ، والنساءُ الجميلاتُ في جسد البحر يفتحن
لي طرق اللحظة الملكية خضراء معتمة أو
مشجرةً بالحرير الرمادي والحمرة القانية/
سماء الظهيرة مثقوبةً ،
ذهبُ الكون بهوي إلى الماء ، والبحر يفتح
قُفْلَ خزائنه :

ذهبُ صاعدٌ

ذهبُ هابطٌ

والقبابُ على حافة الماء تخلع قمصانَ شهوتها الهاربة/
وتطلق صرختها

- : راحلُ أنتَ والذهبُ المتوَحِّشُ في
لحظة المدُّ بيني المدائنَ يحشدُ في الماء
قطعائه المعدنية ، بيني على الماء أبراجه
والحمائمُ يسقطن من أفق الموت ؟

أم أنت تغسل قمصان صوتك في كتب
الماء تنتظر البحر تمشي على وجهه وتواخي - على
صرخة الوقت والمدن
المستفيضة للموت - بين النجيل المرابط في
قدميك وبين المسافة وهي تمدُّ طنائسها وترجُّ
على القاع مملكة النوم واللغة العذبة الجامعة ١٩ /

- : خلعتُ قميصَ دمي . . كلُّ ما فيه أسماءُ نخلٍ
من الغربة المستفيضة بين الأكفِّ وبين
العيون القريبة في الهمس ، أفعال موتٍ
مُقنَّعةٌ برماد الهشاشة . .
أرحلُ . .

هذا هو الرقصُ . . أنظره جسداً يتفرَّع
إيقاعه في الفراهة والعنف . .
ها جسدي يتفكَّك في الدهشة المستريية ،

صَيَّرَنِي الْمَاءُ مَاءً وَالْبَسْتُهُ صِرْخَتِي . .
جَسَدِي جَسَدُ الْبَحْرِ . . مَا بَيْنَنَا وَرَدَّةٌ حَيَّةٌ تَتَفَتَّحُ
تُغْوِي دَمِي بِائْتِلَافِ الرَّدَى وَالْفَحُولَةِ . . /

وَأَرْحَلُ . . وَالْبَحْرُ عَاصِمَتِي وَخُطَايَ ،
أَشَارِكُهُ شَهَوَاتِ التَّنَقُّلِ فِي جَسَدِ الْأَرْضِ . .
هَلْ تَفْتَحُ الْمَدُنَ الْمُسْتَفِيقَةَ لِلْمَوْتِ أَبْوَابَهَا
لِلْبَرِيدِ الْمَسَافِرِ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَبَائِلِ بِالْكَتَبِ الْجَارِحَةِ ؟

بَطِيئًا أَسَاوِرُهَا بَيْنَ قِلُولَةِ الْهَاجِرَةِ
وَبَيْنَ الضَّبَاعِ الْمُطِيفَةِ فِي الْحُلُمِ .
مَاءٌ ،

وَهَذَا هُوَ الْعَرْشُ . .

هَذَا كُرْسِيُّ الْإِنْسَانِ مَمْدُودٌ بَيْنَ مَخَاضَتَيِ الْوَطَنِ الْوَاسِعِ ،

مسقوفٌ بشملة الليل المرتخية وعواميد النهار المليء
بتغيرات الظل والنور
هذا كرسي الإنسان . . تعشش في مخرماته إلى
يوم الوعد يامة خضراء محجلة مؤتلفة بالأمومة
أكملها وتكلمني
تطيف على وجه الماء

فأنظرُ:

سيدة يتكشف عنها الزبد ويتفتح المحار .
هوت نجمة فاستضاءت ممالكها السبع ،
وانتفضت ناقة الماء منسوجة بالعروق المضئية ،
مر سحاب كثير ، وفي الأرض أعجاز نخل على هيئة
الآدميين مصفوفة في ممالكها ،
الغيم يرمي قناديله من فتوق الظلام السماوي ،
ينكشف الرمل في خفة الحلم :

سيدهُ يتطير بين ضفائرها سمكُ البرقِ والماءِ،
 ينكسر الأفقُ تحت خطاها . . فتَهبطُ،
 في الأرضِ أعجازُ نخلٍ على هيئةِ آدميينَ .
 تهبطُ سيدهُ الماءِ والبرقِ . .
 - : من أيِّ طينِ شَوَّتهِ المقاديرُ فخَّارةً، أي أنيةً
 أنتِ منها تَنضَّحُ نارا مبللةً وترشَّحُتِ عضواً
 فعضواً
 وقلبتِ بين يديَّ جنائِكَ السبعَ وانعقدتِ في
 سريري براعمِكَ اللهيَّةِ حتَّى استوينا قطافاً دماً ١٢

٢- فصل الأركان الملتبسة

للقبيلة نارٌ مرَّمدَةٌ . .

ليس من جوهر النار إلا دمٌ جمرةٌ في رماد التذكُّرِ ،
طقسُ القرى وشميمُ الشريدةِ والبنُّ والهيلِ صلصلةٌ
في بقايا القصيدةِ ،

نومُ النساءِ تخطَّفه فزعُ الحلم

كانت سماءُ زجاجيةٌ وغرايبُ سودٌ تدومُ

كالعصف . . كانت تدقُّ السماء فتثقبها

والشظايا المدماة تهوي ومن تحتها الطيرُ

والخيلُ أعناقها تتطايرُ

والنَّزفُ يعلو ويعلو . . فيفتحن من صرخة الرؤية

الجفن:

أرضٌ مدى يتشقق من ظمأ طال موسمهُ ،

والشموسُ الخفيفة ترمي الجريد المسقع ،

والعشبُ رملٌ تذرِيه بين المضارب لافحة الريح . .

خيمةٌ شَعَرٌ تداولها الخرقُ والرثقُ،

شمسُ الرَمَادَةِ ذائبةٌ في احمرار العيون ابْيَضَاضٍ

الشفاه المملحة،

انتبذَ الأهلُ من وقدة الصهد رملَ الجحيم يديرون

أرغفة اللغو بينهمو يأكلون الأحاديثَ تأكلُ

أكبادهم لهجاتُ التذكر، أيديهمو تتلقطُ جمرَ الحصى،

ويخطون في الرمل يستقرئون الطوالعَ والقَصَّ

يستنهضون العرافات إرثَ القيافة والزجر،

والشمسُ تدنو جمالتها اللهيّة . .

هم حَمَلُونِي شموساً تذيب اليرابيع والضَّبَّ . .

راحلتي ظمأ كدستهُ التواريخُ جوعٌ يؤاكلني جسدي . .

وأنا من زمان القبيلة أصطحبُ الغولَ أسمعُ

زَمْزَمَةً لا غتلام السُعالي مع الجنِّ

أحمل سَجْعَ الآليّةِ والموثقِ الصَّعْبِ،

والنهرُ وجهُ الطريدة بين سرابِ السّباب .

غَلَبَنِي الحالُ واعتَوَرَتْنِي وِرداتُ الخواس
وعوارضُ المشاهدة ،

وكتابُ الأرض يتقلَّبُ بين التأويل
فالملمُّ من صدأ الحروف قائم الأمر وقُسحة البصيرة . .

للبلاد أطرافٌ مبلَّلةٌ يغمرها الماء :

جدائلُ مخلولةٌ في البحر تنرسُّ عليها
بلورات الملح الفضي فيشتعل الرأسُ شيئاً
والطمثُ لما ينقطعُ

أقدامُ مرتخيةٌ تتناسل بين أصابعها السّراطينُ
والكائناتُ الهلاميةُ والصّدفيّةُ
وغراءُ الزواحف المتسافدة والأعشابُ المتوهجة . .
وبينها وبين الخطوة مسافةٌ دمٍ لا يجيء

فَمُ يَتَقَرَّحُ فِي شَفْتَيْهِ خُرَّاجُ الْكَلَامِ وَتَعَشَّشُ
الطَّيُورُ بَيْنَ أَسْنَانِهِ الْمَقْلُجَةِ . . وَيَنمو الطَّحْلُبُ
وَالنَّخْلُ عَلَى بَقَايَا الْفَرَائِسِ
وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَلَاغِ مَسَافَةٌ صَرِيخَةٌ مَطْفَأَةٌ فِي
الذَّاكِرَةِ لَا تَعْلُو .
يَدَانِ مَحْقُودَتَا الْأَصَابِعِ تَسَاقُطُ مِنْهُمَا الْحَنَاءُ
وَيَقْطُرُ الدُّهْنُ ،
فَتَشْتَعِلُ غَرَائِزُ الْقَرَشِ وَتَشْتَبِكُ الْحَيْتَانُ حَوْلَ
الْفِلَذَاتِ الْمُتَفَتِّتَةِ الْمَصْبُوغَةِ بِالْعَنْدَمِ وَالْعُنَابِ .
لِلْبِلَادِ شَكْلُ الْجَسَدِ الْمَسْجِيِّ الَّذِي يَحْمِلُهُ
قَتَبٌ مِنْ مَعْجُونِ النَّفْطِ وَرَمِيمِ السَّلَالَاتِ
الْمُتَخَمَّرَةِ وَغَائِطِ الْكَلْبِيِّينَ
تَسْمَلُ الشَّمْسُ عَيْنِيهِ :

أَوَلَيْسَ مِنْ مَاءِ بِلِ أَلَيْسَ مِنْ وَهْمِ الْفَرَحِ بِهِ بِلِ
أَلَيْسَ مِنْ وَهْمِ وَجُودِهِ فِي قَبِيْعَةِ هُنَا أَوْ هُنَاكَ !!

بل ماءٌ وجسدٌ نَقِيعٌ لا يفرق ولا يشرب
هلك الطالبُ والمطلوب ..

تَخْطِفُنِي الْجَنْدُ ..

قصرُ أبيك على النهر :
أعمدةٌ مرمرٌ يتعرقُ فيه تداخلٌ لون بلون
وصوتُ الخطى زَجَلٌ تتعالى القبابُ به
والسموات معصورةٌ تتقطرُ بين الثريات
نهرٌ وشمسٌ أسيران في السقف ؟ !
قلتُ : انتهيتُ وما كدتُ أبدأ ..
لم تتلقَ القبيلةُ بُشرايَ بالعشبِ والماءِ ،

وأما من أوتى وعدهُ كَظْمًا وألقيَ منه مِكانًا
ضيقًا مُقرنًا فسوف تصلصلُ مقاودهُ ويصلى
ندمًا يفري وحزنًا سعيًا وثبورًا ..

.. وهم يستقرئون الرملَ يخطون ويمحون ولو
يجدون ملجأ أو مغارات أو مُدْخَلًا لولّوا إليه وقد
استياسوا يتضعضعون
فمن يفتديني بصرخة مورقة أو عشب حليم تخضر في
مراحم التأويل أو غيمة وذق مبشرا
هلك الطالب والمطلوب ..

وقلتُ: احتملُ غمة البرمكين ، ليس لها دون
شعب الجزيرة كاشفة .. فجأة سوف يعلو
غبارُ الجزيرة الوية ..

قد تكون دما هامة يتأجلُ إرؤاؤها قد
تكون بأفواههم صرخةُ الفتح ..
قلتُ: احتملُ غمة البرمكين .. قد ثقلتُ في
يديك ورجليك أصفادهم وهمو
رغب طامع يتحشدُهم .. فاحتملُ ما

تري من عصامية للتواطؤ ، من
صلف الإدعاء المداهن . .

قلتُ احتملُ نعمةً تتقطر من أوجه البرمكيين عافيةً
وامتلاءً دم وامتلاكًا لظهر البسيطة ،
فلتحتملُ ما ترى من رخاوتهم
وتخلعهم باكتمال الخنوثة والكبرياء
فذلك بهو نواويسهم وهو غربتك
المستفيضة بالرؤع أسرك في الظما الحجري
وفيض الهواجس عض القيود علي معصميك ورجليك

همهمة للحديد وجائشة للمحبك من زرد الجند . .
ولت غواشي القلب في المشهد الوحش . .
وانشق من فلق الصبح وجهك يدنو
ويدنو كبارقة الغيم في صحراء القبيلة . .

هذا إذن قمرُ الماءِ يَرُسُفُ في مَرمرِ البرمكيين !!

واصطفَ خلقٌ كثيرٌ . .

فلما اشتبكنا دَمًا وافتديتُ الأسيرَ بهزّةِ رأسٍ
وأوسعتُ لي من مقامي وتَوَجَّشني بأجتلائك
عريانةً وتكسّرتُ بين ذهولي وخوفي اقتربتُ ابتعدتُ فقد
سطعَ القَسَمُ الصَّعبُ من ليل أسجاعه امتدَّ بيني
وبينك أفقُ المضاربِ وارتفعتُ خيمةُ الشَّعرِ في
المحلِّ وانعقدتُ غيمةً من جراد تشظي
تكشَفَ وشيُّ الزرابي وانحسرتُ متفثرةً رجفةً
الفيضان الحريري عن حاصبٍ من سماء تهْدَمُ . .

أهلةٌ فضيةٌ لامعةٌ من صوت الخَبَبِ قد
سلكتها طرفًا بطرفِ حوافرِ المهرة ،
يتراجعُ صداها إلى الوراء ولا يتلاشى ،

سلسلةٌ ممتدةٌ هي ، تربط آخرَ الخطى بأول
الطريق وشهقات الوداع المسجوع وهممة
العرّافين وأشكال الكتابة في الرمل ونقوش
التحاريق المشجرة بالظماً ورخاوة الموت المعرّش
بالرماد وشظايا الشمس وصواعق الغرايب
المنقضة على الجيف
فكيف والصوت والصدى حلق متداخلاً يعلو
ويعلو حتى لينبع من
ضربات القلب ورعدة الجسد الذي يطوى ويبسط من
من رهب واشتهاء . . فكيف . .
وهل هودج قمر مرمر ؟

٣- فصل المبتدأ المؤخر

استفارق السيدُ بغتةُ الرؤية في نفسه وفي الآفاق .
قال أفليست الأرضُ واسعةً والبلادُ مسرى ومقيل ؟
فخرج من الدمع ولبس إحرام الجماعة ،
وتمنطقٌ بوعي دمه وشهوة الشهادة وقوة
الفطرة العارية من كل كسبٍ واستباق
تلك ولادةٌ يعرفُ طعمَ زنجبيلها ونكهة
قهوتها وسليقة الأحاديثِ المرسلة
.. تلك سليقةُ البشرى :

جموعٌ أعينٌ شاخصةٌ
وموجٌ يعلوه موجٌ هو الهاجسُ المنتشر .
صخبٌ واصنطفاقُ راياتٍ ورغوةٌ من بهجة
الألوان هو النبا العظيمُ المتفَلَّتُ من
حدود الكلام وشبكة الصياغةِ الفاصلة

قالت له صاحبتُه : عَمَّ يتساءلون !
قال : «لقد مكر الذين من قبلهم فأتى الله
ببنائهم من القواعد فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
من فوقهم وأتاهم العذابُ من حيثُ لا يشعرون»
قالتُ : لا تَحْزَنُ . . أفليست الأرضُ واسعةً !
قال : فَلْيَسْقُطْ ما اسْتَعْلَوْا به وملكوا الأرض
وليدَمْدَمْ عليهم غضبُ الشعبِ بما أجرموا
قالتُ : عَذَّبَكَ صوتُ آبائك فاسمعْ لهم سَمْعَ الطاعةِ
وإنهم لرادُّوكَ إلى معادٍ هو طعمُ القهوةِ
ونكهةُ الهبلِ وشميمُ الخطبِ في نارِ القبيلةِ
فاحْكُمْ عُقْدَةَ الكلمةِ وامتلئْ بالمجازِ
قال : فإن لم تَقْضِ بي الأرضُ خَرَجْتُ عليها
ورفعتُ من خواتلِ المِجازِ ما يعرفُنِي به
أصحابي وأعرفُهم
فإذا جاء الوقتُ امتلأتُ بنا الشُّعابُ

قالت: وهذا هو يتتصف الليلُ
فهل متبر أنت ما أحكموا من كيدٍ مهما تكن
الظلمة فولاذاً صرحاً ممرّداً أو
بريق سيفٍ مُشرعٍ من الأقاصي له
مكاءٌ وتصدية!
«لو كان عَرَضاً قريباً وسَفَرًا قاصداً لا تُبعوك.»

قلتُ: يا قمرَ الماء . . بيني وبينك عُقْدَةُ عَشْقٍ
تشدُّ عُراها سَحَابَةً

تُنْقَلُ أَخْفَافُهَا مِنْ دَمِي لِلْفَضَاءِ وَتُعَلِّي
مَقَامَكَ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ فِي آخِرِ الْأَرْضِ .
لِلْأَمْهَاتِ الْعَجَائِزِ وَشَمِّ الْأَهْلَةِ وَالطَّيْرِ ،
أَقْرَاطُهُنَّ دَمٌ صَدَا يَتَقَطَّرُ دَمْعٌ تَوْرَجِحُ جَوْهَرَهُ فِي
اشْتِعَالِ الضَّفَائِرِ بِالشَّيْبِ غَابِرَةٌ مِنْ بَروقِ اللُّوَاقِحِ .
هَذَا أَنَا وَانْفِرَاطُكَ بَيْنَ يَدَيَّ مِمَّا لَكَ مِنْ
شَهْوَةٍ وَارْتِبَاكِ ، سَرِيرِكَ مَتَّقِدٌ بِالْعُرُوشِ الْخَبِيثَةِ
وَاللَّيْلِ جَمْرُ الْمَجْرَّاتِ وَالْحَلَمِ ،
قلتُ الْقِرَاءَةَ فِي الرَّمْلِ وَالضَّرْبُ فِي
كَلِمَاتِ الْحَصَى وَالرِّيَاحِ مَطَارِدَةٌ لَيْسَ
تَتْرَكْنِي فِي اسْتِتَارِي بِمَجْدِ الْغَوَايَةِ وَالْعَشْقِ . .
يَصَّاعِدُ الشَّعْرُ بَيْنَ عِظَامِي غَزَالَةً شَوْكٍ

تَرَكَضُ رُكُضَ الصَّدي فِي الْبُؤادي وَتَنْزِفُ ذَاكَرْتِي :

هَوَايَ مَعَ الرُّكْبِ الْيَمَانِينِ مُصْعِدُ
جَنْيِبُ وَجْشَمَانِي بِمَكَّةَ مَوْثِقُ
عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنْتِي تَخْلُصَتُ
إِلَيَّ وَبَابُ السَّجْنِ دُونِي مَغْلَقُ
أَلَمْتُ فَمَحَيْتُ ثُمَّ قَامْتُ فَوَدَّعْتُ
فَلَمَّا تَوَلَّيْتُ كَادَتْ الرُّوحُ تَزْهَقُ
فَلَا تَحْسِبِي أَنِّي تَخْشَعْتُ بَعْدَكُمْ
لَشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْسَرَقُ
وَلَا أَنَّ نَفْسِي يَزْدَهِيهَا وَعَيْدُهُمْ
وَلَا أَنَّي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ
وَلَكِنْ عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكَ صَبَابَةٌ
كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذْ أَنَا مَطْلُقُ^(١)

(١) من شعر جعفر بن علبه الحارثي - قتل ١٤٣ هـ.

تأولتُ رؤيَايَ، هذا الجنونُ الفقيرُ المقدسُ بالعشق
والملك والذهب الدمويُّ يتبادلُني جسداً بالمجازات
روحاً بوهجِ الخلائيلِ أسورةً بالقيودِ تعَضُّ على
معصميَّ، جنونٌ فقير
تأولتُهُ، وتكذبتُ رَمِي الحصى والكتاباتِ في الرمل
فليَنظروا :

مَلَكَةٌ أمةٌ في حبائلِ عبدِ أمير
وحوتٌ من المرمرِ الأرجوانيِّ يحملُ فوق
تعاريقه وزعانفه الذهبية بحراً رُخاءً
وزورقَ آنية فضة يتهادى على الماء،
بين الفضا والغيوم السرير
تَخَوَّفْتُ أن يعرفوني، تكذبتُ ما يكتبون على
الرمل، مَوَّهْتُ ما يقرءون

وأقبلتُ في زُخْرُفِ العشقِ
هَيَّاتُ من جسدي مثلما يفعل الميتون :
حنوطٌ وطيبٌ يؤخرُ ما يفضحُ الموتُ ،
أبْهَةٌ من هُوَيْنِي وخطو ثقيل ، وأقمطةٌ من
شيات ، وباذخةٌ كفنٌ من حرير
وأنت تَأَلَّفْتَنِي بوعودِ القيامةِ من جسدينا ومن
جسدِ الوقتِ ، قَلَّبْتَنِي بينِ حالينِ :
حالٍ هي العشقُ في مرمرِ الملكوتِ ،
وحالٍ هي المجدُّ في ملكوتِ الجنونِ الفقير . .

- : أهذا هو العودُ على البدء؟

- : أجل هو العود على البدء .

- : كيفَ وقد أصبحتَ اسماً من أسماء الذاكرة

ولأشجاركَ خشبٌ في المواقِدِ ورائحةٌ في

الوليمة التي تتسع لوافدين يتزاحمون !

- : في البدء كنتُ - بين أمي وأبي - اسماً من

أسماء الحلم وطقساً من طقوس الماء المشمولة

بغيش الفجر وأباريق الفخار واللبن المرّ

وبقايا الحناء على الكعبين

وكانت قصارُ السورِ تنعقدُ خيمةً على

استِثلافاتِ الصبّا وإيقاعاتِ الضحى والليل

إذا سجي

هو العودُ على البدء

الليلُ والنهارُ بوابتان على طريق المملكة

أبي عن يميني وأمي عن شمالي والبلادُ تخلع

لهجةَ الطفولة وتعلو منصةُ الكلام الوعدُ والوعيدُ

وتتندُّ حصيرةُ للخوفِ والجوعِ ومخدةُ للكوابيس

والماءُ جمرَةٌ التذكرُ الموقدة

أنفخ فيها وأنظر ما وراء زخرف الصخر

ومرمر المجازات

لأشهد كيف يكونُ مجدُّ الينابيع المنتفضة .

عقدةٌ من صفائركِ انفرطت بين كفيَّ

خامرني من عصافير حنائها وروائحها طائفٌ من دوارٍ ،

وزلزلةٌ لم تكذُ تعتريني حتى رأيتُ سهيلاً

يلامحني من ذواباتها ،

والثريّا المدلاة فوق السرير تؤرجحُها سِنَّةٌ من نعاسٍ .

ومرت سحابة
 تحلُّ عُراها وتفتح أزوارها، استّرت في
 زجاج السموات وانكشفت ومضة ومضة وهي
 تخصفُ تاجاً من السَّعف الغضُّ،
 بين يديها تهبُّ الرمالُ المضِيئةُ والطيرُ عاصفةُ
 والمياه تصلصل بين السموات صلصلةً تتقَبَّبُ
 ناشرةً في الفضاء البعيد جناحين من ظلمة الفيضان،
 فهل ناقةٌ هدرت فانتبهنا على
 مرمر القصر يخلع أقدامه من مواطئها،
 القصر يرفع مرساته ويللملم خطواته الحجرية
 من مقلع الأرض يرفع أعمدة من
 دخان وأتربة تتموجُ في الريح؟
 هل ناقةٌ هدرت فالرَّواقُ المهْدَمُ يرجفُ
 بالماء يَزَلْزَلُ الهودجُ الملكيُّ وتهوي

السلاسلُ فالأرضُ مفتوحةٌ لجةٌ؟
أم تأولتُ رؤيايَ فاتَّقدتُ من
سريركِ غاشيةٌ من جنونِ المجازاتِ !!

فَرْحُ بِالنَّارِ

مضتْ حَقَبٌ لَيْسَ يَدْرِي أَوَائِلُهَا أَوْ خَوَاتِيمُهَا
أَحَدٌ غَيْرُ مِيرَاثِهِ مِنْ دَمٍ مُلْكِيٍّ وَفَطْرَتِهِ فِي
مُغَالَبَةِ الْمَوْتِ بِالْإِرْثِ أَوْ فِي غِلَابِ السَّقُوطِ عَنِ
الْعَرْشِ بِالنَّسْلِ أَوْ بِانْتِشَارِ مَلَامِحِهِ فِي
السَّلَالَةِ أَوْ بِانْتِقَالِ الشَّرَائِعِ وَالصُّوْلَجَانَاتِ فِي
الْخَلْفِ الْوَارِثِينَ
وَهُمْ - وَاحِدًا وَاحِدًا - يَجْلِسُونَ عَلَى الْعَرْشِ ،
يَحْيَوْنَ ، آخِرُهُمْ مِثْلُ أَوَّلِهِمْ ،
فَإِذَا أَزَقَتْ لِحْظَةُ الْمَوْتِ مَاتُوا كَأَيَّهِمْو :
مَلِكُ الْوَقْتِ يَجْثُو عَلَى رِكْبَتَيْهِ وَحِيدًا يَقْلُبُ
عَيْنِيهِ فِي مَلَكُوتِ الظَّلَامِ وَيَسْمَعُ أَهْوَالَ
صَوْتِ السَّمَوَاتِ إِذْ تَتَفَتَّقُ أَفْلَاكُهَا
وَانْفِسَاحَ الْبَسِيطَةِ إِذْ تَتَفَجَّرُ أَجْدَانُهَا عَنْ
دَوِيِّ التَّوَارِيخِ ، يَسْمَعُ مَا التَّطَمَّتْ فِي دِمَائِهِ

وأنفاسه من دهور الترقُّب والحذر المتوحِّش
وهو يرى كيف فاضت عليه الممالك تُأكلُ من
مُلْكه وتراث السلالة حتى تساكته جلده ودماه،
وكيف يفيض فينحسر الآخرون إلى آخر الظن . .
حتى إذا اقترب الفجرُ ألقى عباءته وانتضى شِكَّةَ
الصيد والحرب، أرخى شِكْمةَ مهرته منصتاً
للنداءات مُزَلْزلات يُناوشنه عن خطاه،
جوارحه يتلفتن، شِكَّتُهُ تتفصد من صدأ
وارتعادة حمى، وتعروه غاشية الفجر
بالفرح المتفجّع، يُغريه بردُ الندى وانفساح
البسيطة بالصمت والطير،
تعلو نداءاته :

يا زمانَ الولاء المبعثر كالريح هل
عصفت بحدودي عواصفك المستسرة
فالعرشُ منغرسات قوائمه في

المسافة بين الشهيقي وبين الزفيرِ
أم انحسَرَ الواغِلونَ
فمملكتي آخرُ الظنِّ أولها !!

والولاءات . . هل فتحت في جدالاتها
الأفقَ فانهمرت من ثقبِ السموات
ألويةً وينودُ تزمجرُ فيها الطواطمُ داميةً !!
وعقَابُ السلالة . . هل من مسافة
رفرفة غيرُ ما ترفُرُ الروحُ من حسرة،
غيرُ ما حَزَزَتْهُ الأسنَّةُ فوق المَخَنَّق !!
صيدُ أناوشة في الطرادِ أم الموتُ
ينسجُ أشراك غيلته

يا زمان الولا . . لا . . آ . . آ . . ت . . تي . .
ملك الوقت يأتي - ككل ملوك السلالة - شكَّتهُ
تتلامح منها غواياتُه طعنةً طعنةً،

والجراح تنزُّ بنابيعُها تحت مغفره وهو منفرطٌ
تساكب أعضاؤه من سنايك مهرته
فالنجيعُ على الأرض وشَمُ الأهلَّةِ . .
أنت طقوسُ المراسيم والدفن :
هذا أنا وارثُ الوقت . . لفلقتُه في الجراحات ،
شكَّته كفنٌ و ترابُ السلالة والرملُ والطمي طيبُ
الحنوطُ

وَأَرْقَدْتُهُ جَنْبَ جَدِّي «تَنْظُمُ الْعَائِلَةِ»
صفوفاً من الشهداء ترأصفُ أجدانها جدًّا جدًّا،
وابتدأتُ زماني :

أنا صاحبُ العرش والصولجان
تَفَرَّدْتُ فِي الْمُلْكِ . . ما من رعايا سوى شبحي
المتفَلَّتِ فِي الظل والنور، مملكتي الضدُّ، رؤيا
اصطخَاب من الإحتمالات، مَسُّ جنون من
الانتظار المُرَابِطِ فِي عاصف المدِّ والجَزْرِ . .

لي امرأةٌ كلَّلتُ رأسَها الشمسُ وانفتحتُ بين
هالاتِ حنائها مدنُ اللونِ وانتشرتُ حول
سُرَّتِها الأنجمُ العالية
وألقت قميصين من زخرفِ الطمي :
هذا قميصُ المسافاتِ - في - الضوءِ
تلبسُهُ خطوةُ الطينِ في برعمٍ يتنفسُ في
حَجَرِ الإحتمالاتِ ، تلبسُهُ الشهواتُ المليئةُ والرحمُ
الثقَلُ

خطفتُ عَظِيَّتَها (والعطايا اختطافُ)
وحاصرني وجهُها . . فأنا النهرُ وهي الضُّفافُ
وبعثني رقصُها . . فأنا البرقُ وهي الرياحُ

لا ظلُّ العُقابِ مرفرفٌ ما بين أجفاني
في عارضٍ يرقضُ منه برقهُ القاني

فقرأتُ في أطرافه أسماءَ آبائي وعنواني :

ميمٌ: يدٌ مغلولةٌ في طمِيها الواري
والزند في بازلته العاري
أوتادُ نارِ السَّقَطِ في
كهفِ البلادِ المعتمِ الهاري
والطاءُ: عنقاءُ انتظارِ لَبَّتْها في
زمانِ القشِّ والأحطابِ تأويلاتٌ ما
خَطَّتْه في رَقِّ الوصايا مهرةُ النارِ
والراءُ: وشمُّ السُّنْبُكِ المفطورِ من
سُهدِ الرِّباطِ الصَّعبِ في ليلِ الثَّغورِ،
القوسُ في الشَّدِّ، الهلالُ الفضةُ،
المهمازُ بين الأفقِ والينبوعِ، دمعُ
جمرةٍ ما بين أجفاني.

وهذا قميصُ المسافات - في - الليل :
أنت الفضاءُ المقبَّبُ والحِثُّ لي ،
بيننا كان ماءُ الترائبِ والصُّلبِ يغلي بأسمائه ،
وأنا فوق نهديك دائرتا حمرة تتكحلُّ ،
من جسدي قد منحْتُك مملكةً فتَجَلَّيتُ :
هذا هو الأفقُ مسجورةٌ في نوافذه الشمسُ ،
والنومُ جميزةٌ والعصافيرُ مسكونةٌ بالشجر
وتحت الخطى غيمةٌ ، وشرارةٌ برق تطايرُ في
ودق الطلع ، والنهرُ مختبئٌ في زبينة نهديك ،
أذكرُ طينَ الجسور التي كتبتها المواويلُ في
راحةِ النهر ، أذكرُ :

موال.. من حداثق.. امرأة:

عينُ يا عيني ياليلي يا ليلُ

أنا الخطى . . وفي دمي الطريق

أنا الذي تزرعُه الكتابةُ

في الريح أو تطرحُه في القشُرُ

منطفئًا وساقطًا في نفسه ،

وضاربًا جبهته في الصَّخرُ

كي يفتحَ المجهولُ في مملكة الأشياءِ

الحائطُ المقامَ دون وجهه والقبرُ

ليلُ ياليلي يا عيني يا عينُ

أنا الذي يحمل من مدائن الرعب مفاتيح الكنوزُ

فتطلعين . . هوةً مليئة واقفةً في طريقي

وتسقطين في كل خلية من جسدي

فأبدأ التَّخارجَ الأولَ بالسقوط في الرموزُ
يا عيني يا عين يا ليلي يا ليلي

في نَفسي لما تزلُّ روائحُ الطُّحلبِ والشرارةُ
وشهوةُ النسيجِ على مناسجِ الأسماءِ
أحمل في أصابعي الخاتمَ مَنْ طينتكَ المواءةُ
بالسرِّ والبكارةُ

إن قلتُ يا أشجارُ
تفجَّرتُ في الجسدِ البراعمُ الخُضرُ وسقطتُ
في فمي الأثمارُ

إن قلتُ يا سماءُ
تكوَّرتُ في فلكِ العينينِ
كواكبُ الظلمةِ النهارُ
إن قلتُ يا خليقةُ
تجسَّدتُ في زهرةِ النهدينِ

وَالزَّغَبُ الْمَشْمُسُ رَجْفَةُ الْمَدَائِنِ الَّتِي
تُولَدُ فِي تَوْحْدِ الْأَنْسَابِ وَالْكِتَابَةِ
يَا لَيْلِي يَا لَيْلٍ يَا عَيْنِي يَا عَيْنِي

أَتَعَبَنِي السُّكْرُ وَأَثْقَلْتُ ذَاكَرَتِي مَوَاسِمُ الْفُطَافِ
أَسْنَدْتُ رَأْسِي مُثْقَلًا بِالشُّعْرِ وَالْقُدْرَةِ
أَغْفَيْتُ . . أَعْضَائِي هِيَ الْأَرْضُ الْوَسِيعَةُ
وَالْخَلِيقَةُ قَبْضَةٌ مِنْ طِبْتِي
وَالنَّاسُ أَبْنَائِي
يَا لَيْلٍ

موال المغني

ناديتُ لو أسمعْتُ أو بَلَّغْتُ . .

ما كان امتدادُ النهر في طينِ الكلامِ
إلا بلاداً من دم الصَّلصال ، والأرضُ
استنامتُ تحت بلور الظلامِ
فاذاً وبَّتْ فيه ، وأرُخَتْ

مهرةُ الأرغول مشدودَ اللجامِ
كان المغني في انفضاضِ العرسِ
والسمارِ يبكي عشقه عاماً فعامُ
عيني ويا ليلي وآه

وجهُ البلاد المبهَّمُ المفطورُ في الرؤيا
اشتباكُ الطير في عَصْفِ الغمامِ
والنهرُ يعلو . . ضِفَّتاه رَحمةً من

سابع النوم، السواقى لا تنام
إلا على جرح ونزف يسكن الصلصال
والموال في خبز الفطام
عيني ويا ليلي وآه

أسمعتُ لو بلغتُ . . كانت في جُروفِ
النهر أشباحٌ، وأعشاشُ اليمامِ
منقوشةٌ بالدم ما بين الخطى والطمي،
فجرٌ من دمٍ في النهر عامٍ
دوامةٌ أرختْ ذراعَيْها وثوبيها
ووجهًا من قماطِ الموت قامٍ
ليلي ويا عيني وآه

كان المغني طافيا فوق المياه
يمشي به النهرُ الثقيلُ الخطو من

أهل إلى أهل ومن عامٍ لعامٍ
بَلَّغْتُ . . لو ينشقُّ عن وجه البلادِ
المبهم المفقورِ صلصالُ الكلامِ
عيني ويا ليلي

لمن هذه الأرضُ، هذي البلادُ التي
 اقتحمتها البلادُ وأهوتُ بعنقودها حبة حبة،
 هذه الأرضُ والأرضُ تَلْتَمُ من حولها عُصبة عُصبة
 والمدى قَنَفَذَتْه الرماحُ،
 البلادُ التي انفرطت من جراحاتها كالقنيفة
 بين الأكف . . لمن ! !

لبستُ من الرعبُ دَرَاةً، قلتُ حصنُ الكتابةِ
 آخرُ ما يَمْلِكُ الملكُ المتوحدُ،
 تَلْتَمُ فيه خيولُ الدمِ المتحولِ .
 كان الزمانُ زمانَ الكلابِ التي اغتَلَمَتْ
 بالكتاباتِ فانطلقتْ تتهارشُ والجيفةُ الملكيةُ
 تنحلُّ، والأرضُ أحييتُ ليالي غرائزها بشواءِ

الدم الأدمي وهذا النباحُ له ثمنٌ :

١ - يتساقط معنى الكلام ويهوي اغتلامُ
الكتابات تبقى المسافات مهجورةً والخيولُ
المخيفة تأتي الوجوه المخيفة تأتي .

٢ - تساقط لحمُ المعاجم عن عظمٍ هيكلها الهشُ
وانفضحت رمةُ الفعل في صيغة خشب للتواييت ،
والإسم يسكنه زمهريرُ الخواء ، الدلالاتُ في
بائن من طلاق الإشارة والحس ، يستبدلُ
النحو أركانه ، ثم يبقى الكلامُ مسافةً رملٍ
تُعسكر فيها الدمى والجيشُ الغريبة .

٣ - إذا انفسختُ في الكتابات نافذةً الأفق بين
التقية والسر ، بين القناع وديمومة الرمز . .
فلتكبري في ظلام الكوايس أيتها الشمسُ ،

ولتنسجي عقدة الدم يا رجفة للمخاض المباغت
يا رجفة الرحم الواعدة .

٤ .. وكانت بلاد الطواغيت سجادة تتقصّف فيها
رسومُ الشجر

وتطوى أمام المغيرين ..

تطوى .. فتعلو عمائرها ..

تتمطى بلاد من الرمل والريح ..

كان المغني يغني : « امنحوا وجه هذا الحجر

قداسة خطواتكم واخرجوا ..

واكتبوا وطنًا يتفتّق كالجرح . »

كان الكلام

وكان الممالك يقتسمون رغيف الشخاسة

يرتدّ وحش الكلام

خطوطًا من الموت مكتوبة في جيبني

يقلّبها البرق والرعد

حتى مخاض الحريق المفاجئ .

٥ - هو الماء يشتعل الآن في النهر . . كيف

النجاء لكم أيها السابحون مع الماء أو ضده

والمراكب تهوي مفككة (ليس من عاصم)

والخطي غرق

والمسافة بيني وبين بلادي وعرشي

دم وتماسيح النار !!

٦ - أرى . .

خطوة الشمس أوسع من ملكوت الفجيرة ،

أعمق من قشرة الصدا المتكشف فوق رغيف

البسيطة ،

أبعد من آخر الظن ، أقرب من نقس الرثين .

أرى خطوة الشمس . . والأرض مهمازها والرياح

الطليقة مهرتها ،

فاضربي يا شمس الكواكب في خشب العرش
وليسرّح السوس فالأرض بوابة والردى في
البلاد الطريق،

الحريق المفاجئ دواءة تتمدد في أفق الاحتمالات،
والشمس تسرع . . كانت تفر الأقاليم من تحتها
تتداخل مخطوطة الرمل في أحرف الماء
والورق المتطاير يلتصق في مصحف الخلق
والشمس تسرع أبعد منا وأقرب
والوقت يرفع نيرانه الفوضوية، يحمل آيات
غربته وطناً للولادات والاحتمالات . .
والشمس تسرع أبعد منا وأقرب . .

أهاربة أنت عريانة تحت قشر المسافة
 أم أنت طالعة مثلما يطلع النهْدُ مستورة؟
 أنت تاج من القش يلبسه ملك الوقت منتظراً
 لحظة البرق خطف الحريق المفاجي؟
 أم أنت قافية تتوقد نحت رماد الكلام؟

وهذي المسافاتُ سر والكَ المتفتق يتغل من
 تحته الخلقُ يكسو عظامَ دفائنه اللحم،
 أم أنت عصفورة تتنقل جمرتها في غصون الحواس
 وتفتح في خشب الإرث باب الغمام فتصهل خيل
 الينابيع في جسد الأرض؟
 واحدة أنت والكونُ أسماءُ وجهك أم أنتِ

جميزةٌ في فضاء الخليقة أوراقك الخضرُ طعمُ البلاد
وظلُّك بيتُ الزواج المقدسِ ، في جذرك
الحيُّ يزدهم الماءُ والطمي ؟ !

قومي سطوعَ القيامة ، واصْأعدي من دمي . . أنتِ يا
شهقةَ الإحتمال المفاجئِ يا قرَحَ الأسئلة
فهذي عصافيرُ جمرك مكتوبةٌ
(قفصٌ كلُّ شيءٍ وأفقٌ يفتِّحه الحلمُ)
نائمةٌ أنتِ مصفودةٌ والصفائرُ معقودةٌ ،
بين ثدييك يساقطُ النومُ ، والماءُ والطميُّ فرشُك ،
والريحُ مكتوبةٌ في صراخِ المواويل . .

قومي اصعدي من دمي . .
أنتِ نائمةٌ حولِ حقْوَيْك يلتفُ
عقدُ القوى والمدائن . . أنتِ ممددةٌ

(كلُّ شيءٍ سريرٌ وعاصفةٌ تفرك العينَ بعد النعاس)
ووجهك أروقةٌ في خراب الممالك . .
هذا أنا ملك الوقت . . تلتَمُّ فوق بساطي الخليفةُ ،
أدخل في كل بيتٍ ، وفي كل بيتٍ رعاياي ،
ألبس طمي القرى خاتمًا ولسانًا لسطوة قلبي ومدرجةً
لبلادي التي سوف تشهدُ :
هذا هو الصولجانُ الذي
يغزل الريحَ والبرَّ والبحر . .
فلتأكلوا ما زرعتم ،
أقيموا ولائمَ عهدي . . فهذي هي النارُ ترقصُ أثوابها
وتمدُّ خطاها على فرح الأسئلة
فتمنحها شكلها في مرايا البلاد . .

فَرَحٌ بِالْتَرَابِ
« قِصَائِدُ »

مفتتح أول

طلّقةُ الماء الزجاجة برصاصتها الشفافة
سدّها البحرُ - بين النوم واليقظة -
فأردتني عشقاً ،

وغُشيَ عليّ من وهج الظهيرة المبتعدة . .

أطرافي مهرةً والبحر ربيعٌ من ليونة الجسد الذي
يمدُّ لي موائده بالجوع أطباقاً أطباقاً
وأحلامي طيورٌ متوحشةٌ فاجأها الليلُ بالخيرةِ
ونداء المسافة

أربعون باباً هي مزوّلةُ أعضائك المفتوحة على
ينابيع الطعام والشراب
أكلتُ وشربتُ ،

نظرت إلى أقدامي فرأيتُ الخطوةَ ولم أر الطريق
أربعون باباً أجيئك منها بعدد السنين
أكتسي دماً ولحمًا وأتكلم ولا أولد .

شمسُ منتصفِ الليلِ وقمرُ الظهيرة :
هل هذا هو اقترانُ الوطنِ بالنفي
واللغة بفزعِ الكهوف ؟
هل هو ميقاتُ استطالةِ الظلِّ أم موعدُ
لفطرةِ الينابيع أزقتُ تفجُّراته
لتكتملِ أعضائي وتنفرطَ فواصلُ ومساحُ إيقاعاتِ
أقولُ أنا المولود من أربعين امرأة
هذه بطولةُ الانتظارِ وتعثراتُ الخصرةِ البطيئة .

مفتتحُ ثانٍ

أربعون باباً . . تشتبك منها الدوائرُ وتتشاشجُ
الدهاليزُ وتفرغُ أشجارُ الدَّرَجِ صعوداً وهبوطاً
يفاجئني صديقي «زينون» الإيلِّيُّ ويفتح المسافة
بين السهم والأفق

وعملاً فراغ الأوراق بوحشية السباق بيني
وبين سلخفاة البداية وكلمة الفتح
ويفاجئني صديقي النَّفْرِيُّ بوردة الماء المدمِّمِ ووهج
البحرِ وطعم الهواءِ المالح
فأشتهي الخبزَ وأنتظر الوقتَ وطفولة المسامرة
والكشفَ وإيدانَ الدهول
أنا المولود من أربعين امرأة

أترى بصُّ لهذيان التذكر وجموح الأشكال
فالأرض مُحدَّوْدبةٌ على حصاد الموت وقواريرِ
الظما المعتنق

فهل أنت على أهبة أيها الساقى
لتنقُصَ أختام الطين وتمدُّ المائدة بالكئوس
وشظايا الطعام وأحزمة العشب المحنَّط والزيتون
أم تتلَّفت كما يتلَّفت الرأسُ الساقطُ من شجرة الجسد!
وهل أنت - بين من مضى ومن يأتي - خليفةٌ
على المسافة بين أول خطاك على حصباء الموت
وأول خطاك على عتبة الزلزلة!

ها هو نهر يجلس القرفصاء
يفكُّ سيورَ خفية المجدولين من البرنوف
وليونة العشب

عباءته من هشاشة القشّ وصفائر السنابل
 تطرّزها أزهارُ القرطمِ والزَّغَلْنَتِ
 تتدلى من عُراها أربطةُ العليقِ وأزرارُ
 الرِّمانِ الساقطةُ من وردةِ الدم السنوي
 ها هو يتجلى كائنًا نباتيًا مزدحمَ الأعضاء
 بالطحلب والبشّنين ورغوة الخضرة والرائحة الميتة
 والليل يساقط من أطراف الأيدي
 وبين الأصابع تتلاصق الأحجارُ بيوتًا مغلّقةً
 النوافذ ومجهولة الدهاليز
 فهل أنتِ امرأةٌ لأن الملوك يزدهمون بين القميص
 وبين تضاريس الجسد؟
 أم أن الملوك يحاصرونك لأنك امرأة؟
 أم أنتِ امرأةٌ لأن نهديك وفخذيكِ مقاصيرُ

للشجر المكتوب على أكف الليل والنهار ودوامات
الريح؟

كشف الليل عن ساقيك وانتصبَ عمودُ الصبح
بين نهديك أرضٌ ممدودةٌ ليومٍ موعود
وهذا قرانُ العناصرِ
تساقطُ عنك دَرِيثَةُ الحطبِ والشجرِ اليابسِ
وتعلو شجرةُ الأفقِ
والنحلُ البريُّ يبني سداسياته في صحنِ السرةِ الناضجةِ
فيسلكون حولك مسالكَ الريحِ صفًا صفًا كأن
على رؤوسهم الطير
ذلك أوانُ الفرحِ والموتِ
وأنتِ من كل شيءٍ ينبوعٌ ينتفض بالحمى
وصرخةٌ تفرفرُ في دمها

تلك آيةٌ لمشيئة الغضب وقيامه الأرض السابعة
فانظري . .

ها هي الشمس مقطوفةٌ من براعمها
نثرت من قطيفتها زغباً فوق بُرج الولادة
تكتبين الألفَ خطوة ساقطة كالقذيفة
على لحم الورق المستسلم
وتكتبين الباءَ سريراً يترجرجُ على زئبق اللغة
تتعلمين الأرقامَ والحساب :
هذا هو الواحدُ . . ملفتٌ بالفرادة ،
منتشرٌ وكثير

ترسمين الأربعة بيتاً من طابقيْن مفتوحاً للرياح والمطر
تجمعين فتَحْبِلُ الكائناتُ باحتفالية الزَّوْاج
تطرحين فينسلخُ النهارُ من الليل وينفلقُ النوى
ويخرج الحيُّ من الميت

تقسمين فتمتلئ السلالُ سمكًا وأرغفة
تقفين على عتبة الألوان وإغراءات المساحة
والأقلامُ شجرةٌ مقطوعةٌ من قوس قزح
يسكنها النومُ المجنونُ بالصور
وتعشش فيها طيورُ الحلم والرغبة
تتقدمين خطوةً إلى أبهاء الشكل وأروقة العبارة
فينقلبُ كلُّ شيءٍ
ينقلبُ كلُّ شيءٍ . .

١٩٧٥

مفتتح ثالث

هل قلتُ إن الأرض أقرب من دمي ،
إن الدم الفوار طميٌ من خرائطها
ومشويٌ من القرُميد يدفق بالسلاات القديمة
والرفات من الخرائب ؟ !
قلتُ صلصالٌ وفخارٌ هو الدمعُ المبادرُ والمقيم ؟ !

قلت البلادُ قريبةٌ ليست تمرُّ الشمس من دوني
ولا ترمي الرياحُ عباءة الغيم الرحيم
إلا وكنْتَ تشقُّ الألوان في شفقٍ انهمارِ الفجرِ
والإيقاعِ في الأمطارِ ،
ليست موجاتُ النومِ في الرؤيا وليلِ الخلقِ
في صبحِ السديمِ

إلا خطايَ الباحثات عن البلاد المستكنة في البلاد . .
قلتُ البلادُ قريبةٌ . . فيدايَ مُسَرَّبٌ لمحضِ اللّمس
فوق خلّاتِ الملكوت فيها بين طلعِ شهوةٍ
متوقِّدِ الودقِ العميمِ
فالريحُ حُبلى والدمُ اللونيُّ معقودُ سلاّلاتِ
وانساباً تُواشجُ خفّةَ الطينِ المقدسِ
وانفجارِ الأرضِ بالميلادِ
.. بين الماءِ والجذرِ القديمِ -
فالأرضُ أرختْ ظلّها المكدودَ من طمثٍ وخلقٍ واشتهاءِ
ويدايَ مُسَرَّبٌ لمحضِ اللّمسِ . .
عشرٌ من نوافيرِ الخواصِ . .

هذي هي البطن التي استرخت قباباً ليس
يعروها سوى حمى يديّ، الريحُ إيقاعُ الزيارةِ
والخطي من لفحِ أنفاسي
ومشوبُ الجنونِ نعومةً في سنبِلِ القمحِ

الخشونة في انحدار العشب والوديان مشبوب الجنون
وأنا أمد يدي

فيما بيننا بحرٌ وصحراءٌ ومشبوب الجنون
والأرض أقرب من دمي . . فأنا اختياري الأرض
والأرض اختياري ، والمواثيق التي انعقدت
بغيب الدرّ في الأصلاب يشهد مغزل
الأفلاك والفجر المرفرف تحت عرش الله أن
النطق بالإشهاد مختومٌ بوشم دمي وطيني
النطق يشهد أن رَقَّ الموثق المعقود ما
بيني وبين الرب يفتح أضلعي في لوحه المحفوظ . .
فانطق يا يقيني

وانفخ دمي في الصور ، ولتشهد يميني
أن المدائن والمدافن تحت محض اللمس يرجف
من رواجفها انفجار المشهد البومي بالرقيا .

وقت ما

لموت ما

للرياح محلولُ العباءة أم لوجه الشمس ما
ذرَّ الترابُ على جبينك من نحاسِ الفجر!!
مهرُك اسنهلَ صهيلها ضبحاً
صداه الغيمُ والظلُّ الخفيفُ
على اتساع الأرض والفلوات،
تعلو خطوة الشمس التي تعلو كأن المهرة اشتبكتُ
بمهماز الفضاء وأنت تعلو فوق صهوتها
المطهّمة الركابِ بنجمة الصبح الأخيرة
ليس للشمس الوليدة في قماط الفجر أن
تتشعّ الحناء منها في ذؤابة شعرك المرخى: لها مسُّ
الحوافر . . دونها وهجُ الركابِ بنجمة الصبح الأخيرة .
ليس لليل المولي في سهوب الفجر أن

يَلْقَاكَ عَدُوًّا مِنْ بَرَارِيهِ الْقَدِيمَةِ : أَلْفَ
عَامٍ وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ يُتَسَخَّخَانُ وَجْهَكَ
لَا تَضِيءُ وَلَا تَذُوبُ وَلَا تَنَامُ وَلَا تَقُومُ
وَأَنْتَ فِي الْفَيْئَةِ الْأَرْقِ الْمَنُومِ لَسْتَ تَسْمَعُ
غَيْرَ نَزْفِ الْأَرْضِ فِي وَدْقِ الرُّوَاعِدِ بِالْأَسِنَّةِ لَسْتَ
تَسْمَعُ أَوْ تَرَى إِلَّا تَرَابَ سَلَالَةِ النَّوْمِ الْمُورِقِ إِذْ
تُذَرِّيهِ السَّوَافِي الْعَاصِفَاتُ وَأَنْتَ تَعْقِدُ عُقْدَةَ
النَّارِ الْكَظِيمِ وَتَصْطَلِي حُرْقَ التَّذَكُّرِ وَالْحَنِينِ
. . . فَهَلْ لِمُحْلُولِ الْعِبَادَةِ هَذِهِ الرِّيحُ الْفَتِيَّةُ
أَمْ لَوْجْهَكَ مِنْ نَحَاسِ الْفَجْرِ مَا ذَرَّ التَّرَابُ !!

أَلْفٌ مِنَ السَّنَوَاتِ كَانَتْ أَلْفُ بَابٍ
يَأْتِيكَ مِنْهَا السَّيْلُ وَالطُّوفَانُ
يَجْرُفُ مَا انتَظَرْتَ مِنَ الْأَجْنَةِ . .
أَلْفُ بَابٍ

تَتَفَقُّ الْأَفَاقُ مِنْهَا بِالْهَزَائِمِ وَالْخُرَابُ
تَجْلُو بِعَظَمِكَ فَضَّةَ الْأَصْفَادِ
عَلَّ بِجَوْهَرِ الْقَيْدِ الشَّكِيمَةِ وَالرَّكَابِ
غَالَتِكَ فِي الْعَشَقِ النَّسَاءُ فَهِنَّ أَطْلَالُ مِنْ
الْفَتَنِ الدَّوَائِرِ فِي نَشِيجِ الْإِغْتِرَابِ
طَلَعَتْ عَلَيْكَ جَمِيلَةً فَرَعَاءُ فِي وَهَجِ الضَّحَى الْعَالِيِ
وَأَنْتَ مُطَوِّحُ الْأَعْمَاقِ مَا بَيْنَ الْحُضُورِ الْبُورِ
وَالْخُصْبِ الْغِيَابِ
طَلَعَتْ وَخَلْفَكُمَا سِرَادِيبُ الْمُلُوكِ الْأَقْدَمِينَ
يُضِيءُ فِيهَا مِنْ شَبَابِ الصَّخْرِ عَشَقٌ بَازِعٌ
قُلْتَ: انْتَهَى طُوفَانُكَ السَّرِيِّ . . هَذَا مِنْ
شَطَائِبِكَ الْقَدِيمَةِ قَدْ أَتَتْكَ حَمَامَةٌ بِيضَاءَ تَحْمَلُ مِنْ
جَنَى فَوْضَاكَ مِنْ غَرَقِ الْقَصَائِدِ فِي وَحُولِ
الْخَلْقِ وَالْإِلْهَامِ غَصْنًا مَشْمَرًا . .
قُلْتَ: اتَّبِعْ أَهْوَاءَ رَقَصَتِهَا وَبَعَثْ مَا تَبَقَّى مِنْ

بكائك أو رمادك في غوايات الضحى أو في
غوايات الصّواهل من حروف كلامها أو
لثغة الرّاء المهيّجة . . اتّبع بهو الملوك الأقدمين
إلى أوائل دهشة الإنسان للدنيا وصورة ما
تجلى من ضرام العشق للأرض الوسيعة
والسموات المضوّاة القباب
قلت: اتّبع رقص الغزالة فهي تُغوي في
دمائك لهفة الشّعر المزلزل والحنين الصعب . .
لا تدري أنغويلك القنيصة أم هي الصيادُ يرقبُ
بغثة من غفلة الأنس الرحيم فتدريك بما
يشفّ وتتشني ودماك تشخبُ
قلت: أثبعها . . وفي بهو الملوك سبعقد
السحر المرمّد في السرايب السحيقة عقدة
الفرح الخفي فتستجيشُ وأستجيشُ وننتهي للبدء . .
كانت لمسة الكفين فوق

برودة الأحجار ميثاق التّداوُّب في مشاهدتها:
الحياةُ بفيضها انفرطت على الجدران،
طعمُ النهر يقطرُ في العناقيد، الطيورُ بهيئةُ الأسرابِ
في الأحراش، في المستنقعات الزهرُ والسّمكُ
الملوّنُ،

والمجاذيفُ الرشيقةُ تضرب الإيقاعَ
للموآل والرقصِ المجنّحِ،
والخلائقُ في زفافٍ من سِفادِ الطير والحيوانِ،
جندٌ يلبسون رشاقة الموتِ الجليلِ،
وكان قوسُ النصرِ فلاحين عصّارين صيّادين حقّارين .
والملك استسراحَ على أريكةٍ مُلكه يسقي مليكته
وتسقيه . .

العُقَابُ محوّمٌ
بجناحه الذهبِ، التماعةُ عينه شمسٌ تضيءُ
المشهدَ الحجريَّ . .

كانت لهفةُ الشعرِ القديمةُ تشرئبُ

ويستفيضُ بها رمادُك

كنت تُجهَشُ بالقصيدة وهي في أصفادها الحجرية،

التفتت جوارحُك . . النداءُ بكل جراحةٍ يغمغمُ،

والتفتت وقلت: ينبجسُ السرابُ

ماءَ عميمِ الرُّوحِ والريحانِ، يطلع من شظايا

الموت والدمن الخرابُ

موالِكُ المصفودُ في ألفيةِ النومِ المؤرَّقِ . .

يرجفُ الحجرُ، الحياةُ تعيد سيرتها:

ثغاءُ الطيرِ والحيوانِ يعلو، الزهرُ منفتحٌ لأسرابِ

الفراشِ وعاسلاتِ النحلِ، تبتلُّ الشواذيفُ،

المياهُ يفضنُ بالبشنيينِ والسماكِ الملونِ،

والمراكبُ مُثقلاتُ بالبواكيرِ الجنودِ على

ثغورِ الأرضِ والموتِ الجليلِ مرابطون،

الأرضُ في عرسٍ وقوسِ النصرِ معقودُ الزخارفِ

والملوكُ الأقدمون على الأرائك لحظة التَّوْبِجِ . .

ريحٌ من رُخاءِ السحر

طال بنا اغترابُك واغترابي في رميم الأرض والروح

استفقي من شظاياك انهضي منك

القصيدة في رماد القلب توشك أن تبُلَّ عظامها

الإيقاع في ضَرْبِ المجاذيف استهلَّ فرفري

لنكون في قلب الرعية وانفجار الماء

والشمس القديمة فوق أطلال الملوك

استنهضي الحلم المبدد في رماد العشق وانفرطي

معي لنكون فيضاً في

الحياة المستفيضة من جتون الصخر . .

كانت تستديرُ الشمسُ من أفق الضحى العالي

وتَجَنَّحُ للغيابُ

قلت: الضحى والليل يتسخان وجهك

فارتكضُ

خلف الغزاة وهي تُمعن في ملاعبها البياب
قلت: ارتكض واطرِك لهذا الصخر موعده المؤجل علَّها
ابتدرتكَ بالعشق المؤجل . .

كان صمت الليل معقوداً بلاداً في البراح
ومستضيئاً بالجراح وكان منكشاً ببرد الريح
ملتجئاً إلى صمت الملاحم والمواويل الجريحة
والنعاس الرطب في خشب الرباب
حتى استفقت وقلت:

من أي البلاد - وقد خلّت من عاشقيها - جئت ،
من أي المواعيد انقلّت فأنت مطلقة السراح غواية
للغابرين الهاربين من القصائد وانتظار العشق !!
قالت: أنت . . كفكف من مجازات الجنون الصعب

راودت القناع عن الملامح واللامع عن توارين
المبدد من رماد العشق

وامتدَّتْ يداها بالحنان المستريب . .
الليلُ والصحراءُ ينبسطان ،
والنهرُ المشرَّدُ في مخادع طينه ،
ريحٌ مبلَّلة الضفائر بالنَّدى ، والكونُ أنثى من
أصابعها تَقَطَّرَت القصاصدُ أنجمًا تدنو بأول ما
يُثير الشعرُ من سُجُن البدايات . .
الحرير تفتحت منه العُرى :
طَلَعَ يفوح بما استكنَّ من الروائح والفراشات الغويَّة ،
بجمتان على كشيبي ،
ارتخاءُ الموجة الحرَّى ، العمودان الرخاميان
من رمل التسهي ، وردتان أضاءتا غَمَازَتَيْن فهل هو
الجسدُ المملَّمُ من شظايا كل فاتنة مضت أم هذه
حالُ التفتُّح في الخليقة لحظة التكوين والخلق ؟ !
استرابَ حنائها القلقُ ابتدرتَ حنائها بالفيض من

دمع التلقّي المستشفّ لعارضِ الشعر الملوّح
 بالقصيدة، قلت: للخيل العرابُ
 نَزَقُ الغيوم وشهوةُ الرقصِ المباحِ في انفساحِ
 الأرضِ باللغةِ الجموحِ وشهقةِ الشبقِ المصلصلِ في
 الصهيل وفي الكتابِ
 قلت: انظري للغيوم . . كوني مهرةً الملكوت وهو
 يشكّلُ اللغةَ الحميمةَ في لسانكِ وامْنُحي لغتي المذوّبَ
 فيه من لغةٍ مُقطّرةِ القبائلِ والصهيلِ . .
 وكنتَ تجهشُ بالقصيدة وهي في
 رتقِ الغيوم فلا تفتقُ . .
 ليس ينهلُ السرابُ
 إلا بومض زجاج عينيها ولففتها الفقيرة لانتصافِ
 الليل،
 كانت تستعيدُ رمادها وتعيدُ سيرتها إلى بددِ العناصرِ،
 من يدريك تفلّكتُ:

للمل ينسربُ الكثيان اللذان
توهجاً بيديك من وعدٍ تقدّر للرضاعة ،
لاصطخاب البحر موجتها التي انعقدت بسرّتها
وحقوبها على برج التفتح للولادة ،
للرياح ولاهتراءات الغيوم حريزها ،
للهدم والشقّرات كان رخامها يهوي
ومن بين الركام تهبُ سافية التذكر :
ها همو من كل حذب ينسلون
بكل مُشرعة القواضب والخراب
قد أصدقوا بك ،

لم تكن تدري أهدي من خواتيم القنينة أم هو
الفتحُ المزلزلُ باكتشاف حُبالة العشق المؤقت
فانقلتُ ونجمةُ الصبح الأخيرةُ وحدها في الأفق ،
مهرتُكَ استهلّ صهيلُها في غابر الشعر ،
ارتختُ في خطفة الحلم الشكيمة ، وانجلي من

فضة القيد الركابُ

هذا هو السفر المقدّرُ . . ليس من زمن له أو
من بلادٍ غيرُ ما يعلو به الوجعُ العصيُّ ويبتليك نداؤه
الدمويُّ

آخرُ هذه الفوضى وأولُ ما يقوم من السلالة :
ذلك النسرُ المحاصرُ .

كنتَ تفتح من جراحك كلما اشتعلَ الدمُ الموتورُ
واشتجرتُ سهامُ القنص في الآفاق واستعرتُ
بأيدي الزاحفين غريزةَ القتل الجماعي ، الجراحُ
تفتحتُ لحصاد ما يهوي من الصيد المجنّدك ،
والجواءُ خلون من عنف الرشاقة وامتلاك
الرياح نسراً بعد نسر . . ها هو النسرُ الأخيرُ
محاصرٌ بين المخارم والسحاب
والأرضُ - بالوجع العصيُّ وبالنزيفِ

من النداءات المزلزلة -
استعادت ذكريات الطلق . .

مهرتك استهلّ صهيلها في غابر
العشق المكتّم في القصيدة، أنت تعلو خطوة الشمس
التي تعلو . . لها مسّ الخوافر . . دونها وهج
الركاب بنجمة الصبح الأخيرة،
ليس من زمن فلا وجه الضحى العالي ولا
الليل المخاتل من رعايا وجهك النضاح بالرؤيا،
لك الملكوت والعرش المنمّم
والقصائد من نقيع سلالة النسر المرمد في دمائك
والنداءات العصيات، الطبول مدممات
والسلالة من ملوك العشق طلقاً
يستجيش به التراب . .

١٩٨٢/٥/١٥

زيارة

طيناً من الطين انجبتُ ففي دمي المركوزُ من
طبع التراب الحيّ:

فورةٌ لازبٌ، وتخمّرُ الخلق البطيء،
ووقدةُ الفخار في وهج التحول، وانتشارُ الذرو في
حرية الحلم، انفراطُ مسابيح الفوضى حصي،
وصلابةُ الفولاذ في حدق الحجارة واليواقيت . .
انخطفتُ بنشوة الحمى، الأوابدُ من وحوش
الطير تحملني وتمرق . .

في حواصلها أعاينُ محنة
الملكوت والأرض الفسيحة . .
خفقةٌ تعلو ورفرفةٌ تسف، وبابك الفلكُ
المدورُ يا أبي ورتاجك الطيني والقفلُ الحباله
والشراكُ،
وهجعةُ الأطيّار إن حلّ الظلامُ - على الشواهد -

فوق صبارات قبرك ، صوتهنَّ بكلِّ مُعْتَرِكِ الجِوَاءِ
ومُجْتَلَى الدَّمِ والمنامِ هو النداءاتُ الخَفِيَّةُ من
ترابك والمخاطبةُ العَصِيَّةُ من ترابي .

صَحْوٌ هو الفجرُ المعلقُ في ثُرَيَّاتِ القصيدةِ إذْ
أحرَّكُ في ضرامِ الخضرةِ الشمسَ التي
صدتْ على أقفالِ بابك يا أبي
ناديتُ في طقسِ الزيارة : كيف أزمنةُ الترابِ
وكيف تُنجِلُ السلالةُ من ترابي
ناديتُ والفجرُ المشعشعُ تحتَ أجنحةِ الغرابِ
يستنفرُ الطيرَ الأوابدَ من مجاثمها البليلةِ بالتذكرِ -
للسياحاتِ العَلِيَّةِ في اجتلاءِ الأرضِ والدَمِ
من بدايةِ بابك الطينيِّ حتى
متهى صوتي المجلجلِ بالخطابِ . .

صَبِيُّ الضَّرْحِ بِالتَّرَابِ

« إلى ذوي »

بوجهك وهج دم يتكشف فيه النبيون
والخيلُ تصهل تحت انفلاقِ الوراثةِ والسَّلفِ الصَّعبِ
عن وقده تتغير فيها خطى الريح :
يعلو الكلامُ ويخلعُ أوزانه
يستعيدُ المراسيمَ والسَّجْعَ يَنْبِتُ من همهمات الكهانةِ
والنفث في عُقْد اللَّيف والعشبِ
فالأرضُ مُحَضَّرَةٌ والسَّماءُ مِيَاهُ مَقْدَرَةٍ
والنبيون مستغرقون . .
بوجهك ألفُ دمٍ والدُّوارقُ شَفَاقَةٌ وأنا
أَتَقَسَّمُ مِنْكَ بِلَادًا وَأَنْفِرُ طُرُقَ الرُّقُصِ وَالرَّاقِصِينَ
أَفِيضُ وَأَعْلُو سِيولاً من الخلفِ المتكثِّرِ . .
ها جسدي واحدٌ وكثيرٌ ،

وها وحشة المتوحد أرضٌ تَزاحمُ فيها الخلائقُ،
عهدٌ أو ثَقُّه

سفرٌ في التذكُّر، بيتُ الإقامة
جلجلةُ العصف، مَضَعُ الجذورِ الطريةِ في الأرض
فَتَحُ الكَلامَ مع الطير والوحش
خَصَفُ الفروعِ ومُشْتَبِكُ الماءِ تحتَ لسانِي . .
تَنْظَرْتُ :

يخشَوْنُ الصوتُ أو يسقطُ
الزغبُ الأصفرُ العشقُ يعطيكِ شاراتِ أمجاده
عُشْبًا لا ثَدًا بالذراعين
رائحةٌ يفتقُ منها خفيُّ النداءاتِ . .
أسمعُ حمحمةً للذكورة والعشقُ في خَفَقِ نعليكِ
أسمعُ في جسدي رعدةً الملكوتِ وأسمعُ
خَطَوَ الملايينَ ما بين خطوي وخطوك . .

نَدَرْتُكَ تَقْدِمَةً لاندلاعِ البراعمِ في خشبِ الوقتِ

فالشَّمْسُ ذائِبَةٌ تَحْتَ خَضِرَةِ قَمَصَانِكَ الْبَلَدُ
مَخْتَبِئٌ وَالْحَرِيقُ

املاً الْأَرْضَ بِالْغَابِرِينَ مِنَ السَّلَفِ ، املاً
بِوَجْهِهِ الْمَلُوحِ أَرْجَازَ بَادِيَةِ الْأَهْلِ
وَاتَّبَعَ خُطَى الْمَاءِ بَيْنَ الْغُضَا وَالْأَرَاكِ
سَهِيلٌ دَلِيلُكَ وَالْفَتْحُ مِيقَاتُكَ . .
اكْتَمَلَ الْعَرَسُ
فَانْظُرْ دَمِي هَبْوةً فِي فُضَاءَاتِ عَشْقِكَ :
أَنْصَبُ بَيْنَكُمَا فِي مِيَاهِ الدَّوَارِقِ
أَلْتَفُّ فِي نَكْهَةِ الْكَعْكَ . .

وَانْظُرْ دَمِي فِي لَوَاءٍ مِّنَ الطَّيْرِ يَسْكُنُ أَفْقَ الْمَمَالِكِ
وَالْبَحْرِ :

أَسْكُنْ بَيْنَ التَّرَائِبِ وَالصُّلُبِ ،
أَغْدُو الْمَوَارِيثَ وَالْوَارِثِينَ . .

١٩٧٨/٣/٢٦

فَرَحٌ بِالْهَوَاءِ

هي المرة الواحدة

إلى أول البدء أو آخر المنتهى ، ينتهي كل شيء :
هما جسدان على بقعة الدم : قتلٌ هو السحرُ
مقتولةٌ وقتيلٌ
فأيهما سدّد النصل

أيهما ابتدرَ الفعل والإنفعال ؟ !

هي الطعنة الواحدة

فأيهما أشعلته من الجمرة الموقدة
جوى قبلة تلتصص حتى امتزاج الدم العنقواني
أو صرخةُ النشوة المتواشجة الآه بالموت ؟ !
أيهما تتشقق فيه الينايع . . هذا الأبُ
المتواترُ بين الضلوع

أم الرحمةُ المستكنةُ في الرحم الواعدة !!
وهذا المؤجّلُ حتى إذا انقصف العمرُ ،
حتى إذا انحسر الوهم . .

لا جسدُ المرأةِ المجهدة

يجيبُ الدمَ المتوقدَ أجوبةَ النارِ

أو يرحمُ العطشَ المتشعّعَ في الكأسِ بالماءِ

والطينَ بالحلمِ

والنومَ بالطيرانِ إلى الشمسِ

واللقمةَ المستريبةَ في القمحِ بالشعرِ

والوطنَ الذائبَ الطعمِ في خطفةِ الريقِ بالسحرِ،

والجثةَ الهامدةَ

بآخرِ ما صفّدته الفجاءةُ في الروحِ من رقصةِ البرقِ؟

هذي هي الطعنةُ الواحدةُ

تراختُ بها لحظةُ الحسمِ، راوغها زمنٌ يتناولُ بالعشقِ

فاستترتُ - والشهودُ يمرون في الحافلاتِ

ويندلقون على حَجَرِ السعي - لا شاهدٌ يتملّى

- من الكحلِ والنمّاتِ المضيئةِ

تحت النطاقينِ والرقصةِ البدوية -

بارقة النصل ، لا شاهدة

تُعَرِّي الخطي عن سياق الصعود إلى الموت بالعشق ،
لا تتكشفُ وَقَدْ جنونِ المجازات في طينة الوجه وهي
مُحيرةٌ بين صمتٍ بليغٍ وثرثرةٍ تتشظى إشاراتُها ،

كان صبحُ الشتاءِ المبكرُ يرمي

مناديلَه من رذاذٍ خفيفٍ

ورفرقة الغيم بين الغصون النواعس ،

كانت بقايا الكرى

تحت دَرَو من الكحل والسهر المتفترِّ تومض

ومضاً يتعتع منه الخطي فهو سكرانٌ يقظانٌ ،

كان الصباح المبللُ بالطلُّ والغيم

يفتح في وحشة الأرض والروح نافذةً فالسماءُ البعيدةُ

شفافة والطيورُ الحوائمُ تبدعُ أشكالَ بهجتها
ونداءاتها . .

تلك كانت صلاة الضحى :

اصطفَ فيضُ الخلائقِ متعشاً بالوضوء الجماعي ، ثم
استوى الخلقُ تحتَ الفضاء العميقِ
قيامًا تحاذتُ خطاهُ وقاماتهُ
بين خطين :

بيتِ جميعِ هو الأرض ، حلمِ جميعِ هو الأفق .

عدلُ جميعُ هي البهجةُ المستثارةُ ألوانها في
نوافير طير يعيد ويبدئ نسجَ السموات والصحو ،
تكبيراً من دوي التنازيل والوحي تعلو بها خضرةُ الحي ،
سانحةُ القلقِ المشرَّبةُ تحت سطوح الجوامد ، إيقاعُ
ما يتوجع من ممكنات التماثيل في الصخر ، ما يتحلبُ من
شبق الشعر في عقدة النهد بين التوينجات ، ما يتهتك

من لذة النضج في الثمر المتهاوي إلى زغب العشب .
يَتَلُّ وَجْدُ الخلائق في الركعة الحاشدة
بدمع التأويل ، يعلو الدعاء بما يتنفسه الصبح والأرض
يعلو دمي في دوي التراتيل ماءً مع الماء
طيناً مع الطين شكلاً
يثنُّ به الصخرُ زخرفةً تشجر في بهجة الطير صمتاً هو
الشعرُ والشهقةُ الساردة
وعيناك من أرق الكحل والزئبق المتصدف صمتٌ بليغٌ
وثرثرة تشظى إشاراتُها وأنا الزفرة المحض . .

- : ممَّنْ ، ومن أين ؟ !

- : لا أرض لا وقت . . إني أطرحُتهما من ورائي

فلست سوى زفرة من هبولى سوى قطرة من
دم تشحط تحت يد الله وهو يقلبها ما يشاء على
ظماً يستعر أو حسرة عاقدة .

- : فكيف ارتوى طمي وجهك بي فهو طمي بلادي !!

وأي يد

حَقَرْتُ فِي جَبِينِكَ مَسْطُورَ أَغْنِيَتِي فِي صَبَا الْعَمْرِ أَوْ

بَعَثْتُ فِي لَوَامِعِ شَيْبَتِكَ الهمجية

ما ضاق عنه المدى من

خبول الجموحات واستبهمته الرؤى البائدة

من العشق والعري تحت يد الله ؟!

- : من أي جمرٍ مقيمٍ وعمرٍ هشيمٍ تقيمين هذا الصباحَ

على العرشِ فاتحةً في صلاة الخليفة والله ينفخ من

روح أسمائه الدهشة الراصدة !!

سماءُ المدينة مغسولةٌ تتدلَّى ثريا نهارٍ ومشكاةٌ صحوٍ

بليلٍ،

تمدُّ شوارعُها من مُخَلَّعٍ كاشيٍّها وحجارتها خطوةٌ

يتغاوى بها السعيُّ أو خطوةٌ تتدلَّى فيها البصيرةُ . .

تعلو خفيفًا خفيفًا فترجفُ
بين الرؤى والدم المتشّت أرضٌ تغاوت بنا
فهي تخطو خطانا
وتفتح بهو الممالك :
سجادةٌ تتقلب في متنها رجفةُ الروح ، نافورةُ
الطير والورق الغض ، وهجُ الظهيرة والقنص ، جرحُ
وسافيةٌ في الدياميم ، هرجُ الغزالات ، خيلٌ وأروقةٌ
للملوك وصمتٌ يحفُ ستائر بيت الحريم
وصمتٌ يلفُ المجاز
المؤدي إلى قاعة العرش
كنا انتهينا إلى البهو لا أنا مني ولا أنت منك وقد
أطلق «الواسطي» نياقَ تصاويره تشرب الماء من
راحتيك وتبدأ ترجيعها بالحنين المزلزل
... : هل هذه الرشفة الباردة
تردُّ قطيع النياق إلى الواسطي - المعمم بالشمس -

حلماً وأصرةً بين فرشاته والسموات !

هل رشفةٌ تستعيد قطعَ المواويلِ من ظمأ الأربعين !
.. : استمعُ . . أنتَ ضيفٌ على رحمة الغيم . . فاستنزل
الريحَ واصمتُ . . فليس يُلقي من الغيم رحمةً غيرُ من
يُبدع الصمتَ والانتظارَ . . استمعُ . . إن ريحاً ترتلُ
من وِردِ أحوالها همهمات الولادات في الإرث طقسَ
ارتواء الخليفة بين السموات والأرض بالرهبة الخالدة
أمام انفساح الفضاءات والجمر في قلب من
يبدعون انتظاراتهم فيلقون من مدد السمع
كيف تخوض الخليفة أوجاعَ
بهجتها ومخاضاتها .

إنه العشقُ في مصحف الكون وهو
القصيدةُ في حما الخلق . . فاسمعُ .

تَقْضَى من الصمت ليلٌ طويلةٌ

أَلْقَى به من عطايا الضيافة بشرايَ
سيدتي : هل دمي في الدوارق أم شالك المزهدي
بالسموات والأرض يمتدُّ للمائدة
فيأتي رعاياك من كل زوجين فالأرضُ مُحَضَّرَةٌ في
احتفالية العشق والوحي !

ذَوَّبَنِي الدَّمْعُ طَمِيًّا مِنَ الطَّمِي
- : أَنْتَ الْبِلَادُ الَّتِي اخْتَمَرْتُ فِي الرُّؤْيِ وَالَّتِي
لَمْ يَلِدْنِي سِوَاهَا
- : وَأَنْتِ الْبِلَادُ الَّتِي عَقَدْتَنِي بِأَرْحَامِهَا مَضْغَةً ، ثُمَّ
أَحْيَيْتَ مِنِّي الْخَلِيقَةَ فَانْفَجَرَتْ دَهْشَةً مِنْ صَبَاهَا
- : دَمٌ فِي دَمٍ أَمْ زَلَزَلُ مَاءِ تَدْمُدْمٍ
فِي طَبَقَاتِ التَّذَكُّرِ وَالْحَلَمِ !!
رَجَعُ نِيَافٍ مِنَ الظُّمَأِ الْمُتَشَقِّقِ أَمْ صَرْخَةٌ تَتَمَلَّمُ فِي
دَارِسِ الْعَمْرِ بَيْنَ الطُّلُولِ !!

: أنا وتدُ السَّنْطُ . . كانت خيامُ العشيرة تبلى
ويكنسها العصفُ واحدةً واحدةً
وأبقى . . الملمُ في قامتي ما ترجَّعه الريحُ من
ذكريات العقائل والخيل
- : شالي خباءٌ وخيمةٌ شَعْرُ مرفِقةٍ في يدبك
- : وأنت بلادُ موطأةِ الماء والعشب
- : أنت سماءُ السكينة ، أنت المغني المشرَّد
ما بين قطعان حبي . .

انقضت ليلةٌ من كلام التأويل والصمت
والفجرُ ينشرُ غُبُشته طاوياً أربعين بساطاً - هي العمرُ -
من دمنٍ وبقايا رمادِ المواقد حتى انكشفتُ وحيداً
وأطلَّلتُ . . كانت براري العشيرة موحشة . . وأنا
وتدُ السَّنْطُ تحت سمواتها أتكشفُ هودجَ عشقٍ
يهلُ وخيمةَ شَعْرٍ وياديةً يتفطرُ فيها من العشبِ

جَعَرُ البراعم . .

قلتُ: اسمعي . . إن قطعانَ حبكِ طالعةٌ في

ندى الفجرِ ثاغيةٌ والمغني يلملم إيقاعَ مواله

من خطى الريح . .

قالتُ: له ليلةٌ سوف ينسى بها ما رأى . . فاستمع . . إن

شمسًا تَخْلُلُ من سعف النخل

تمسح خلف الزجاج الستائر . .

موعدنا صمتٌ ليلٌ تُلقَى به نَخْطَفَةُ الروح بين

السموات والأرض والشهقة الموصدة . .

يغني المغني . . وشهقةٌ مواله انشَرَحَتْ نَوْحَ باكيةٍ

وانخطفَ صَبًا جرَّرتُ ذيلها في خزامى العشيرة

واستنطقتُ جلنار الضفائر والحبق المتفتح

في مفرق الشعر،

وابتردتُ في اندلاع المروج العفيفة بالخضرة الماردة

يغني أم الحلم أم أرض مجد من الدم والفقر
أم صبرة من سماء تنزل

فجر يشعشع في لهفة القلب أم شبق
تستضيء التواريخ تحت ارتباكاته أم دم

يتشوّف وهج مناراته

غربة أم هو العطش الحجري المفتت يبدأ من الرمل
تناهى امتداداتها أم ملاعب جن ووحش تخط
الرياح مساراتها ومواجعها أم يغني المغني

أنا وتد السنط . . في قامتي كبرياء الترقب في جسدي
كبرياء الملوك الذين يلقون في جريان السلالة
آيات عرفهمو بين صمت رماد وريح مبشرة . .
في جلال اصطفاك إياي كانت بوادي العشيرة
تعلو إلى ساطع الحلم ، قطعانك انتشرت والمواويل في
مطلق الريح والصمت مرسله ،

قلتُ: من أين، أيَّان متَّجِهُ الخطو، أيَّةُ تفعيلةٍ والدة
ستشرح صوتي وتفتح في فيضان الرؤى وكثافة إيقاعها
طلعة الرجع والصدع!!

لَيْلَتُنْذُ كنتِ نوريةً شفَّ إبحاؤها عن طلاس
مجدٍ قديمٍ من العشق أنسيته وبلاد وأعمدة من
رخامٍ ورملٍ وأدعية كنتِ مكنونةً في اشتهائي
وطالعةً من قوارير عطرٍ تعتَّق في أزل الشرق
كانتِ كمائمٍ وردٍ حريرٍ تشفُّ وتبرِّقُ منها
كنوز السلايب من أرق المصطفين
يدُرعدتي واشتهائي يدُ ومجازُ العشيرة تسقط
عنه الغلائلُ تشرق لي من كنوز السلايب جوهرةً وامضة
أحلُّ حرير طلاسك البكرُ ألتفُّ في سحرها أتلقُّ
منها عطايا غرائبها طيبةً طيبةً . . والإشاراتُ
شفَّتْ مجازاتها، أخذتني بروقٌ من الوجد والخوف،

وانقذحتْ آهةٌ تنزلُ بالدهشةِ الراحدة
وكفأك من رحمة الغيم تستبدلان دماً بدم
وسماءً بأخرى ، تخطان فوق جيبني أرضاً هي
المحوُ للعمر والطلعُ في نخلة للبدايات والفجر
- كان الحنان ندى يتقطر في طيتي - كان دفءُ
يديك يلملم ما بعثرته ندوبُ الولادة
والوَحْمُ المتكدس من
أمهاتي القديمات ، يثر ما يتفكك من خرزِ الظهر ،
يوقد في العظم واللحم أخيلةَ الطيران الطليق . .
أخفُ تخفين ، لا أنت منكِ ولا أنا مني ،
استويننا دماً واحداً . .

- : ميتٌ واحدٌ كيف ينقسم الموتُ فيه إلى جثتين؟

- : هي الجنةُ الواحدة

- : فكيف إذا اقتتل الأهلُ كي يملاوا حفرتين ترايين كانا

تراباً يكوّمه العشقُ في ركعة الوجد؟
 - : لينةُ خطوةُ الطين في الطين : تلتم من
 تحتنا الأرضُ سجادةً، يرمي في الترابِ الترابُ وفي
 سجدة العشق لا ساجدٌ يتكشف في دمه عن
 دم تتجلى به الساجدة
 دمٌ واحدٌ يتشحّط في ظلمة الأرض تحت يد الله،
 ثم تقلّبه في يد القدرة الريحُ، يعلو خفيفاً
 ويأخذ مسراه في ساطعٍ من معارجه الغامضة
 وسيعاً كما تقتضي قامة الكون، أضيق من
 شهقة الروح في الروح
 بين السموات والأرض ريحٌ تغاوت بنا فهي
 تخطو خطانا ونخطو خطاها،
 الفضاءاتُ رقصٌ غواياتنا، فالماذنُ أوتاد خيمتنا
 والقبابُ ارتخاءُ يدينا، الصحارى
 مخدّةٌ قيلولةٌ والمعابدُ شكلٌ أصابعنا في

اشتباكاتهما لحظة الحلم . .

نحن القميصُ المرقطُ بالأنجم المزهرات وبالشجر الرطبِ
والدور، نحن الخلاءُ المقننُ بين المجراتِ
والنغمُ المنتشي في مسير الكواكب
نحن انفجار الحضارات في اللغة البكر
أولنا الزفرةُ المحضُ
آخرنا محضُ تفعيلة والدة . .

١٩٨٨/٢/١٢

أنتَ واحدُها
وهي أعضاؤُك
انتشرت

جِزَاءُ إِهْدَاءِ

إِلَى مُحَمَّدٍ

سَيِّدِ الْأَوْجِهِ الطَّالِعَةِ

وَنَايَةِ الطَّلَاحِ مِنْ كُلِّ جَنَسٍ

مَنْفَرَّةً عَلَى اكْتِنَافِهِ كُلِّ دَمْعٍ

وَمَفْتُوحَةٍ مِمَّا لَكَ لِلجَائِعِينَ

وَإِقْبَاحُ نَعْلَيْهِ كِلَا فِي الْحَيَاةِ فِي

جَسَدِ الْعَالَمِ.

مُحَمَّدٌ

موت ما..

لوقت ما..

أعلّنتُ ميثاق الإقامة بالرحيل
وتركتُ وقعَ خطايَ في سرِّ الشجر
واسأقتُ ما بين عيني والبلاد
زمرداتٌ من حجر
فعرفتُ طعمَ الخبز مرّجفًا، وقلتُ،
وقال لي الموتى، أطلتُ، استألفوني
بالتذكر، وارتمى عني الرداءُ،
الأرضُ رَوَّتْني،
وبلّلتُ الرمالُ السافياتُ بريقَ عيني
المحدقتين في حَجَرِ الظلامِ.
كفُّ تراختُ، والأصابعُ تفتحُ ينبوعَ،
تنبّجسُ السّحالي والشعابين،

الضَّبَابُ تُجِيشُ مِنْ حَوْلِي أَمَانًا نَاعِمًا . .
لَمْ يَبْقَ لِي غَيْرُ الْكَلَامِ
مَعَهَا وَجَدَرِ النَّخْلِ وَالطَّلَعِ الْمَكْتُمِ فِي
مَسَارِبِهِ الْعَمِيقَةِ ،
لَيْسَ لِي إِلَّا سَوِيَعَاتٌ مِنَ النَّوْمِ السَّخِيّ
أَمْرٌ فِيهِ عَلَى الْبِلَادِ وَأُسْتَعِيدُ الشَّمْسُ
وَالرَّعْيَ الطَّلِيقُ ،
أَكَلْتُ الْمَوْتَى وَأَسْمَعُ مَا تُزْمِزِمُهُ الْعِظَامُ
وَأَشَدُّ فِيهِمْ مَا عَقَدْتُ مِنَ الْعُرَى . .

فِي حَضْرَةِ اللَّيْلِ اسْتَفَاضَتْ وَقْفَةُ الْإِشْهَادِ ،
فِي فَصْلِ الْخُطَابِ اسْتَوْدَعْتَنِي سِرَّهَا الرِّوَاغُ
وَاسْتَوْدَعْتُهَا نَوْمِي سَوِيَعَاتِ
أَقُومُ ، أَكَلْتُ الْمَوْتَى
وَأَنْظُرُ مَا تَصَاهَرَ مِنْ دَمٍ تَتَقَلَّبُ الْأَنْسَابُ

فيه بصبوة العشق المبرح ،
أنظر الأكفان والعظم الرميم توشجت
منه القبيلة

أشهد الأمشاج أعراقاً وألوية تذاوب
والصنوج تدق بالصدأ العظيم .

هذا زواج الأرض بالموتى :
مسيل اللحم عن أغصان هيكله ،
انفراط أجنة معجونة الأسماء بالزرد المفتت
والهشيم الهش من صلب الدروع
سنابك الخيل الصديثة .

قلت أمشي في عروق الأرض أشهد ساحة
البدء المجلجل والختم
كيف استتمت نارها ورمادها في

الخطوة الأولى، وكيف انشقَّ من مُهلِ الغمامِ
برقٌ من الدم فاستضاءتُ تحته
الأطلالُ والأجداتُ،
لا يومُ النشورِ
يأتي، ولا يدوي على الوديانِ صُورُ
فاستغرقتني بالهواجس هَجْعَةُ القيلولة السوداء:
يا أمشاجَ ما في الأرض...
لا مُهلُ الغمامِ
يَنْقُضُ بالسُّقْيَا،

ولا محرائهُ النَّاريُّ يفتح في شقوق
الرَّغْوِ منك أهلةَ التكوين أو ماءَ السلااتِ.

البلاغُ استغَلَقَتْ نيرانُهُ ١٩
واسترَجَعَتْ قَدْحَ المغيراتِ الصخورِ ١٩
هذا رَغيفُ العهدِ معقوداً على صَعْبِ النَّواصي ١٩

أم هو الموتُ استفاضتُ رغوهُ
الإشهادِ فيه بالكلامِ؟!

الشمسُ في حِجرِ الظلامِ
مخبوءةُ النيرانِ تحت هياكل الأنصاب والأزلامِ،
هل ذهبُ العبيدِ مكدَّسٌ فيها؟!
وهل ومضُ اللآلئِ - من عيون الميتين -
من مائها المسجونِ؟!
أم وجهُ البلادِ زمرداتٌ من حجر
يسقطن من عينيَّ ما بين الخليفة والكلامِ؟!

هذي سويماتٌ من النومِ السخي:
أذيبُ أعضائي بصمتِ جلالها المكتوبِ،
أقرأ ما تجلّى من دمي في سرّها الرواغِ بين
علوّه في المدّ أنساباً وقيضاً من سلاّتِ أنا

بدءُ البداية في أبوتها ،
وبين الوعد بالمليقات في أمشاج ما في الأرضِ .

هذي من نواشي ظلمة الدهرِ .

الكلامُ

قولٌ ثقيلُ الوطءِ ، ساعاتٌ من النومِ البطيءِ
يمر بالقيلولة السوداء . .

أسكنه وأنظرُ :

بين عينيَّ السمواتُ العُلى مسكوبةٌ ،
ما بين كَفَيَّ الظلامُ حجارةٌ تتقادحُ الأوقاتُ فيها ،
الأرضُ روتني وبللت الرمالُ السافياتُ بريقَ
عينيَّ المحدثين في شمس التذكرِ ،
أسمع الموتى ، أكلمهم ،
وأخرج في سهوب النوم :
عرشي قائمُ الأوتادِ في صمت البوادي والخلقة .

شمسُ التذكر في سُهوبِ النومِ داميةُ التزييف
والريحُ تعلو في قبابِ الدهرِ والأعماقِ
سافيةٌ فسافيةٌ
وغيمٌ ينطوي من بعد غيمٍ،
يمرُقُ البرقُ الأليفُ
لا شيءٌ إلا خبطُ أكفاني فأسلكهُ به
ليطير في الريحِ الطليقة . .

١٩٨٠/٦/١٥

مَدْخَلٌ فِي بَکَاءِ السَّلَاحَاتِ

١٩٧٨

ثالثة لفس ثاتها

لغة لفس لى أو لك الآن أن نستعبد
اندفاعاتها بين موت الغزاة والسهم،
ليست لنا لحظة للكمون المفاجئ فى العشب حتى
تمر الغزالات . .

هانحن جثنا وقد فاتنا الوقت
فاسمع صدى القوس ترسمه فى الفراغ
الأساور والورد:
ساق من اللبن المتفجر عن ناره ارتفعت
بين موطن أقدامنا والشموس المقيمة فى الأوج
(والوقت كان الظهيرة)

فاسمع:
دفء له زغب، والمسافة بينهما فروة
للنعاس وللأهل (من خلف سلف)

في البدايات نارُ الخواتيم ، فاسمعُ :
لنا لغةً للتذكر . . فانظُرهُ طمياً شوته
احتجاجاً لنا ، البيتُ تهوي إليه وتأوي
القوافلُ والسابلة /

وليس دماً أو بلاداً . . بل المرأةُ استسلمتُ
للبخور الترابيُّ والماء واستسلمتُ للنخيل وللقايلة /
فهل كنتَ تعرف أن مشاعلك اتَّسَدَتْ في الظلام
الرخامي ،

والرقصُ يأتي يزأج بين الطبول وورد الخلاخيلِ
والشعر والقوس واللحظة الفاصلة /
فأعرف أنني ذكورةُ عشق البداوة
أنك نارٌ وماءٌ وخيمةُ شعرٍ
وأنني أفقٌ من النخل والطير ،
أن المياه تُنْقَلُ خطواتها في السرابِ
السرابُ ينْقَلُ خطواته في المياهِ

المسافات معجونةٌ بالقرايين
والأرضَ وردُ الدهانِ !!
فأَيَّانَ - أين استقامتُ لكَ الخطوةُ المثقلة /
بمشتبك من تنافي الأحاديث !!
هل تقتفي خطوة امرأة غمزت برشاقتها
وبحنائها موجة البحر وانتظرت برءها
من تشكِّي الولادات والعشق !!

ها أنت يا ابن النور القديمة
يا ابن معلقة الشعراء ويا ابن الحواميم :
هذا القلبُ البرودُ يُواخيك ،
ينفضُّ عنك رفاقك لا أنت منهم ولا هم .
تقلَّبتُ بين الجهات :

السمواتُ أرسلنَ لي شمسهن المضيئة
بالفتح ، والأرضُ تطوي صحائف أسلافها
وأنا أوَّلُ الوارثين وآخرهم .

يا نساء المدينة فلتحملن وجوهي الكثيرة أقتعتي
وانقسامات قلبي عليكن
أنتن آخرُ حربٍ وآخرُ أرغفة يتقاسمها
أصدقائي الألداءُ
والأرضُ بيني وبين الجماعة :
لا الأرضُ تبقى ذكولاً مهاداً
ولا الشعرُ يبقى دمًا ومياهاً تقاطعُ،
بل فضةٌ ودمٌ لست تدري بأيهما اكتملَ
الأفقُ وابتدأ الطيرانُ،
بأيهما يبدأ القتلُ
أو تبدأ الأسئلة . .

جسدان.. وثالثهما

خَشَبٌ يَكْشِفُ وَقْتَ الشَّمْسِ وَالْمَاءِ ،

وَنَهْدَانِ اسْتَفَاقَا ،

زَمَنُ السَّبِي بَعِيدٌ ، وَقْتُ عِشَاقِكَ

فِي اللَّيْلِ بَعِيدٌ ، هَلْ تَرَيْنِ الْمَخْمَلِ الصَّوْفِيَّ وَالنَّقْشَ :

بِلَادُ حَمْرَةٍ سَاطِعَةٍ ، خَضِرَةٌ

نَخْلٌ وَنِسَاءٌ يَتَعَرَّيْنَ ، طَوَاوِيسُ دَمٍ ،

شَمْسٌ دَنَانِيرٌ تَقَاطِرُنَ ، السَّمَوَاتُ

تَهْدُ مَنْ اسْتَدَارَاتِ عَلَى السَّرَةِ وَالْأَكْتَفِ ،

لَيْلٌ طَالَعٌ فِي الْعَشْبِ وَالْخُلْفَاءِ ،

وَالشَّهَقَةُ كَانَتْ حَجَرَ الشَّاهِدِ كَانَتْ حَجَرَ التَّقْدِيمَةِ

اللَّيْلِ اسْتِنَارَاتُ تَشْظِينَ مِنَ الشَّفَرَةِ ،

زَهْوُ الْقَتْلَةِ /

وَاجْتِصَابُ السَّلَالَاتِ ، وَهَذَا كَفَنُ الْوَيْةِ

تَنْشُرُهُ الرِّيحُ . .

ونهدان استفاقا :

(كنا متقابلين تقابل الخيمة والعراء . .

وبيننا سهيل

ومتقابلين تقابل النيرين وبيننا القراءات السبع

وحجر الفلاسفة

وكنا رجلاً وامرأة . .

وبيننا لغة النبوة وقرابة الصعاليك

بيننا نصل وبرق خلّس يكشف بيت الأهل

والهودج في آخر أرض الله .

بيت في أواذي البحار السبع جمر ثاقب وهنج

عقاب من حرير الدم يعلو . .

بيننا من حجر البيت الأمومي شظايا قبل راعفة

بالرمل سوس الخشب الدائر أسنان التعاشيق

الزجاجية .

بيتٌ قُبلةٌ هائمةٌ بين فضاءين من الدمع ،
 ونهدان استفاقا بغتة الحلمِ وأفلتَهُما ،
 الأرضُ مدنى من شجر النقشِ وسجادٌ من
 الصوف الترائي
 خيولٌ وصهيلٌ غابرٌ منكتمٌ في وبر المخمل ،
 كنا رجلاً وامرأة . . .
 كانت شراراتُ دمٍ يقطرُ من مرثكزِ المهمازِ تغدو
 لحمةً بين سروج الخيل والبادية الناصلة .
 النخلُ تدلى في فراغٍ باهتِ الزرقة ، عشبٌ ،
 وغزالاتٌ تساييلُن فراراً
 والسهامُ انكسرت في الأفق .
 كنا رجلاً وامرأة نشخصُ للظلمة والريح ،
 سهيلٌ بتدلى من بروج الإرث والذاكرة ،
 الليلُ بلادٌ طللٌ يسكنُ أصداء القوافي ،
 واشراًبت من وميض الحجر الحي وجوهٌ

أقفرَتْ منها المسافاتُ

وكنّا رجلاً وامرأةً من حجر الصرخةِ،

كانت قامتانا هيكلَ البهو الذي يرقد في

ذاكرةِ الوشمِ الخرابِ

والدمُ النازفُ من مرتكز المهماز ميثاقَ

الينابيعِ وبدءَ العتبةِ . .

لا الرابية ولا النجم

الغزالاتُ للعشق أم للردى يتوالدن؟!

للصيد واحدة:

كانت الشمسُ قطرةَ ماءٍ يُبارحُ

مكمنه الجسديُّ، شמושٌ تحدرُن فوق

رشاققتها المستخفة بالصحراء وبالوحش

كانت مسافاتُ رقصتها بين عنف الترقُّب والسهم،

بين ملوك القبيلة والخندق المتباعد،

بين القدور ورائحة اللحم والريح.

للعشق واحدة:

أرأيت التفافَ العباءة!!

تبغُّ وجوعٌ يُصاولة، الكحلُّ واللهبُ المتوقِّدُ

تحت النطاقيْن يتدركان القراءة

والشاعرُ اقْتَعَدَ الأرضَ وهيَ على
هودجٍ خشبٍ يكشفُ الشمسَ والماءَ عن
برعمٍ موجهٍ، وهي تنصتُ،
ترمي الستائرُ ورداً من الظل والنور فوق
الحوائط، والأرضُ مُشْتَبِكٌ من غصون
الدوائر والورق الزخر في،
اشتباكٍ من الشجر المتوهم يستألفُ الطيرَ،
هَرَجَ الغزالات، أحصنة الرّجَزِ،
العريّ تحت السماء الوسيعة.

جَمْرٌ ومسٌ دمٌ يتخبّطُ والصِّلَيَانُ حَرِيرٌ من الهديان،
تشقّقَ طميُّ التذكرِ وأندلعتْ تحت أجنحة
الجنّ، والجوعُ كَرَمٌ من القُبَلِ العنبيّةِ،
أرضٌ تَفَجَّرُ عن شجر الإشتهاء،
الغزاةُ مدّتْ لُجَمِيزَةَ المتقارب والرجفةِ الشرِّ

كفّ الندى ملمسَ الظل والغيمِ
«هل أنت لي من قديم؟»
مزاولة فاكهة من قطاف البواكير،
شَفْ، مناديلٌ تُلّ،
حريرٌ تَزَالُ من فوقه الشمسُ والنمنماتُ
ولكنني حَجَرٌ شَعْلَةٌ
من بروج القصيدة يهوي
إلى الماء . .

سُلالة

الطواويسُ، والريشةُ الذهبيةُ تلمع في
شمس عاصفةٍ تتقلب بين هدوء من الصحو
والغابة المظلمة/

معى الماعز الجبليُّ المرنةُ في القوس،
نسرُ السموات، والذهبُ المطرُ، العنبرُ
المتوردُ بالدهشة اشتعلت فوق صفحته
النارُ من شرر ونبال وريشُ الصقور . .
ولكنَّ أرضاً تراجعُ في ضيقها المستمرُ
استمرت تراجعُ:

قد أهدق الغرباءُ بها
سقطت من قبور القبيلة أغصانُ شاهدة،
ورماحُ القرايات، شَحَّتْ نذورُ وأدعيةُ،
عَرَبَتْ لغةُ الوشم واستأقظت في ذبولِ

الطواطم أغنيةُ الريح بين السهول
الوسيلة والأقرباء،
التمائمُ تفضحهنَّ المقاديرُ والغابةُ انفرطتُ
ورقاً ليس منعقداً،
ونحاسُ الرشاقة والعمومُ في الماءِ والطينِ يهجرُ
ألوانه وليالي الزفافِ القديمة . /
وأنتَ استقام البكاءُ لصوتك
لم يستقم لي بكائي
فهم أكثرون :

شئاً تكاشفه الشمسُ فالنملُ يسعى ،
الضحى كان صحواً ، ويملاً وجهَ ممالكه القشُّ
والسَّقَطُ المتجمُّعُ من كِسَرٍ وطحينٍ من الصخر
والقمحِ ،

أنتَ استقام البكاءُ لصوتك
لم يستقم لي بكائي

فقد غادرُوكَ إلى الموت أو غادرُوكَ إلى

الدُّويَّانَ بلحم الخليقة :

عريٌ بدا بدعةً، ونحاسٌ هو

الشهوةُ المستفزةُ، ريشُ الصقور

استوى في القطيفة والنمنمات الحريرية

اللونَ والملمسَ المحضَ

أنتَ استقام البكاءُ لصوتك . . فأبك كما شئتَ،

لكنني أستمحُ دمي دمةً لا تبادرُ :

هم أكثرُونَ، البلادُ بهم تستفيضُ،

فلا الشجرُ الرطبُ ييري الرماحَ،

وليستْ معي الماعزُ الجبليُّ نذوراً مقدرةً للقسيِّ

وأعوادِ نبعِ القبيلةِ .

فأبك كما شئتَ . .

لكنني أتلفتُ . . هم أكثرُونَ،

أعرقُ همومَ طفافةٍ زهوَ ورغوَ من
المجد تهوي السلالاتُ فيه؟!

وأنظرُهم:

أوجهٌ هضمتها المخاوفُ،
والنسوةُ اكتنزتْ تحت أردانهنَّ الطلائقُ،
خيلٌ مطهَّمةٌ:

ليس ماءَ السلالاتِ، ليس
الدمَ المحضَ أعني،
ولكنني تاركٌ لدمي فسحةً من فضاءٍ لينهمر الدمعُ
فأبكِ كما شئتُ . .
إن بكائي يجيءُ

زَجَزَ الطَّيْرُ

صَحَّتْ مِنْ غَاشِيَةِ الْإِشْرَاقِ وَجَلَالِ النَّوْمِ الْحَيُّ
فَمَنْ تَذَكَّرُ شَطَايَا النَّارِ الْبَارِدَةِ وَعُرُوقِ
الْمَاءِ الْمَتَوَهِّجِ وَمَلَامِسَةِ النُّجُومِ الْمُنْطَفِئَةِ إِذْ
تَزْدَهَرُ أَلْوَانُهَا

هِيَ الرَّجْرَجَةُ عَلَى مَاءِ الْمَعْرِفَةِ
وَيَقْظَةُ الطُّفُوِّ عَلَى جَرَيَانِ الْأَحْدَاثِ وَعِلْمِ النِّسْيَانِ
يَنْقَشِعُ السَّدِيمُ وَتَنْحَسِرُ أَمْوَاجُ الذَّاكِرَةِ الْمَلَكِيَّةِ
وَهِيَ تَطْفُو جَسَدًا لَخْمِيرَةِ الْخَلَائِقِ
تَنْكَمْشُ الصَّاعِقَةُ وَتُمْوِرُ وَتَعْلُو الْجِبَالُ الْعَالِيَةُ
وَيَنْبَسِطُ مَا دُونَهَا

بَيْنَ الْمَهَادِ وَالرَّوَاسِي - يَتَغَوَّرُ الْبَحْرُ وَيَنْفَجِرُ
نَهْرٌ هُنَا وَنَهْرٌ هُنَا
يَلِينُ الْحَجَرُ بِالْعَيُونِ أَوْ تَنْتَشِرُ عَشَوَائِيَّةُ الْهَاجِرَةِ

بالرمل أو الغيوم الثقيلة
فلما أخذت زيتها الأولى واتزرت بأبهة
الذبول وجلال الذهب
واستسلمت بين أيدينا لغيوبة الأطراف
وحيرة التلفت في الأفق
نزلنا إلى واد ذي زرع ونهر
فوجدنا قبراً محفوراً وماءً مسكوباً وكفننا
وحنوطاً ومسكاً أذقر
وأمرها في كامل شكته ممسك بصولجان موته
تسرح العناكب ودابة الأرض بين عشونه
وبهاء التاج
فركزنا رماحنا وطويناً الأعلام
وتنظرنا إلى يوم الفصل ميقاتنا أجمعين
فلما كانت أشراط القيامة الثانية
قال بعضنا لبعض :

لو نزلنا فوجدنا القبر والموتى!

فإذا لا قبر ولا أثر .

وبدا الشاعرُ يزجرُ الطيرَ ويتلو صدحةَ المطر

يتقلبُ في الآفاقِ ويسبحُ في الأرض

ونسرُ الفضاءِ الشاسعِ يهْمُ بالطيرانِ في

غموضِ الزرقةِ وكثافةِ الليلِ المتقَبِّ بالمصاييح

فُثِّقَ قَتَامَةُ الزنكِ ویرودةُ القصديرِ اللانهائي

والشاعرُ يستجلي حمأ الصرخةِ المضيئةِ ومقام

القصيدةِ بين الماءِ والطين

يحدِّقُ في أعلامِ ملكوتهِ وانتماعاتِ دمه

يخلعُ عنه الرَّهَبُوتَ والطَّمَعُوتَ . . إلخ

ويشاكسُ جبروتَ السيفِ بصدرةِ العاري

ويُجالِدُ القبائلَ بالقصيدةِ

ويدخلُ المدنَ :

أَوْجُهُ لَيْسَتْ سِوَى مَا يَتْرُكُ الذَّعْرُ مِنَ الْغَفْوَةِ ،

همسٌ يتمطى بين قوسين من التهمة والكبر
الدفاعي، فواقٌ من نشيج إعتراضي،
حوارٌ لافحٌ من ثوباء السير ما بين نعاسين،
وجوهٌ يتقرأ طينها أو نارها الرملية
الشاعرُ . .

يستجلي الوراثة وأشجار السلالات من
الطين إلى شاهدة القبر .
وجوهٌ سُبكت من معدن الأصفاد . .
أفواهٌ لها شكل القيود، القبلة القُقلُ،
رمادي العيون الصدا السائل من نافذة
السجن، المواويلُ خطى في باحة الجوع،
الصليلُ البهو، والأعمدة النهر الرخامي،
وموجُ البحر إيقاعُ المراثي .

انتبه الشاعرُ :

للماتم طقسٌ ومراسيمٌ بكاءٍ عائليٍّ ،
هذه رائحةُ الموت ، وهذان هما السيدُ والسيدةُ

انسلاً من القبر ، وقاما ، انتشرا ،

واستوطنا بيتاً من الريح ،

ومن تحتهما تسأيلُ الأنهرُ .

أفقٌ من ذبولٍ ، وجلالُ الملأ الموحشِ ،

عُثُونُ الخماسينِ ، بهاءُ العنكبوتِ الذهبيِّ ،

انتشرا واستوطنا بيتاً من الريح ،

الرقابُ انكسرتُ تحت التوابيتِ

وللماتم طقسٌ ومراسيمٌ بكاءٍ عائليٍّ . .

يصرخ الشاعرُ :

أيها السيدُ المحمولُ على الرقابِ

وفوق الرءوسِ المنكّسةِ

أيتها السيدةُ المثقلةُ بأبهةِ الذبولِ

وجلالِ الذهبِ

انتشرا وتناسلا واملأ الوادي
بسلالة الموت
هذا يومُ الفصل ميقاتُنا أجمعين

١٩٧٨/٤/١٧

امراة تلبس الأخضر دائماً
ورجل يلبس الأخضر أحياناً

لعشاقها ملكوتٌ من اللون :
لونٌ هو الخضرةُ الغامضة
لأولٍ حلفٍ مع الله إذ هم يقيمون في
هاجس الطين - في حمأ يتملكُ عمق الفضاء
وماءَ الينابيع والأرضُ يومئذٍ من رعيةِ
أحلامه وانتظار الملىءِ بأسمائه - ،
وهو لونٌ من الخضرة الغامضة .

يقولُ : ابتدأنا ،
وحولهما من خطوط المحارِث في الأرض ،
والطميُّ شهوةُ ماءٍ مَفْتَتَةٍ ، في سخونته الرحميةِ
يَنَغُلُ خَلْقٌ من الدَّبَقِ الحيِّ ،
تلتفُّ همهمةٌ من خشاشٍ رميمٍ تدبُّ به
الروحُ ، والغُلْمَةُ المستفيضَةُ بين اليرابيعِ
والخنافسِ المتفحِّمِ ، والعلقِ الرطبِ ،

يعلو صريرُ الجنادبِ ،
كانا ضجيجي دمٍ يَتَنَزُّ من أولِ
الدهرِ أحواله ،
تتشظى سنابله ، والسماءُ تَخْلَلُ نَسْجَ العساليجِ ،
تهوي نقوشاً مطرزةً .

وتقول : احتمل من ملائي نصيبك ،
وليفتح الله بالعشق ، والخضرة الغامضة .

هي الأحوالُ ومقاماتُ العذابِ ، محنةٌ يغلي
دمُ القلبِ بها وتحترق اليَدُ ،
فالجراحاتُ يفتَحْنَ قطوفاً دانيةً من مواهبِ النعمة
وأعطياتِ الإرادة الطيبة والانتظارِ السَّميحِ الرحيمِ
والموتُ صديقٌ تَقَادِمُ بيني وبينه المَواعيدُ تشتدُّ
وشيجةُ الملاعبةِ وخيوطُ المرحِ المشاكسِ

ومغاضباتُ الضحك
يرسل المطر تواقيعَ على زجاج النافذة كي أنتبه
أبتسم . . فلاني أعرف خطوته في ريح الليل
وفحمة الظلمة ،
وأتوقعه زائراً كلما امتلأت قطوف المحنة بالعطايا
وتقلَّ على القلب الفرح
أفتح النافذة ليحلَّ ضيفٌ سهرٍ على طعامٍ وشرابٍ
كلما نقصا فاضا
يجلسُ قبالي وأنادمه بذكر حصاده ومعنى الشمس والنهر
« كلما مات منا سيدٌ قام سيدٌ »
أضدادٌ في اللغة أم لغةٌ في الأضداد
وأنت واهبُ المعنى الجارف ومفتقُ الأكماس
تشارك في كل حضور
وتقتسم الصمت والكلام على كل شفة
تقبض بيدك على زمام الفوضى فتشكِّل القوالبُ

وتفتح أبواب القوالب فتفيض الحياة
لك مُزْدَهَرُ الدَّوامِ ومجدُ الينابيع
ولي مجدُ الظل وبطولةُ البحث عن زاوية السقوط
ولحظة الزوال .

يقْلِبُنِي بين كَفَيْكَ مارجُ عشقٍ وصبوةٍ نار تُزْمِزِمُ ،
ينفرط اسمي شظايا حليٍّ مبعثرة تتنمّن من
ذهب وشموس مكسرة تنهاوى فتُمْسِكُهَا فِي
سلاسلها رعدةُ الخوف ، تلتمّ ما بين نهديك ،
واسمي المكْدُسُ بين السلاسل والجسد
المتفصّد بالعنبر الحيّ يخطف وجهي ،
ويطحنه ثم ينثره في الشظايا
فمن يفتديني وقد كوّمْتَنِي سلاسلها ،
من يخلّص أسماء وجهي وينثرها حرة كشموس
الينابيع في العنبر الحيّ أو كالطيور الشريدة في
العشب والخضرة الغامضة !

مددتُ يدي . . لن يبعثني في تضاريسها غيرُ كَفِّي
وغيرُ انفرادي دماً تحت حنائها واحتشادي طيوراً
مهاجرةً بين أحراشها ومعششةً في حواسِّ
الدم الخمس عاليةً في القباب وهاجعة في
الزوايا المضيئة بالخضرة الغامضة .

مددتُ يدي . . وابتدأتُ منادمةً تجدلُ الدمَ والماءَ
بين العروق المليئة باللين الحيِّ
- : بيني وبينك فيضٌ وجوه مقنعة تتصاول تحت
اغترابات أسمائنا كي تجبيء .
- : وبينني وبين وجوهك هذي السلاسلُ ، فانظرُ
لنفسك ، لو كان ما لم يكن لانتبهنا إلى البحر
واشتبكتُ من خطانا البداياتُ .
- : لو كان ما لم يكن لاستفاضتُ بنا قوَّة البحر :
أنت الكهوف العميقة والطينُ والخضرة الغامضة

ومن جسدي يبدأ الخلقُ، من جسدي يتقشر كلُّسُ
السرَّاطين تلتفُّ تحت الرخام القواقعُ، من
شهقتي سمكٌ تتفجر ألوانه .

وقصائدُ من صدَفِ النارِ والفضةِ
- : انظرُ لنفسك . . بيني وبين جوهك هذي
السلاسلُ، والأرضُ بيني وبينك مهرةٌ رملٍ
وصرخةٌ ماءٍ تجاوبُ في الليل والريح . .
فانظرُ لنفسك

- : يا امرأة الخضرة الغامضة
تكتبيني على التراب فتبعثره الريحُ، وأكتبُ الترابُ
عليك وأدفنُ نفسي فيه حضارة عشقٍ مطمورةٌ
تنتظرُ الحفارين وتنتظرُ ميفات الانكشافِ
للشمس والريح وقراءة البشر
أندلِّي اسمًا منقوشًا متكرراً تلاعبه زهرتا
العسل على النهدين

وبين بعثرة الريح ورقص الرضاعة ولدٌ يصرخ
صرخةً المجيء المؤجل أو المجيء المستحيل أو
المجيء المحتم . . لا فرق

فَعَقَلِي عَلَيَّ أَنْتِ

.. : «هناك أحلامُ الرقودِ أولى بها»

.. : «هناك يقظةُ النومِ أولى بها»

وهناك حضورُ العينيِّ والوهمِ أولى به

وهناك مستحيلُ الدمِ أولى به

وهناك جنونُ نهنأ أولى به

فخذني مما تشائين لما تشائين

ولتكنْ مشيئةٌ واحدةٌ تعقدُها ملامسةُ

الأصابع أو وشيجةُ الدمعِ المطمئن .

تَقَسَّمُكَ العشاقُ وَأَنْتِ واحدةٌ

أَمْ أَنْتِ العشقُ لِكُلِّ مَنْه ما يستطيعُ من

رِزْقٍ وما يَقْدِرُ من احتمالٍ !!

تَعَدَّدَتِ الْأَحْوَالُ وَالطَّرِيقُ وَاحِدٌ
وَتَكَسَّرَتِ الدَّيْمُومَةُ مَوَاقِفَ وَالْقَطِيعَةُ
وَاحِدَةٌ وَحَصَارُ السَّوَى غُلُوبٌ .
فَهَلْ نَحْنُ أَضْدَادٌ فِي اللُّغَةِ أَمْ لُغَةٌ فِي الْأَضْدَادِ !
وَهَلْ نَحْنُ الْمَجَازُ الْعَلَاقَةُ أَمْ نَحْنُ اكْتِمَالُ
الْعَلَاقَةِ فِي الْمَجَازِ وَالسَّرُّ بَيْنَنَا غُرُورُ الشَّهَادَةِ !!

هَمُّوْ ضَرَبُوا مَوْعِدًا وَضَرَبْنَا لَهُمْ مَوْعِدًا
وَهُوَ الْخُضْرَةُ الْغَامِضَةُ
تَشَكَّيْتُ مِنْ وَجَعِ الطَّلَقِ أَمْ مَطَرٌ جَارِحٌ
يَتَخَدَّدُ وَجْهَكَ !!

هَذَا تَوَقُّدٌ وَجْهَكَ بَيْنَ الضَّلُوعِ
وَهُمْ عَبَرُوا وَاحِدًا وَاحِدًا وَأَنَا آخِرُ الْعَاشِقِينَ
وَهَذَا رَغِيفُ الْمَوَاقِفِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ،
وَالْعَهْدُ :

هذا البلاءُ الثقيلُ
 وهذا البكاءُ البديلُ
 وأرضُ البلاد التي نسجتني خطى من دم،
 والجیوشُ الغريبةُ تبرقُ أحداقُها في
 المخادع والليل ينسلُ خيطُ التذكر في الصحو
 والنوم . .
 فالأفقُ من فلف الشجر المتشقق في الدمع ، وجهي
 عجینُ الملايين من أمهات القرى . .
 أتخمرُ في الحلم . . ما من يد أنكسرُ فيها
 وأفتح رائحة الخبز غير عيّنك
 يا امرأة الخضرة الغامضة
 وكلُّ دم آيةٌ ،
 جسدٌ عنبرٌ وأقاليمُ ماء ، وطفلٌ عصيُّ الولادة
 يكتب أسماءَه بين حجْري وحجْرك ،
 والأرضُ ناقةٌ هودَجنا المستحيل .

والأرضُ ناقةٌ هودَجنا المستحيلُ .
وطائفُ برقٍ يكلمني وأكلَمُ وقَدَّتْه
وانفراطُك بين يديَّ الدليلُ
وقد ضربوا موعداً وضربنا لهم موعداً . .

للتَّخومِ خُطاهُا . . تضيقُ وتتسعُ الأرضُ ،
هَرَوَلَةٌ للأقاليمِ يمتلئُ الحلمُ فيها بما يشتهي
مرةً ملكوتُ

وأخرى سديمٌ يُناوشُهُ العصفُ
والليلُ يُنسلُ خيطَ التذكرِ ، تَنَحَّلُ مني العُرى ،
الفجرُ ينسجُهُ عنكبوتُ الترقُّبِ . .
لأصدقاءَ يعجئون ،

صوتُ الخطيِّ أتعرفُ فيه على صاحبي الموتِ أو
عَسَسِ الظلماتِ وهممةُ المخبرين وراءَ النوافذِ ،
نارُ القبيلةِ في القلبِ . . تعلو فيأوي إليَّ من

الوحش أنس أنيس وتأوي القوافي
ويزأوج الطير، من مُحكم لأي تعلو التراتيل ينبجس
الماء والدمع، رائحة الخبز تصعد من جسدي . .
أتكسر بين قصاع الثريد
وأنحل في الخضرة الغامضة .
وهم ضربوا موعداً وضربنا لهم موعداً . .

.. : ولك الوقت . . فابدأ زواج العشيرة بالطقس
ولتحتمل من ملائي نصيبك ولاحتمل من بلائك
نخذ من صواني أحزمة للرصاص ، نرائط للوقت ،
قائمة الحريين ، أو سمة الخضرة الغامضة
لك الوقت . . فابدأ زمان القبيلة . .

.. : هل عقدت بين أعضائنا رجفة العهد؟
هل موثق أفنديه وهل موثق يفتديني؟
.. : استمع . . إنهم في الشوارع . . فاخرج

- : وهل يَتَّبِجُّسُ وجهيَ من بين نهديك، تلتئمُ
من غنمات الشظايا ورقصِ السلاسلِ أربعةَ الأحرفِ ؟
- : اخرجُ .

هو الليل . . صَحَوْ الإِرَادَاتِ في الكون ، سَجَادَةٌ
يتنفس فيها اشتباكُ الخطوطُ مشاجرةُ اللون في
اللون . . كان الرصاصُ يُشَجِّرُهُ بالزخارف
والأرضُ تنبضُ مخلوعةً في الإضاءات
وهي مؤرقةُ الخضرة الغامضة
تُهاجسُها الخطواتُ ، تصادى النداءاتُ ،
تَسْتَرِقُ السمعَ . . أيُّ دمٍ يستغيثُ
وأيُّ دمٍ يستفيضُ وأيُّ اختداعٍ حبائله
انعقدتْ عقدةُ الصيد !!
تسترق السمعَ . . أيُّ صراخٍ يُمسحُ أطرافه الهالكات
على جذرِ الدور !!

والأرضُ تَعْلُو وتسقط بين الإضاءات
والنارُ تَأْكُل أطرافها وهي تنصتُ . .
«نقرٌ خفيفٌ على الباب»

- : مَنْ ١٩

كلُّ شيءٍ يعودُ إلى حاله . . وأنا قد تكلفتُ حَمْلَ
وَصِيَّتِهِ وَأَمَانَاتِهِ

- : لا أصدقُ

- : هذي ملابسُه تُقَبِّئُها الرصاصاتُ وانتشرتُ

فوق خضرتها بقع الدم ، أحزمةُ الجلد ،
أوسمةٌ ، وتعاويدُ وجهك

- : هذي رصاصاتُه في اكتمالِ عناقيدها ،

والرصاصاتُ تُقَبِّنُ قمصانَه من وراءِ فهل . .

- : لا تقولي . . فقد كان يرحمه الله من أصدقائي

يكاشفُني وأنادمه وعقدنا المواثيق . . لكنه . .

لست أدري لماذا وكيف . .

لقد مرَّ ما مرَّ . . قولي . . السنا نرى مَوْلِدَ
الملوكوت بأشكاله من سديم الموائيق ١٩
فانتظري . . سوف أنشئُ من ملكوتك ما
شئت . .

_ : ما اسمك ١٩

_ : أسماؤنا الحركية واحدة

فاسمعي أول الشعر فيك :

أنا آخرُ العاشقين . . إلخ .

دمٌ نافرٌ يتوامضُ من ظمأ

ويسيلُ مسيلَ الغزالات في العشب

يعلو ويرفع منديله فوق أعمدة الصبح ،

تمشي به الريحُ ، يأخذ بيتَ الإقامة في لهجة الفاصلة .

دمٌ نافرٌ والكتابُ يكفكفه ويخيظ به سرجَ الخيل

ينفثه في القراية يعقده ثمراً وعناقيد

مخبوءة في كلام الناس .

دم نافر في الكتاب
وانت تناديه وتؤاخيهِ بعد انفضاض الصحاب
وبعد فرار رعيته رهبا

وامتلا ، فرائصها رغبا
والبلاد مدي للصدى
وانت تناديه . . مرة بالتحامك مشتبكا فيه
بالغضب الجلف او صارخا بين اصداؤه
عله يتكشف عن وجهه في المدي
اللغوي ويفتح نبع القصبة .
تناديه انت . . وهو يهز بأعمدة الصبح منديله
اللهبي ، وتنظر . .

هل جسد حطب هذه الارض !!
ها انت تزور عنهم وتبدا :

قمصانك انفتحت عن عراها
فلاذ بك النخل والظمي،
وهي اشتكت وجع الطلق وانهمرت
فوق خضرتها الغامضة
محائب مثقلة، واستجاشت دماء السلالة .

١٩٧٩/٢/٢٣

غنائية حجر الولا والعهد

من يرحم الحجرَ المقدَّرَ للغواياتِ انهمازِ العصفِ
أسنانَ الرياحِ مِبارِدِ البحرِ الدءوبِ؟
أقوى خطى الحجرِ الوقوفُ
تنأى الحوادثُ عنه ملموماً . .
فهل تنأى الحوادثُ؟
ها هو الحجرُ الموطأً للمطرِ
تتخذدُ الشمسُ الثقيلةُ وجهه وَيَشيعُ من
عجلاتها طحنُ الصرِّيفِ
ومسيرةُ الحجرِ استقامتُ وجهةً مفتوحةً للطحلبِ
البريِّ والكيمياءِ والملحِ المقطَّرِ
والتحولِ في الأصابعِ . .
ها هو الحجرُ المملِّكُ للبشرِ
نارُ تَبَجَّسُ أو مياهُ تنفجرُ

من يرحمُ الحجرَ المخبأً تحت ذاكِرةِ الطفولةِ صهوةً
أو في قرابات الصبِّ البيتَ الأليفَ
غيرُ القصيدةِ ؟!

مَنْ سواها

حين يدخلها الحجرُ

متكشِّفاً عن وجهه الحجريِّ ثم يقيم فيها !!

دَوَّرْتُ وَجْهَ حَصَاتِكَ الصَّوَّانَ أَغْلَكُهَا
 .. وَشَمْسُ التِّيهِ وَالظُّلْمُ الرِّفِيقَانِ ..
 ارْتَمَيْتُ عَلَى وَجْهِكَ فِي الْفَلَاةِ ، تَفْتَحْتُ
 طَرِيقَ التَّحْيِيرِ ، نَبَأٌ سَرِيَّةٌ تَخْفَى وَتُسْفَرُ
 حِينَمَا سَمِيتُكَ الْحَجَرَ الْأَمِينِ
 يَا شَعْرُ ، وَاسْتَدْبَرْتُ أَحْلَامَ الصَّبَا وَرَوَاهُ ،
 وَانْكَشَفْتُ عَنِ الْيَأْسِ الرِّصِينَ
 لَمَعَ الشَّظَايَا مِنْ مِيَاهِ الْعَمْرِ ، وَاسْتَرَوْحْتُ
 رَائِحَةَ التَّرَابِ يَفْضُهَا مَطَرُ التَّدْكَرِ
 حِينَمَا سَمِيتُكَ الْحَجَرَ الدِّفِينِ
 وَلَفَقْتُ حَوْلَكَ مِنْ جَرَاحَاتِ الْقَطِيفَةِ ، وَانْفَطَرْتُ ،
 أَشَعْتُ بَيْنَ أَصَابِعِي وَالْكَأْغَدِ الْمَخْطُوطِ وَشَمَّ دَمِي ،
 وَلَمَلَمْتُ الرَّمَادَ . . طَعِمْتُهُ كِسْرًا وَلَذْتُ بِهِ ،

وسميتُ الإقامةُ فيه هرولةَ التشكُّلِ
كانت الفوضى المليئةُ بالكلام

صمتًا ثقیلاً

قلتُ للحجر الذي استسلمتُ فيه :
أعِنْ دمي ، وافتح عليَّ بوجهك
المسكون بالقول الثقيل
وحين سميتُ الفواصل في الكلام
حجرًا ، وأعلنتُ الإقامة فيه سميتُ الظلام
نجمًا نحاسيًا وفوهةً بندقيةً مُخْبِرَ ،
وتحصَّنتُ تفعيلةَ الرَّجَزِ المراهقِ بانتشار
الوجه في جوع الزحامِ
وأقمت فيه .

وحين سميتُ البلادَ خريطةً لعناكب الألوان
تنسج كلُّ لون لقمةً للطاعمين وكلُّ
خيطِ رايةٍ تعلو فتتقسم البلادُ وتستحيلُ

الأرضُ أسواراً تتناسلُ،
حين سميتُ الولاءَ وحين سميتُ العدوَّ رأيتُ
موتاً ناشباً بين الجذور يفُضُّ من عُقدِ
الحموضة والمياه وشائجِ النسبِ الصريحِ
ويستقيمُ على محجَّته قتالُ الأهلِ،
نارٌ تحرقُ الحرثَ،
استفاضتُ من علُوِّ المدِّ أجناسٌ من الوحشِ
الطيورِ المعدنيَّةِ والخفافيشِ انهياراتِ السمواتِ
العلا، والعصفُ أجنحةٌ دمٌ
والريحُ تغلي بالغيومِ.
قلتُ: استمعُ . . هذي إضاءاتُ البكاءِ كتابةً
وقراءةً في الدمعِ . .
فاقرأ واستمعُ . .
هذي غواياتُ الحجرِ . .
بعثرتُ نفسك أم همو نثروك في عصفِ الولاية . .

لا الولاءُ يفجرُ الخبزَ الأموميَّ الجميعَ ولا
الدُّحُولُ تُمَدُّ أطرافَ الرماحِ صريحةً
فأقمتَ في الحديدِ
فاقرأ واستمعُ :

هذا الحجرُ

تَتَخَرَّمُ الأمطارُ صفحتهِ وينثروه الظلامُ
يعلو ، ويفتح في شقوق البرق صلصال الكلام
ويعيدُ مجدَ الحلم للشعراءِ
يضفرُ من فتوق الصمتِ آيته
ويخطو خطوة الكوني في النجوى ويُعلن عن
مجيء الشعب في أعقابه . .
قلتُ : استفاقتُ من كراها هذه الزنجيةُ الحُبلى ،
فألَبَسَهَا نَزيفُ قصيدتي عُقْدًا من الجمرِ
المورث في دمي
- الرَّجَزُ المبلَّلُ في خشونة ليفه يعدو

وراء الهودج... استترخت على حجر البلاد
وكدست أعضائها الزنجية الحبلية
وغابت في نعاس الطلق والتجأت إلى
أرفاعها كسف النيازك،
لاذ بالإبطين صوت الديك من كل القرى،
وتفتتت، لا الطلق يضرب وقدة الملكوت تحت
حزامها الكوني، لا انفتحت عرى اللين الحبيس
بقبئتها في المشارق والمغارب، وانسللت،
وضعت رأسي فوق ركبها وثقبت الفضاء
بنظرة الحلم، ارتقبت تفتح الملكوت ما بيني
وبين حجارة الفحم المقبب،
قلت: ألوية الكلام
منقوشة... حجر الظلام كتابها المكتوم...
فاقرأ واستمع:

للقلب آيته المضئية . .

أهلك انتشروا انتشار النمل ،

صاحت صيحة : يا أيها النمل ادخلوا السرب الأمين

- فما على وجه البسيطة من أحد -

والأرض تنغل بالعراك وغلمة القتل ،

الحجر

مشبوبة خطواته من تحت ذاكرة الطفولة ،

لا يكف عن التخلع من مقالعه ،

وليس يكف عن حرث البسيطة والقصيدة ،

ليس من حي يجلجل صوته بمراسم الهدم

المباغت للقبيلة غيره ،

لا صوت يرعد بالبكاء وقد ترحلت الحبيبة أو

تَقْوَضُ مَضْرَبُ الْأَعْمَامِ وَالْأُخْوَالِ غَيْرُ بَكَائِهِ ،
لَا حَيٌّ يَحْمِلُ فِي مَرَايَا صَوْتِهِ سَرْبَ الْغُلْبَاءِ وَهَبُوهُ
الْكَحْلَ الْمَضْيَعُ وَفِي الْخَصْيِ الْمَشْوِي طَعْمَ الْأَمْهَاتِ
ثَرِيدَةُ الْأَعْرَاسِ إِلَاهُ ،

وَفَوْقَ جَبِينِهِ الْمَطْحُونِ صَوْتُ الْهَامَةِ الْغُظْمَايِ
يُولُولُ بِالْقِتَالِ
وَهُمُو تَبَدَّدَتِ الرِّيَاحُ بِهِمْ وَلَمْلَمَ عَنْهُمْ الْمَوْتُ الْحَوَادِثُ
فَالْبَوَادِي تَحْتَ سُلْطَانِ الْحَجَرِ
وَهُوَ الْمَكَابِدُ لِلْحَوَادِثِ وَخَذَهُ .

قَدَسْتُ بَيْعَتَهُ أَقَمْتُ الْحَلْفَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ
حَضُورِهِ السِّيَالِ .
عَرُوتُهُ الْوَثِيقَةُ خَاتَمُ الْإِرْثِ الْأُخُوَّةِ وَالْوِلَايَةِ ،
وَهُوَ عَاصِمَتِي أَزَاوِجُ فِيهِ بَيْنَ الصَّمْتِ
وَالشَّعْرِ الْكَظِيمِ . .

أولُ الحلمِ آخرُ الحلمِ

امراة ليس وقتها الآن

خضرةٌ تحت جلدك مشربةٌ بالدمِ الطمي جوُّ
النحاس الصقيل وسمرةٍ مرمرٍ اللامع
العشبُ يترك لهوَ الطفولة منسحباً لجروف الينابيع،
يندى بدفء الأخوة والظل بين الذراعين والجذع،
هبت من الريح طيبةٌ يتكدّس من مسّها رملُك
الرخو مرمرُك الأسمرُ، الرعدةُ الملكيةُ
نارٌ تماوجُ بين الصلابة واللين . .
واندلعت في القباب المليئة بالزهو شمسٌ من
العنبر اشتعلت في الزبيب مفاجأة الماء
والرحمة الرطبة .

اصدّع بما تحلم، الوقتُ أوسعهُ مرّ
أضيقةً مرّ، أنت تخطّيتها :

أربعون من العمر ولت بلاد تولت
فلبتك تملني ولاءك للحلم
هذا تجلي ولادتك الجامعة/

وأسحب صيفاً من الصوف فوق
معي الشمس أبعدُها أقربُ المس بيني
وبين القميص ، استفتتُ ذهولاً ، وعت ،
الصحارى تقاطرون لي بالغضا والشقائق للمعن
ظل النور المطيفة
قدمن لي ورسهن وطعم الأراك
وأدعية من عرار المحبين .
هل باخع نفسك المستهامة في زجل الثيب والطلل
المتهوس بالراحلين
... عليهم - تفيض عيونك ... تبيض ... يا أسفا !!
أخرجوك من الأرض ، كانت حواراتهم

لغةٍ لستَ منها
الشوارعُ أو سَعُها أضيقُ الصرخاتِ بقلبكِ
وحشيةُ الجوعِ آنسُها يتفصّدُ بالرعبِ
لا تغدُ عيناكِ عنهم إذا دخلوا الحلمَ أو خرجوا
اصدّعِ بحلمكِ
هلُ مخرجُكِ همومِ خطاكِ أم الأرضُ
واللغةُ امرأتانِ تقاسمتا قلبكِ الغضُّ أم
هذه امرأةٌ جارحةُ/
ورأسي على ركبتيكِ وعيناي كأسا دمٍ
يتخشّرُ من تحتِ شمسكِ
أسقط ما بين شمسكِ
أنزف ماءً وثلجاً وأدخل أروقة الله،
شمسان:
مصهورةٌ تتشظى بجفنيّ واحدةً،
تتكلم أخرى عن الكائنات المذابة

تجلس في حضرة الدهشة المشرقة تحت
الظلام، وأدخل أروقة الله،

زمتني الصيفُ والصوفُ تحت فضاء السموات،
نمتُ، استفتتُ ذهولاً، ونمتُ،
تدثرني جمرة الليل

تفرطُ فوق عناقيدها اللهيّة
بيني وبين القميص الخيول الصّواهلُ،
النافُ غاب من الشجر المعتم المتهدّل،
هذي غزاةٌ خوفي مطاردةٌ حرةٌ،
أقلبُ

واديك يهبطُ
ريحانك ابتلّ والعشبُ
رأسي على ركبتين هما الخبزُ والماءُ،
هذي غزاةٌ خوفي وخوفي :

هما امرأتان أم امرأة يتقلب بين يديها دمي ؟
الطبقان المليثان ،

شمسان من عنبر وزبيب ،
وأرض رخامية الليل بيضاء
فاصدع بحلمك . .

ناشئة الليل مثقلة والكلام الثقيل الأباريق
تزيد بالماء والخضرة اللافحة /
على كفي اليمام المطوق باللهب الأخضر ،
الخاتم العائلي مضيء

وهدي هي امرأتي :

مرطها نشرته الرياح فلاذ به الغيم
والأنجم انتشرت والسموات كشتن لي زمن الفتح ،
خيّل ، وجوه تعرفت فيها عشيرتي الأقربين لهم
صولة الريح وادرعوا الفقر
والتحموا جسداً للأخوة

فاصدع بحلمك

هذي عشيرتك الأقربون دمٌ يكتب السعف

الحي والأغصن المثمرات ،

دمٌ يتناسل فيه النبواتُ والشهداءُ

الكتاباتُ والصرخةُ الفاتحة /

وهم يكتبون ولا يقرءون

انتبه،

غيرهم تحت سبي القراءات مغتصبون

فبشرهمو:

أنت نسلُ الكتابة:

في أمة أنتَ واحدُها

وهي تحت السموات

أعضاؤك

انتشرت:

وحملك

تقرأ

تخرجُ

تقتلُ

تبعثُ

فانتبه

والقراءةُ بِشْرَاكَ
أولّها موتك الآية الواضحة/
وآخرها أمةٌ تقرأ السعفَ الحيَّ
والأغصنَ المثمراتِ
انتبه

لستَ وحدك
فاهجرهمو - حان وقتك - هجرًا جميلًا
فكلُّ بما عنده فرحٌ،
وتَلَقَّتُ:

جندٌ، عيونٌ مدجَّجة
والدروعُ السَّوابغُ، والزَّردُ الأدميُّ ارتخاءُ الهلامِ . .
تَخَبَّطُ بينهمو

والحصارُ يضيقُ
استفقتُ من الرعبِ:
كلُّ الجوارحِ تعدو وتلهثُ،

تَلَقَّفُ وَجْهِي - يَدٌ عِنْدَ حَرِيرٍ :
هي امرأتي . . يتكسَّرُ في وجهها الطميُّ أَقْنَعَةً
سبعةٌ يتكشَّفُ أَقْنَعَةً سبعةٌ ،
والعروق على ظاهر الجفن نابضة زرقاةً يستريح
بها أرقُّ العشقِ ،
ما بيننا يرقُّ النهر دمعاً طرباً
ويفتح بيني وبين الصبا خطوةً

- : نحن في أوَّل الوقتِ ؟
- : بل نحن آخره .
- : تمكثين إلى مطلع الشمسِ ؟
- : هل أفق آخرُ تطلع الشمس فيه فأمكث ؟
- : لم أتعرف عليك دماً راعفاً بالطفولة ،
فلتمكثي .
- : جسدي يتقرَّطُ دمعاً عليك ويخضرُ ،

أنت بخضرة أعضائي السنبلاتُ المليئةُ،
أحمل وجهك تحت قناعي وأرحلُ،
فاصدعْ بحلمك.

- : هل نحن في آخرِ الوقتِ؟

- : بل نحن أوَّلُه .

- : والبريدُ المسافر بيني وبينك هل

تحمل الريحُ أمطاره؟

- : أشتهيك كما قد قضى الطميُّ بالعشق .

- : هذا انهيارُ دمٍ في دمٍ وانفجارُ السمواتِ بالماءِ ،

هل ترحلين

أراحلةً أنت؟!

- : ما همَّ والوقتُ ليس لنا الآن!!

- : ناشئةُ الليلِ مثقلةٌ بالظلامِ الثقيلِ

النجومِ الخفيفةِ والغيمُ يعدو

- : الوداع

- : الوداع

استفقتنا ذهولاً :

من الرعب لم التفت

وهي لم تلتفت

١٩٧٧/٥/٣٠

هل الانتظار هو

فهل أملي لكِ وأمهلكِ الرويدَ من شبقِ البحرِ
واستنامة الأرضِ للأجسادِ الذائبة !
صدوعُ هي الأرحامُ المولَّهة
ورجرجةُ الماءِ فعلُ الذكورة
فأمهلكِ . . أسمعِ قورانَ الأنسابِ
وتلاقحِ الاختياراتِ
وأملِي لكِ . .

أسمعِ نُضجَ الدمِ :
أيدٍ تنبتُ أصابعُها
أقدامٌ تأخذُ شكلَ السعي والطريقِ
وأصلاّبٌ بين مطرقِ الطبيعة الحرةِ وسندانِ
اشتقاقِ الأسماءِ على غيرِ قاعدة
وأنتِ ترقبِ الأرضِ ذاتَ الصُدعِ والسماءِ

ذات الرّجّع

وترقبُ الجبالَ تمرُّ مرَّ السحاب

لا تدخلِ الحلم ولا تخرج

فإذا أفقتَ فامسحِ النومَ من عينيك

وتفقّدْ على قافية الرأسِ العُقْدَ المعقودة

فبأي ناصية عُقِدَتْ ذؤابةُ الولادة

والويةُ البحر والأرض !!

لا أنتَ تدخلِ الحلم ولا تخرج :

للمتوسط زاوية قائمة ،

في الشرق والجنوب هندسةُ الإغراءات

والأحمرُ عِلقةٌ لا تكتسي ، له شكلُ

الزّواحف ولا يسعى

فقيرٌ أنتَ من العائلة فقيرٌ للعائلة

لا تدخل الحلم ولا تخرج، ولموتها كل سبب إلا
الموت.

طال بك حال الرباط
لقدميك ظلٌ منحتَه قداسةُ الثغور وأمانةُ البلاغ
جسدك تهليلُ السموات والأرض
وما بينهن لائذٌ بك، يدخل الأسواق،
يأكل الطعام، يتخفى
فبالعشائر أنت والأمهات
هل يكيدون ويكيدُ الفقراءُ كيذا؟
بل يمكرون ويمكر الفقراءُ:

خيّلهمو مجنّحةً
ممالكهم لها أسماؤهم ووجوههم أفقُ اللّواء
يترافدون عباءة الرّقع القديمة والقديد
ونكهة الخبز المشمسِ وامتلاء النوم

بالأشجار والصحور ، امتلاء الوقت بالطير

المحوم والبكاء

والخيل بين الصحور والأشجار تعتلك الصهيل

وتشرئب على اتساع الرمل في شجور الخداء

وتمر بين النوم والأشجار .

لا تغري ولا تُغري

وليس لها بمعمور ثواء

ديمومة الريح العصف لجأها المرخي ،

وأمداء من الكرّ الفسيح

فلا تراوغي لا تُراوغي ،

ترتوي عرقاً وتسهل بين أشفار المناجل والسنايل

تضرب الأرض المقيمة في نعاس الحمل ،

تغفو غفوة الرقص المفاجئ في البراري ،

يستجيش بها علو المد والموج

المزاحم تحت مجروح الغناء
هل أنت تعرفهم وهل هم يعرفون ؟
هم يعرفون وأنت تعرفُ :
أنتمو وطنٌ يُسبِّلُ الدم السريُّ .
عهدٌ قائمٌ أم قد تقصمُ ،
بيننا حبلٌ من القسم المغلظ بالمجيء . .
أم قد تصرم ؟
فلتقل يا أيها العَلَنُ الخبيء . .

أجتمعُ في نفسي على البكاء وكلام الأنهار والشجر
بينني وبين العشيرة الأقربين منازلُ العشقِ
وسفرُ الحمية
وكرامةُ الأعراقِ
بيننا ماءٌ للمكتابة وجمرةٌ للعناق .

بيننا ماءً للكتابة :

لكَ الجبينُ المغسولُ بلينِ الأمِّ،
سقطَ الزَّغْبُ الأصفرُ وتجلَّى وجهُكَ بلونِ الخبزِ
تخرجُ تحتَ فضاءِ الليلِ وتغدو شجرةً هائلةً
يلفُّها الظلامُ المرَقَّطُ
كلما اختفتَ نجمةٌ غادرَ عضوٌ من أعضائكَ الليلَ حتى
تتكاملَ على فراشِكَ الحشنِ
للحصرِ والليِّفِ غابةٌ من تألفاتِ اللمسِ والأحلامِ
للسمواتِ ذاكرةٌ في عينيكِ
تعرفُ كم دائرةٌ تطيرُها الصقورُ والحدآتُ العاليةُ
حتى تصيرَ الشمسُ في مركزِ الأقواسِ
وكم مرةً تلدُّ الأبقارُ حتى تشعَّ منها قداسةُ الأمهاتِ،
وتعرفَ لونَ المهرةِ من رائحةِ السرجِ أو حموضةِ
العرقِ

للشيران والإبل توائم الصداقة وذكريات الأخوة
والموت يرسم خطوط الجوار الأليف بين
دفع البيت وفطائر الرحمة للموتى
يتكلم الحصى في يديك
يحكى دخوله في أعتاب الأهل وأضرحة
الأولياء وعَرَصات الخبز
ومدار انفلاته من المقلاع إلى وحش الطير
والشمار البعيدة
مسكونة هي الخطى بقراءة الخميرة للأرغفة
وقراءة القبقاب الخشبي لأفرع الجميز
وقراءة الجلباب للعصافير
زيارة هي الشحاذون يفتحون أبواب الفجر
حضور الكون وكبرياء التكامل هو أذان العشاء
وكل الطرق دعوة لضيافة مفتوحة .

تعرف كم مرة تدورُ الساقيةُ فترتوي آخرُ سنبلة
وتحلم بخرق العادة وتنتظر العجائبي واجتراح
المعجزات

فتمتدّ من يديك الينايع
وتهاجرُ الطيورُ بأفاتها إلى صوتك السريّ
حنجرةٌ هي الطباقُ السبعُ
وتمامُ القراءات هي الأرض
والخليقة مطويةٌ تتقلبُ بين نهارات المتحرك وغسق
الساكن

أمّ تقوم وتهوي هو جسدُ الإيقاع
المكتوب في رياضيات الحلم .

بيننا جمرةٌ للعناق :

أحلُّ عُراها وأفتح أكمامها ،

ورقٌ مخمليٌ تقرأهُ ماءُ الأصابع ، كفٌ تكابده ،
كلما سقطتْ ورقةٌ نفرتْ في منابتها قورةٌ
للطلوع المفاجئِ وازدحمتْ . .
ليس تهوي الوريقاتُ في ملأ من حرير النعومة
والدفء إلا اقتراباً يباعد بيني وبين مزارات
خضرتها ، والخطى نحوها أوبةٌ . . ليس في الكف
من طلعها رجفةُ المسِّ بل رعدةُ الأسئلة /
وجوعٌ تقادمٌ واحتشدتْ في مفازاته الروحُ .
ألقتْ عباءتها المهملة /
وأرختْ نطاقين قلعينُ فهي السفينةُ
أعضائي البحرُ والريحُ صاريةُ المزن .
قلتُ لها : قد أقمتُ مقامي من الوحشة الآهلة /
نديمي دمي ، قلتُ : وحدي . . وهم كثرةٌ غالبون
فقالتُ : هي المحنةُ النعمةُ الكاملة /

وهذا اصطفاؤك ، هم صولجاناؤك الخضرُ ،

هم في مسير الرياح قصيدتُك المقبلة /

«فكن سماء وحي وأرض ينبوع وجبل تسكين ،

وإذا تحرّكت فلتكن حركة إحياء»

كرمة أنت . . فانظر :

أي سلطان لك فتنفذ من

أقطار السموات والأرض !!

لك ممالك الجنّ الفسيحة وقلق الإنسان

ومستقبل الحلم :

جوّان النوم في المدن المهجورة وشواهد

القلاع أو يقظة الجلوس على العرش .

تستبدُّ بك فوضى الغيوم والأرجوان المدّم في

مملكة الريح

فهل هم الموتى يعيدون أدوارهم في
صمتك المسكون بجاء التذكر . . فتري كل
شيء شبحاً يهيم بين مرأتين ؟
كرمة أنت . . فانظر :

لك الأرض ، نقش من الضوء والعنمة
الرطبة ، الشمس تسقط من بين أفرعك الشبكية

ضوء : لعل بلاداً تخامرُها النارُ فهي نوقدُ في السر
ظل : لعل بلاداً تنام على قزع الصور .
ماء وطين : لعلك نهرُ البكاء المجلجل ،
علك تعقد في إصبعيك العصائب والنهر ،
تمشي فيتبعك الشجر الرخص ،
تمشي على خطوك الزلزلة /

هم أنسربوا سرب الدّر وانتشروا :

لا السمواتُ تبقى كما كنَّ،
والأرضُ تعلو كما طُوِيَتْ خِيمةُ الظَّعنِ . .
فاهبطْ إليهم كما يهبط السيل . .

١٩٧٧/١٢/٢٥

امراة.. إشكاليات علاقة

تَهَدَّتْ نَاقَةُ اللَّيْلِ ، اسْتَطَفَّ لَهَا مِنْ
الرَّيْحِ الْمَلِيئَةِ بِالْظَّلَامِ الْكَثْرُ ،
فِي اللَّحْيَيْنِ مِنْ جَرَشِ اللَّغَامِ الرَّعْدُ ،
وَانْثَرَتْ مِنْ الرَّغْوِ النُّجُومُ الْقَضَةُ الْمَاءُ الْمَدْمُ
وَالْغَبَارُ الزَّعْفَرَانِيُّ ، الرُّغَاءُ وَشَيْجَةُ
الْإِيْقَاعِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ .
وَامْرَأَةٌ تُسَاقِطُ عَنْ خَوَاصِرِهَا النِّصِيفَ تَقُومُ
مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ نَافِذَةً مَعْشَقَّةَ الْجَوَارِحِ
بِالطُّيُورِ وَهَمِّمَاتِ الْغَابِ وَالنَّهْرِ الْمَشَاكِسِ .
وَالْبِلَادُ بِأَسْرِهَا انْكَشَفَتْ .

مددتُ يديَّ:

كنتُ سوايَ، ليس النهرُ ما كنا عبرناهُ
عراةً نلبس القمحَ الصبيَّ، الغابُ غيرُ الغابِ،
والطيرُ المراوِغُ غير ما كنا سرقناهُ
صغاراً من عشاشِ القشِّ،
والأشجارُ ليست ما زرعناهُ
أبي وأنا،

ولا رحمٌ تشدُّ خطايَ للأرض
المطيفةِ خلفَ نافذةِ الجوارحِ،
هذه امرأةٌ تقوم مقامها بيني وبين الحلم
(معتصمٌ بوجهِ الحلمِ معتصمٌ بطوفانِ القصيدةِ)
هذه امرأةٌ تدبُّ النارُ تحت قناعها الطينيَّ،
يطلع وجهُها السريُّ:

يخطو فوق بلور النوافذ
 والرياحُ بنفسجُ الصحو، الدمُ المخفورُ من
 عهد الطفولة رائقُ كالماء،
 والأفقُ الزجاجيُّ، والزجاجةُ كوكبُ
 والقرطمُ الشوكيُّ مشتبكٌ بآخرِ ظلمةٍ تعدو . .
 الضحى يعلو بأطراف المآذن والقبابِ يَفُضُّ
 سنبلةَ المرقشِ في عقود الطير والسعف . .
 الضحى يعلو . . وأنتَ قضيتَ ليلتكَ الثقيلةَ عارياً
 تعدو تخوض بين بارقةِ النعاسِ وخطفةِ
 الحلم المكاشفِ، أنتَ قد قضيتَ ليلةَ عمركَ،
 انكشفَ المدى ما بين بارحةٍ وسانحةٍ
 وأنتَ تُصاولُ الوحشَ الكلاميَّ
 المدججَ:

هل هولٌ أوسعُ مدىً من صمتِ الناريين
غلافِ الكتابِ وغلافه الآخر؟
والأرضُ: كتابُ المسافة وكتابةُ الأفق.
والوحشُ الكلاميُّ المدججُ بالكوفيِّ والنسخيِّ
مندلعٌ في خروم المخطوطات
يُخفي وجهه السريَّ في خشخشة الكاغدِ
ورائحة الرقوق وكثافة الرشاقة في موت
الظباء ونكهة الجلودِ القديمة
ويعلن حضوره في طعم الحبر والماء والصمغ
ويسافرُ في صوت الريح المقيم في قصبِ الأقلام.
أتذكرُ مخللةَ العَبكِ والمقلمةَ النحاسيةَ
ومجمرةَ الرملِ وريشةَ التَّسر؟
أتذكرُ شجرَ الزَّنجارِ الأخضرِ ورائحة

التراب ومخطوطة شرح القطب على الشمسية
ونحو الأشموني وسلم السّاوي وإيقاع
الرجز في الألفية ١١

أتذكر حُمرة الألف والياء في خطبة جدك
عامر للجمعة اليتيمة وزخرفته الباهتة
لهبوب الريح من تلقاء كاظمة وإمباضة
البرق في الظلماء من إضم ١١

تلك كانت آخر العهد بوجه أمك وجميزة
البكاء وموتى العشيرة

وآخر العهد بتواطؤات السمع والبصر والفؤاد
«وكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد»
ذلك أول العهد بأولياء نعمتي

لسانك مختومٌ بعسلِ العشق واللّهجة الصادقة
ودمك أولُ الضحى في الكلام الصعب
فَلَيْسَكُن النِيلُ أَعْضَاكَ وَالْفِرَاتَانِ
وَلَيَّيْتُ فِي جَسَدِكَ الْقَصْبُ وَتَخَضَّرَ فِي
صَوْتِكَ أَهْوَارُ الْقَصِيدَةِ
وَلِيَمْتَلِئْ حَزْنُكَ بِالْكَشْمِشِ الْمُوَصِّلِي
فَقَدْ مَنَحْتُكَ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ الْأَعْرَابِ صُغْرَاهُنَّ
وَوَشَّمْتُ وَجْهَكَ بِشَمْسِ الطَّابُوقِ
وَمَسَامِيرِ الْكِتَابَةِ فِي الْمَرمرِ .

أنتَ في عرسِ القبائل :

ها هي انتشرتْ مقاصيرُ الحجارة
والرخامُ توهَّجَتْ منه الهياكلُ والدُّمى

امتدتُ صفوفُ الخيلِ والفرسانُ مدرِّعونُ

حول الساحةِ

الشمسُ النفيرُ وزرقةُ الأفقِ الصدى والصوتُ

شمسُ جَنَحَتْ ألقاً من العرباتِ واندلعتُ

تطيرُ وأفقُها وهيجُ الدروعِ .

المرمرُ انفكَّتْ طلاسُمُه وبارَحَتْ الكتابةُ

والنقوشُ زمانُها الحجريُّ

والأمُّ الشعوبُ تكأكاتُ فوضى من الأعشابِ

والماءُ، القبائلُ تستعيدُ حرارةَ الأسجاعِ

بين الهمز واللمز ، الملوكُ أتوا :

تقسَّمتِ القبائلُ تحتَ أعلامِ الطواطمِ

هاهي الأعلامُ خاتَمُ خطبةِ لبسته أعمدةُ الرياحِ

الشمسُ نفعُ الخيلِ طمَظمةُ الجموعِ ،

ومهرتان تشابكتُ بيني وبينهما الخيوطُ،
رأيتُ في خيطين تَقْطُرُ منهما الحنَاءُ في الكعبين
دائرتين واسعتين :

عشقُ بازغٍ أمْ دارةٌ للموت ١٩
كحلُ زُرْقَةٍ عَسَلِيَّةٍ : خيطان تَنْفَتِحُ السماءُ عليهما
أَفْقًا من البرُحيِّ والرُّطبِ الحَيَامُ تَخَلَّلَتْهَا
الريحُ بالغزلِ القصائدِ وانتحابِ الوشمِ بالذكرى .

الدمُ الفِضِّيُّ في المَهْمَازِ ، شمسٌ قطرةٌ
عَلَقْتُ بِحَدِّ السيفِ :
هذا البحرُ مجْتَمَعًا تشيرُ إليه عاصمتان من برقي ؟
سرابٌ ؟ صفحةٌ مكتوبةٌ فيها اقترانُ دمي
بماءِ المعدنِ الخلاقِ ؟ ١٩

حَمَحَمَتَانِ تَشْتَبِكَانِ :

مَهْرُثُهَا اغْتِلَامٌ طَافِرٌ مَا بَيْنَ

هَمِّهِمَةِ الشُّكِيمَةِ وَانْدِلَاعِ الْمَاءِ وَالنِّيرَانِ فِي

الْكَفْلِ الْمَدْمَلِجِ ،

بَيْنَ أَرْبَعَةِ الْخَوَافِرِ يُوَلَّدُ الْإِيقَاعُ قَافِيَةً فَقَافِيَةً

حِصَانِي - وَهُوَ عَاصِفَةُ الرُّبَاعِيَّاتِ - مِنْكُمْ

تَجَمَّعُ فِيهِ مِنْ حِقْبِ الذِّكُورَةِ وَالْجُمُوحِ رَشَاقَةٌ سَرِيَّةٌ .

هَلْ كَانَ بَيْنَهُمَا الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ حُضُورِهَا الْمَلَكِي ۱۴

فِي كَتْفِي ۚ كَانَتْ كِبَرِيَاءُ الْفَقْرِ حَشْدًا مِنْ نُبَوَّاتِ الدَّمِ

الشَّهْدَاءِ وَالثُّورَاتِ أَعْتَابِ الصَّبَاحَاتِ الْمَلِيئَةِ

بِالْغَيُومِ الْعَشْبِ أَشْجَارِ الْخَلِيقَةِ وَالْبِرَاحِ الطَّمِي

وَالْقَطْعَانِ .

وَالْأَسْلَافُ يَحْتَشِدُونَ بَيْنَ أَصَابِعِي النِّسْلِ

المقاومُ بالمحاريثِ السيوفِ قصيدة الغزلِ
الصريحة مستكنٌ حول مقبض سيفي،
انطلقت بمرتها تخطرُ . .

دورة . . ثنتين

قبلي فتية سقطوا . . الأخير أنا
وهففت العباءة والمطارفُ قد سترنَ كَشْفَنَ
هل هذا الزواجُ الصعبُ آخرُ بدعةٍ
كتب الملوكُ طقوسها

أم هذه نُذرُ احتفاليات موتي تحت أسياف العشيرة ١٩

دورة . . ثنتين

أرقص والمياهُ تفطرتُ فوق الجبين بسرّها
الجبلي رائحة المراهقة العريقة .
عطفت نحوي الشكيمة واشرابتُ نجمة المهماز

وانفجرتُ على السيفين شمسٌ . .

ضربةٌ . . ثنتان . . ثالثةٌ . .

تكسرتُ الشموسُ وهمهمَ البرقُ

استضاءتُ عُدوةٌ ما بين بحر الروم والظلمات

رابعةٌ وخامسةٌ . .

تَفَلَّتْ بيننا ومضُ القري والنهرِ والأرضِ الأسيرة . .

والمدى اتسعتُ دوائره ، استراحتُ سَوْرَةُ الحَبِّبِ ،

استدارتُ فوق مهرتها تَخَطَّرُ واستدرتُ لها ،

البدايةُ صعبةٌ ،

عَطَفْتُ نحو سهيل مهرتها الشكيمة

ثم أَلْقَيْتُ الدريئةَ ما اَدْرَعْتُ ، رميتُ هُلْهَلَةَ الزُّرُودِ

وبيضة الرأسِ ، انكشفتُ كما أريدُ ،

لعبتُ بالسيف المراهق مثلما أتذكر الصقرَ

استمالاتِ النخيلِ ومثلما اذكّر الريحَ الصبيّة،
كنتُ مفتوح القميص غوايةً، شاغلُتها،
العجبُ العجائبُ يطير من تحت القميص،
الوشمُ وضاحُ الخرائطِ :
يطلع النخلُ الحروبُ الألفُ
بحرُ الروم يعلو فوق أطراف الخراب
شواهدُ الأسلاف تبرق بالأهلة والبكاء الصعبِ
أرضُ شققَتها شهوةُ المطرِ
الخيولُ طليقةٌ في الغيم .
أفتح رقصتي بيتاً والعبُ
سيفُها يعلو ويهوي ثم يطعن
مرة . . ثنتين . . عشرًا . .
وانفَلَتُ، دوائرُ الموت القريبةُ والبعيدةُ كنتُ

أعبرُها وأرقص بين حدِّ السيفِ والموتِ التقاءِ
السيفِ بالسيفِ انهماكِ الكشفِ والأسرارِ
دُرْتُ ودارتِ اشتبكتِ دوائرُنا،
فمَعْرِقَةٌ لمَعْرِقَةٍ وأربعُ أعينٍ تَتَفَتَّحُ
الآفاقِ تحتِ عراكها السريِّ
.. لَمُنَحَ البرقِ .. كنتُ أطيحُ من يدها بمقبضِ
سيفها ارتكضَ الحصانُ وراءَ مهرتها
جموعُ الصرخةِ انعقدتْ على وجهِ القبائلِ والملوكِ
ونحنُ في الصَّبَبِ الرباعيِّ انطلقنا من وراءِ
السَّورِ وانفَتَحَ البَراحُ لنا .
هما في الظلِ يَخْتَضِمانِ عشبَ الأرضِ
مَعْرِقَةٌ لمَعْرِقَةٍ وحمحمةٌ لحمحمةٍ
ونحنُ نراودُ الخلقَ الموحَّدَ .

.. : تَمَّتِ النُّعْمَةُ/

لَكَ الْعُرُوشُ الْعُلْيَا وَأَعْمَدَةُ النُّهْرِ
وَحَمِيرَةُ الْيَابِسَةِ

«والتفت الساقُ بالساق»
استدارَ الزمانُ على أوله كيومِ بَدْءِ الخلقِ،
فهل تلدين النهرَ وأرفعُ لك قُبَّةَ الفضاءِ
وأدحو كرةَ الأرضِ ١٩

.. : فلتبتدي زمنك ومعجزة يديك وآية
وضَّحِ الأسئلةَ في السِّنةِ الأحياءِ والموتى
وعسلِ الحيرةِ والتفاتِ المعرفةِ .
.. : أُنخِثْنِي الجراحُ كما قد شَهِدْتَ وأثقلني
الوشمُ بالميراثِ والولاية

.. : حذارِ . . فإن الأفقَ تعلوه غبرةٌ عالية . .

وقبلَ تَلَفْتِي كانَ العَجَاجُ وكانت اللغَةُ المَفْتَتَةُ
القبائلُ والملوكُ يزاحمون الأفقَ بالغضبِ
المجانيقِ الصهيلِ ورغوةِ الزَّهْوِ المخاتِلِ . .

كان رعبُ الوحشِ شوكًا طالعا تحت
الأظافرِ والدمِ
الأرضُ البرَّاحُ تفرُّ تحتِ حوافرِ الوحشينِ
ليلٌ أرقطٌ يلتفُ أشجاراً تكاثفُ عوسجاً
عشباً من الأشفارِ والخوفِ المجنحِ
تطلع الهُولاتُ

- : كم شمساً تقلَّبت السماءُ بها ونحن
نشقُّ هذا الليلَ ١٩

«صمتٌ مثقلٌ بالرَّعْدِ والصرخاتِ ينطق بيننا»

شمسٌ مفاجئةٌ تفتّحُ بابها والأرضُ هادئةٌ الولادة،

ليس من أحدٍ سوايَ .

«الموتُ أخطأني وأخطأته ١٩»

الغيومُ ثقيلةٌ والهوةُ اتسعتُ وقام بها عمودُ الصبح

«موتًا تستريحُ به . . الملوكُ قَضَوْا

وبُعِثَتِ القبائلُ تحتَ أعلامِ الطّواطمِ والطوائفِ»

فوق وجهي يسقط الطابوقُ والعظميُ المفتتُ،

مرمرُ الأبهاء يُوصدُ لحظةَ الخلقِ اشتباكِ

الحلمِ بالوحشِ الكلاميِّ،

الرخامُ يُعيدُ سيرته :

الملوكُ على عروشِ الحفرِ، صمتُ قبائلِ

الأحجارِ منتشرٌ وأفقٌ من ملاء الصخر

والأنصابِ والأزلامِ .

ثلاث نهايات مقترحة:

- ١ -

الرُّخامُ يُعيدُ سيرته :

الملكُ على عروش الحفر ، صمتُ قبائلِ

الأحجارِ منتشرٌ وأفقٌ من ملاء الصخر

والأنصاب والأزلام ،

يا امرأةُ تنام على مَحَقَّتِها الفقيرة

أيُّ حرثٍ أنتِ ؟

هل من أيّما موتٍ طلعتِ ؟ !

الريحُ تلبس خاتمَ الطير المحوّم والكتابُ

تقلّبتْ صفحاتُه من تحت دَوّاماتها

الوجهُ المحيرُ في سموات الضحى والليل .

يا امرأة أموتُ على محفَّتِها الفقيرة
 أي نومٍ نَشَرْتَهُ عليَّ سِغْلَاةُ الكلامِ
 وحوشُهُ النسخيةُ الكوفيةُ ١٩
 اعتصمي بوجه الحلم
 واعتصمي بطوفان القصيدة
 قلبي عينيك ما بين الضحى والليل :
 هل هذا البنفسجُ والدمُ المخفورُ من
 عهد الطفولة راعفٌ في الأفق ١٩
 منشورٌ تقلبه الرياحُ على زجاج الصحو ١٩
 أم فزعٌ مقيمٌ تحت فرشتنا سيكتب بيتنا
 عقدَ القران ولايةَ النسخي والكوفي طعمَ
 الصمغ والجلد القديم خلافةَ الإيقاع في
 فرح الطفولة بالضحى والليل ١٩

الرُّخَامُ يُعِيدُ سِيرَتَهُ :

الملكُ على عروشِ الحَفْرِ ،
صمتُ قبائلِ الأحجارِ منتشرٌ وأفقٌ من
مَلَأَ الصخرِ والأنصابِ والأزلامِ ،
يا امرأةُ تهدِّلُ شعرُها والتفُّ حَنَاءُ
ونخشِخشِ دَفْؤُه الليفيُّ والتفتُّ على
عيني غيمتهُ ، اشتهاؤك رجفةُ الطمي المبللِ ،
والمسافةُ بيننا أدنى وأبعدُ من
دمِ الصرخاتِ في الحقووين

« طلبتُك كما اشتَهتُ نفسي وأُشرقَتِ

الحدوسُ بينُ الإمكانِ والموتِ .
العشائرُ أبدعتُ من موتها الحجريُّ إيلافًا ،
لإيلافِ العشائرِ رحلتان :

الصيفُ : مُهرٌ دمٌ وقافلةٌ من
الغيمِ الخفيفِ الأفقُ شظيةٌ مارجٍ يعلو
الرمالُ استَفَّها العصفُ الجزيزةُ صفصفُ ،
دشداشةُ الزَّهوِ الجهولِ ، السَّبيِ يأتي ،
والحرائرُ والإماءُ يجتنِ والخصيانُ ،
فقرٌ مزهرٌ ، والجوعُ شمسٌ فرقرتُ
كالذَّبَحِ في دمها .

الشتاءُ : القهوةُ التبغُ المرايا البحرُ يزبدُ
في الزجاجةِ والزجاجةُ كيمياءُ للتلافيقِ
القديمةِ والجديدةِ -

ها هو شعبٌ أغلقتْ دونهَ مرْحَمَةُ الحِلْمِ ،
له الدَّمْعُ العَرِيقُ ولِكُتُبُ الصُّفْرِ
له رائحةُ الصمغِ واحتماءُ الوشمِ بالكوفيِّ والنسخيِّ
ومن تحت جلده تَدلُّعُ المخطوطاتُ وروائعُ
الزَّنجارِ الأخضرِ وشجرُ الأقلامِ

وأنتِ بيني وبين الجميعِ
ساعةٌ للزلزلةِ والعصفِ المأكولِ
ولقمةِ المؤاخاةِ بين النارِ ونكهةِ الجلودِ القديمةِ
وقيامةِ الإيقاعِ وأهويةِ المحاريبِ والأفُقِ . .

الملكُ على عروشِ الحفرِ ،
صمتُ قبائلِ الأحجارِ متشترُ
وأفقٌ من ملاءِ الصخرِ والأنصابِ والأزلامِ .
يا امرأةَ العشائرِ عرَّشَ النخلِ
الرخاميُّ الطيورُ وشمْنُ طابوقِ السماءِ أهلةُ
والتمتَّ الصرخاتُ ساكنةً على جِصِّ الشِّفاءِ
بكيْتُ ، والشَّعْرُ الغلاميُّ استراحَتْ تحتَ ملمسهِ
الأصابعُ والمسافةُ بيننا اتَّقَدَّتْ
زجاجُ الصُّحُوفِ يَبْرُقُ بالبنفسجِ والدمِ
المخفُورِ من عهدِ الطفولةِ
هيئي طقسَ المقايضةِ المراهنةِ :

البنفسجُ . . كلُّ واحدةٍ بصقْرِ دمٍ يفرُّ من
الضلوع ويكتب الأفقَ الأهلَّةَ
والغيومُ . . بكلِّ واحدةٍ صراخُ مُشْرَئِبٍ في
الجوارح للمسافاتِ
الخيولُ . . بكلِّ ضربةٍ حافرٍ ملكُ،
بمحمة السَّفادِ قبيلةُ،
بطراوة الدمع العشائرُ،
بالندى وروائح الطمي المبَّلل . . كلُّ ما
ولدت نساءُ السَّبيِّ .

فارتعدي . . الضحى يعلو، البنفسجُ في
صراخ الرياح والأفقُ الزجاجةُ
والزجاجةُ بيتنا اتَّقدتْ بصمتِ زواجنا

السريُّ صمتِ عراكِنا السريُّ
فانتبهي - . . البلادُ بأسْرِها انكشفتُ . .

١٩٧٧/٨/١٩

محنة هي القصيدة

«ولقد نرى تقلب وجهك في السماء»

غيمة من رقع الماء الفضاء الدخنة الباهتة
التفت على منزل شمس ورياح .

ورمادي نسيج فككت عروته حذوة طير ليس
ينقض ولا يعلو ،

اهتراءات رقيقات تبعثرن وفي هدايهن
اشتبك الشوك المضيء القنفذ الساطع يرعى ،
عنكبوت ذهب يقطر منه الأرجوان .

الليل في آخره السهل عصافير ينقضن عن
الريش بقايا القطر أضغاث النباتات

هباء الذر والغُبْشَة ، يُسلمن المناقير
إلى دفع الجناحين .
النهارُ التَّمُّ في أعضائه واصتاعدت شيبته من
تحت حناء الذُرَى ،
الصخرةُ تأوي للنعاس الرطب والهوةُ تئاءبُ
والقريةُ جروُ مرحٍ لا ذبه النومُ البعيدُ .

رجلٌ ، وامرأةُ تفتح في عروّة ثوبها الشفيفين
بخوراً ولُبائناً زاكياً ، تفتحُ في الطوق هلالاً
خفّ نهدين ، حفيف المخمل الناعم بالحُلْمَة ،
والمرأةُ تمشي خضرةً معنمةً في
هودج الليل ويمشي الرجلُ النائمُ يقظاناً ،

يدان انفتحت بينهما عشر عيون يتواشجن مياهها
وارتعاشا ودما تصهل فيه الخضرة الدافئة
القمح ربا للركبتين ، اخضرت الطينة ،
أوراق السفاه اصاعدت علفقة عطشى ،
اقتراب ، قبلة توشك . .
عقد الكهرمان اساقطت حباته وانتشرت
تومض ما بين النجيل الغض تهوي
ظلمة لامعة بين الشقوق .
انفتحت ذاكرة الطير ، جناح دافئ ينبت ما
بين الحواس الخمس ، عش الجثوم الهدأة
الخالقة الأرض وإغراء الشقوق السنبل ،
الذاكرة انصببت بما تحمل من إرث وليل
دوبان الخلق في الخلق انشطار الخلق

في أعضائه .

أقمت وأقعى

عينا يلتقطان الكهرمان

اشتبك الماء بلحم الأرض في

عشر لغات حية العناب

قمح تنطوي أعواده الهشة ، قش ، وبشاشات

تكسرن ، وعرشا يفسح الهيش ،

أشربت بهجة الجوقة بالعشب

الأناسيد تناوشن

السماء اتسعت

والأنجم ازدانت بما يرسمه الكحل عليها

ازدهرت عليقة القبلة ،

صلصال - له النعمة والمجد - ارتوى ،

تحت اللسان احتشد الطيرُ وكعلكُ الأقرباءِ
السُّكَّرُ الذائبُ في ماء الشعيرِ،
احتشدتُ في نكهة الحلم حروفُ المدِّ والقصرِ
وصلصالٌ - له النعمةُ والمجدُ - على يابسة
العرشِ وقوس الأفقِ والماءِ استوى

(يفتحُ جَبْرُوتُ الصخرِ مسالكه
والحجارةُ تخرُ صَعَقَةً
فهل لامستَّها شفافيةُ اكتسَاءِ العظامِ باللحمِ
أم تنزلُ الدهشةُ من سمواتها العلى
في صيحة كالصاعقة المرسلة !!
الجسدان ينبعان وتتسعُ بهما حدودُ الأرضِ
وَيَزْحَزَحُ الأفقُ

حنانٌ كأنه الخوف
ورحمةٌ كأنها جيوشُ الشجر وخيولُ
القراية الصاهلة في ذاكرة المسافر .

جسدان هما الأرضُ بما رحبتُ
وأرضُ هي المسافةُ المقدَّسةُ بين
العبارة والعبارة
إقامة في القول هي السَّفَرُ على
أطواف الذاكرة العالقة بجريان النهر
ودوران الرياح
والمندفعة بين جزر الرغبة القاسية في
أن يُكتشف المكتشف
وفي الامتلاء بالجرأة المتوهجة على قولٍ

ما قيلَ مجدِّدا
وضربَ الخيمةِ في متردِّمِ القصيدةِ
وباديةِ الحداءِ . .)

نجمةُ الصبحِ على وشكِ الطلوعِ / بين ماءينِ ،
السحابُ الأصهبُ الأشهبُ أقدامُ من
السعيِ الهوليِّ على وجهِ المياهِ / خطوةُ
هائلةُ الوجهةِ
ماءُ كلِّ شيءٍ
كلُّ شيءٍ ليس ماءً ،
جسدُ الأرضِ فتوقُ رخوةُ ينهمرُ السعيُ
الهوليُّ عليها بالسحابِ الأصهبِ الأشهبِ ،
قطعانُ توالي سيرَها المحتشدَ الذائبَ في

غَرِينَهَا الرِّيحُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ / وَجْهَةٌ هَائِلَةٌ الْخُطْوَةُ :

كَانَتْ رَقِصَةُ الرِّيحِ دُورًا قُلُوبًا يَرْبِطُ

بَيْنَ الْأَفْقِ وَالطَّيْنِ ،

فَضَاءَاتُ الرَّمَادِيِّ النَّسِيجِ انْفَسَحَتْ

يَعْبُرُهَا وَهْجُ الْإِضَاءَاتِ ،

أَنَارَ أَفْرَعٌ ؟ !

أَمْ غَابَةٌ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ ؟ !

وَهَلْ هَذَا الْفَضَاءُ / سِيرَةٌ لِلشَّجَرِ الْمُقْبِلِ ،

مَرْمَى لِرَشَاقَاتِ النَّبَالِ ، الصَّيْحَةُ الْمُرْسَلَةُ

الرَّجْعُ وَإِذَا بَوَاقِ الْفَتْحِ ؟ ! هَلْ

هَذَا الْفَضَاءُ / قُبَّةُ الرَّحْمَةِ بِالْخَلْقِ أَمْ

الْأُمَةُ قَوْسٌ وَدَمٌ يَنْزِفُ مِنْ

أَجْوَاذِهِ مَدًا وَجَزْرًا ، شَهَقَةٌ

سوف تكون الشهداءُ

أمةٌ مستورةٌ هذا الفضاءُ القبةُ ١٩

الأرضُ الخلاءُ/ خطوةٌ في الفلك

الدائرِ والنارُ المواقيتُ ١٩

كلامٌ تحته تذاوِبُ الأنجمُ والشمسُ

وأمداءُ الجلاميدِ ولا يحملُه غيرُ القصيدةِ ؟

رجلٌ، وامرأةٌ تفتح في الطُّوقِ هلالَ الوجعِ

الأخضر، في عُرْوَةِ ثوبَيْها الشفيفين الرضا عار

بِخُورِ اللبنِ الحيِّ حفيفَ المخملِ الناعمِ بالإرثِ

وبالوارثِ

تمشي خضرةٌ مثقلةٌ الخطوةَ بالوقتِ وتناي

وهو يمشي مثقلٌ الوقتِ بفوضىِ الاحتمالاتِ

اشتباك الموت بالقافية الصعبة والماء

وينأى

والمدى بينهما متسع الفقر اكتمالات التواريخ

المدى أسئلة الأهل الذين ابتدءوا

ثم انتهوا كي يبدءوا

هل أحد يعرفهم فيه وهل من أحد يعرفه فيهم

وهل من أحد يسمع ماء نازقا في

طبقات الذاكرة

ليس ماء كل شيء

كل شيء ينبع ماء ..

١٩٧٧/١٠/١٤

أَوَّلُ الْحَلَمِ آخِرُ الْحَلَمِ

زُرْقَةُ الشَّمْسِ ، أَحْمَرَارُ الْأَفْقِ الْأَخْضَرُ ، بَحْرُ

مِنْ زَجَاجِ اللَّيْلِ

.. : مِنْ أَنْتَ ، وَمَاذَا يَكْتُبُ الْبَرْقُ عَلَى

وَجْهِ الْقَرَاءَاتِ ! ! أَنْتَظِرُ .

حَجَرٌ يَفْتَحُ بَيْتًا وَدَمٌ تَأْخُذُهُ الرُّعْدَةُ

أَهْدَابِي عَلَيْهَا مِنْ رَمَادِ الْمَطَرِ الْغَامِضِ

تَلْجُ مِنْ يَدَيَّ اسْقَاطَ .

.. : هَلْ يَزْخَرُ الْآفَقُ إِذَا أَنْطَقَتِ الرُّعْدَةُ

أَحْجَارَكَ ، هَلْ مِنْ قَدَمَيْكَ أَمْتَدَّ نَسْلٌ وَسَبِيلٌ ؟ !

حَجَرٌ يُصْنِي .

وَفِي الصَّمْتِ الثَّقِيلِ

يكتب البرقُ على هام النخيلُ .

حجرٌ يُصغي . .

وريحٌ صرَّ صرَّ تَقْلِبُ جفنَ الأفقِ ،

هذي صُرَّةُ الأسماءِ ملأى باُسْتَبَاكِ

الشَّبَقِ الخالقِ بالموتِ ،

صريرُ الدَّبَقِ الدافئِ يعلو ،

غَلِيَانٌ طالعٌ

تُعْقِدُ الغيمةُ .

بحرٌ من زجاجِ الليلِ ينشقُّ ويابُ السفرِ

الصعبِ النِيلِ

تفتح الرعدةُ مصراعِيه

.. : ثلجٌ أم دمٌ يغلي !!

انتظرُ

شهقةٌ للموت تعلو أم صهيلٌ

أم هما ضربةُ برقٍ طائرٍ !!

فلتتظروا.

(يَمْرُجُ ماءُ الظلمةِ الحي)

فما سؤالكُ عن ثلجِ الجَمَدِ وأنتَ مقيمٌ

في عرشِ الجَمرةِ الحَيَّةِ،

وما سؤالكُ عن النارِ وأنتَ يَقْظانُ

النومِ في إجاباتِ الجَمَدِ !!

وأوقفني،

أقراني أني أجمعُ بينهما والخروجَ منهما

ثم أقراني أني علمُ أسئلةِ النومِ .)

حجرٌ يسكنه البحرُ ويحرُّ من زجاج الليل
كانا يُصغيانُ

... : هل بلادُ هذه الخطوةُ في البحر ، كتابُ

هذه الريحُ ، الحجرُ /

أمةٌ من أم الماء الذي يمرُّ في القاعِ !!
انتظرُ.

حملاً رخوٌ ودفءٌ يابسٌ هذا الغراءُ اللّزجُ السائلُ
كالدهنِ المخاطيُّ وهذا العفنُ المزهرُ لحمٌ ناغلٌ
رجرجةُ الدفءِ الظلاميِّ انزلاقٌ مرعبٌ المسُ
ملاساتٌ صديدٍ رغوّةٌ معتمّةٌ في جنةٍ تحت
جحيمِ الشمسِ هذي غابةٌ من عطنِ الجيفة لحمٌ
زنخُ الزُهْمَةِ هل هذا سِفَادٌ من طقوسِ الأرض

والبحر سفاذٌ في زجاج الليل إذ يسكنه البحر ١١
انتظرُ،

واقرا خيوطَ العلقِ الدافي واسمعُ.

لستُ بالقارئ، أغفو في كوابيس الكتابات .
انتظرُ . . واحملُ على كفك شمساً للقراءة .

(تغسلُ الشمسُ أقدامها في عينِ حمئةٍ
هذا وضوؤها قبل قراءة الفضاءِ والبسيطةِ
والقراءةُ نارها الدائمة .)

حجرٌ يفتح لي بيتَ الفضاءِ
رعدتي تسكنه دفئاً ونجماً لقرى الضيفِ ،
دمي يكسرُ أغلالَ الحواسِ الخمسِ
يعطيها خُطى العشبِ وقاماتِ الشجرِ

فوق أهدابي الطويلات رمادُ المطر الغامضِ يحو
رؤيةً يكتبُ نهرًا من مرآتي الأرضِ والبحرِ،
صراخُ أخضرٍ يطلعُ من قلبي هدوءًا رحمةً عاليةً
يلبسها الطيرُ،
السمواتُ تباعدُنْ نكشَفُنْ . الكلامُ/
أُمُّ من صُرَّةِ الأسماءِ والأسماءُ ملأى
باشتباكِ الشبقِ الخالقِ بالموتِ . الكلامُ/
أرأيتَ الفقراءَ المقبلينَ
من دمِ البحرِ وطُمُثِ العلقِ الدافئِ ؟

فأسجدُ

ترابُ الينابيع يحمل

تاريخها وصليل مجازاتها،

مدُنُ تركتُ صوتها وهي

تولدُ، والريحُ كانت قماطَ

البداية وفرفة الحلم في

راية الكلمات المضيئة،

يحملُ ما تركته استعاراتها

فسحةً لاندھاش القراءات

والفتح مملوءةً بالقباب

البريدِ المسافر . .

فأسجدُ

واقترِبُ

إنه الطبقاتُ من الورقِ

الإنحناءُ المفاجئُ في النقش .

مُمنمةٌ ليس تكرارُها غيراً أنَّ

القبائل تزرع أنسابها الملكية

في الوشم ، أنَّ الذي

جاءَ يأتي . .

اقترِبُ . .

والق دلاءك

لا تُلقها بين أيِّ الدلاءِ،

اقترِبُ سفرًا، إنها

الطبقاتُ من الورقِ

انكسرَ النقش متشراً

في فضاءِ اكتمالاته .

لوجهك غربةُ هذا الترابِ ،
لعينيك برقُ البساتين في
آخر الأفق والأرض .
هل أمةٌ تتنفس ما بين
وجهك والأرض ؟ !
هذا ترابُ الينابيع . .

هذا سهيلُ مجازاته
مدنٌ تنفتحُ فيها القراءاتُ
تعلو السمواتُ
بيتُ الفضاءِ انفساحُ القراءةِ
للشمس والشمسُ تكتبُ
وقتاً وتمحو وتثبتُ

طبقاتُ من الورق
انكسرتُ والعيونُ تفتَحُ ،
ألقى دلاءك بين الدلاء ،
اغتسلُ ، لم يحاصركَ غيرُك ،
فاخرجُ عليهم لتدخل أحلامهم
فالقبايلُ وقتك .

هذي هي الطبقاتُ من
الورقِ انكسرتُ والعيونُ
تفجّرُن تحت قراءةِ قلبك .

تهوي وتعلو المدائنُ ما وقتٌ هو السَّلمُ الدائريُّ
بين وقتٍ ووقتٍ المرابطُ بين الكلام
وتهوي وتعلو . وبين الكلام الخطي يَتَفَتَّحْنَ ،

قل ،
لوجهك هذا الترابُ واقترب .
المباغتُ .

ما بين وجهك والأرضِ
حلمٌ لوجهك والأرضِ
فاسجدُ

هل تراهم يسجدون الآن في رقصة عشق دموي ؟
إنهم يقتربون

فاقرأ الماء انتماءَ الشجر الأخضر للفقير الصريح
وانتسب للشجر الأخضر والفقير الصريح
إنهم يقتربون الآن . . .

فاسجد واقترب . .

١٩٧٧/٥/٧

فاصلة إيقاعات النمل

تعاشيق

شمسٌ تميلُ،

وسرب الطير منفرطٌ ومنعقدٌ،

والقمحُ من ذهبِ الأضواءِ يتقدُّ

يأيها الولدُ

في عنكبوتِ الشمسِ - رأدَ ضحى -

عيناك من قَبَسِ والقلبُ يتفقدُ

فاتركْ لنخلتكِ الفرعاءَ ما تجدُ

من خُضرةٍ معجونةٍ بالطلعِ لا تلدُ

أو غيمةٍ قد بددَ الزَّجاجُ غُرَّتَها

ما بين أقواسِ الزجاجِ الصلبِ لا ماءٌ ولا زبدُ

والعشبُ بعضُ سوافٍ من دُرُورِ اللونِ ينثرُها

عصفٌ وأزمنةٌ،

والوجهُ مشتعلٌ، والطينُ لا يعدُ

والخيلُ صافنةُ الأشكالِ ضائعةٌ،

والدَّراعونُ هباءُ الدَّرِّ،

لا رَمَحٌ ولا زَرَدٌ
 اخْلَعْ خَطَاكَ . . فهذي لوحَةٌ تعشيقُها جَمَدٌ
 خمسونَ من زَنَّتْ وقَصْدِير
 أمِ العمرِ الذي وَلَّى
 أمِ البَدَدُ ۱۱
 خمسونَ أمِ سَعَفٌ يَذْوِي
 أمِ الجَسَدُ
 أمِ رَمَّةٌ بالشَّيْبِ ترتعدُ ۱۱
 اهبطْ شظايا صرخة شُطْبِ
 واخطفْ فتاتكَ من بين الشخوصِ
 ولا تَحُلْ جديلتها . .
 حناؤُها الرِّصْدُ
 والسحرُ نفثٌ من يد الزَّجَّاجِ طَلَسَمَهُ
 في نقطة من عنبرِ
 - والفنُّ أَرْجَاهُ -

فاحلّلْ بعشقتك ما بالسحر ينعقدُ
واركضْ بها في الأرض، أضرمْ في خرائبها
الأشعار، وأكبرْ،
وابلغا الخمسين في عشيقه
زجاجُها خمسونك الأبدُ .

١٩٩١/٢/١١

اصطلاح النشيد

رشفةٌ من قهوةِ الفجرِ ،
ورمحٌ من ضرامِ البرقِ في مرشَفِ فنجانٍ ،
وجمرٌ زفرةٌ تخبو يَغطِّيها الرمادُ
غفوةٌ بارقةٌ الخطُفةُ ترمي الرأسَ بين الكتفين .

رشفةٌ أخرى . . .

ووجهُ الفجرِ ينحلُّ :
غرابٌ من دخانِ الكحلِ يعلو
ثم يهوي من مدى الشرقِ إلى الغربِ ،
بأطرافِ جناحيه الدمُ الساطعُ
والنارُ وعهنُ الذهبِ المصفورِ بالزرقةِ والفضةِ ،
مهمازٌ صديءٌ وبقايا زردٍ منهدلٍ في صمتهِ ،
سرجٌ وأوتادٌ ونصلٌ ضائعٌ المقبضِ ،
جمرٌ زفرةٌ تخبو يَغطِّيها الرمادُ .

رشفة أخرى . .

وريقُ البنِّ منسوجٌ بأنفاسِ أبي

المُدْلِجِ في النومِ الأخيرِ

وهو في إشراقةِ الحيرة . .

ألقى جسدَ السعي ،

ارتختُ أعضاؤه فوق سريرِ السَّنْطِ والجُمُيزِ ،

ألقى من يدين ارتختا مفتاحَ أهراءِ من

الرغبة والخوف ، التَوْتُ في قدميه سبيلُ الوحشة

والركضِ المدمى ، ارتعشتُ في ركبتيه سكرةُ النَّزْعِ

وأهواءُ دمٍ يخبو وطينٌ يُستعادُ .

آه من آخر ما يرجفُ في الروح من العشق ،

اغتسالِ النصلِ ما بين لحاءِ الشجر الرُّطْبِ ،

أنينِ البلطةِ الصلبِ بأصلاّبِ الجذوعِ ،

الشهقة الأولى ،

ووجهِ امرأةٍ يفتح في القلب مغاليقَ البلاد !!

(أشدُّ على مهرة النشيد سرج المطالع

والافتاحيات :

غَزْلٌ هو القطيفةُ والحريرُ المنمنَمُ ووَشْيٌ

الدراهم الذهبية وورود الصباحات الساطعة .

صيدٌ وطِرادٌ للغزالات والنسور هما ليونةُ

العراك الشبقي مع الأوزان وقوافي

الطبول البعيدة .

وإحكامُ المجاز والفاصلة

وإتمامُ النعمة بالحكمة وسيار المثل .

مراثٍ هي زحامُ الآفاق بمواكب الدم وبطائحِ

الشهداء ودائرِ الثارات المؤرثة

بكاءُ أطلالٍ هو وشمُ الدمع على هول

التدوير وانفراط المكان المنشور

مدائحُ نساجين لم يتركوا خيطاً من الغيم

والأفلاك وعروق السلالات والمصائر إلا

نسجوه في مُخرّمات الغامض المنكشفِ
وسجّادات الحمى والحمية .
أهاجِ كطعم السم . . مرّ صدورها
وأعجازها الخطبان بين الغلاصم .

مهرةٌ من قَصَبِ النّيات والحلم ،
وغيمٌ أشعلتْ أطرافه هالةُ شمس من
وراء الأفق
والريحُ عزيفٌ فائرٌ من طينة الكون ،
الرباباتُ امتدادُ الرمل . .
تعلو هالةُ الشمس فتعلو في الربابات
مواويلُ المغنين القدامى
وأبى يلتفُ بالكتمان بعد الغسلِ والطيبِ وحناءِ الحنوطِ ،
الجوقةُ اصطفتُ . . وللمهرة ترجيع الصهيلِ
أيها الشعر الذي يَقْطُرُ بالطلّ وبالدمع . . تَهَيَّأ

أيها الشاعرُ في الموت الجليلُ
شدَّ أوتاركَ وانفخْ دَمَكَ الملهمَ في الناي ،
اتَّقِذْ ، واعصفْ بأبواقك عصفَ الماء في الطوفان ،
جَلِّجَلْ بسلالات قواف من رميمِ الأهلِ ،
ها أهلك في الموتِ يخْبُونُ ،
أبوكَ انكشفتُ عن نومه أقمطَةُ الفجرِ
وعن خطوته البوابةُ انشَقَّتْ ،
وللخطوة إيقاعُ الطبولِ

آه ياوجه أبي الميت !!
هذي مهرةٌ صافنةُ الإنشادِ في الغيب . .
فلا تَعْلِكْ إلا صَبْوةَ الشعرِ ومصفودَ الغناءِ
قمْ إلى صهوتها وابدأ غيابكُ
ياأبي . . والبسْ على أكفانك الخضرَ حديدَ
الزَّرَدِ الذاهلِ والبسْ
شكَّةَ الصيدِ الإلهيَّ

اتكئ في لحظة الدفن على رمحك وأخرج
بين صفين من الموتى ويعثر من هدايا عرسك
الفضة والكعك

اضطجع في سرج أعراسك واسمع
من تلاقين الصهيل
أه يا وجه أبي الميت !!

صبح في احتفاليات موت كلما انقضت أعيدت
مسرّداً حياً ؟ أم «الضرابة»
امتدت فجميز وسنط يستعيدان الفصول

فهما من خشب اللحظة إعوال مواويل يطول ؟
أم هما من رجفة القافية المفتتح الهائم في قول
الدهول ؟

كان وجه الفجر ينحل ويدأوب في هالة شمس أوشكت
وارقض معراج شرارات

وكانت مهرةُ الإنشادِ تعلو
وأبي يعلو على صهوتها
ظَلَّيْنِ في مَسْرَى فضاء الروحِ
كانتُ نجمةُ الصبحِ على وشك الأفولِ
وأنا من خطفةِ الرؤيةِ والرؤيا تلقفتُ حصيَ
الروحِ وَقَلَّبْتُ دمي
زفرةً وجدِ جمرَةٍ تخبو
يغطيها الرمادُ . .

رملة الأنجب

١٩٩١/١٠/٣١

تَحَاوُلَات

خالٌ على الخدِّ مكحولٌ، بومضٍ شظايا الروحِ يتفَضُّ^١
نجمًا بأفق دمٍ صَحْوِ^٢
يُراعِفُه عشقٌ سَحَابِيهٌ^٣
- بين التذكر والنسيان -

تفتح ماءَ العمر من لجج الإيقاعِ،
تحت وجيب القلبِ تنقبِضُ^٤
والموجُ عينُ فلاةٍ رَفَرَقَتْ ظمًا،
والبيدُ بين ضلوعي سبِيبُ^٥
بسرابِ الرِّيِّ تُتَبَّضُ^٦
ما قبلةً نطقتُ إلا بجمرةٍ وجدٍ،
ليس من ظَلَلٍ تحت الضفائرِ إلا لفحةُ^٧
بشواظِ الشعرِ تُرْتَمَضُ^٨
بين الجوارحِ والعُرَى المقدسِ .
هل هذا الرخامُ دمٌ تغلى هواجسهُ^٩
أم هذه دِمَنٌ تَلَّتْ^{١٠} تحت يدِ النحاتِ في حُرْقِ التكوينِ

أم مدنٌ أخفتُ سلايبَ موتاها إلى زمنٍ
مرموزهُ الجسدُ العريانُ
أم ندمٌ تعوي خوالجُ عارٍ في نعومته
أم رعدةٌ بجنون الكشف والشبق الموتورِ
عاصفةٌ ترنو وتغتمضُ !!

كانتُ بمشتبك الأنفاس حمحمةً،
كانتُ غزالةً شكٌ فاتن ومضتُ بين
الخرائب تخفى ثم تعترضُ
قد أثلعتُ ورمتُ وهمَ الحبال بصيادِ الظنون
فلا ينسلُّ من شركٍ إلا إلى شركٍ :

شمسٌ تبعثر ومض الكحل أم ديمٌ تقترُ في
صخب الإيقاع أم زهرٌ يكتُم في
عنب النهدين أم جسدٌ هذي المتاهة !!

كان السرُّ مُختَبِلاً يَلْتَمُّ في عَقْدِ الأهواءِ نَسِجَ دَمٍ
باللمسِ يُنْتَقَضُ

والخلقُ - أوَّلَ خَفَقِ الطينِ في ظُلَمِ التكوينِ - مُرْتَجِعٌ
يَنْقَدُّ من فَلَكَ الأشعارِ قافيةً من بعدِ قافيةٍ حتى
امتلاءِ ظلامِ الغُمرِ بالنظرِ المَحْضِ المَحْدَقِ في
مَحْضِ القصيدةِ .

كان الصوفُ والزَّغَبُ المَكْنُونُ ذاريةً تَذُرُو
- من الشبقِ الموتورِ -

وقَدْ دَمَ يَنْحَلُّ مَحْضُ رُغَاءٍ من حنينِ لبونٍ
في مدى الظمأِ الوحشيِّ تَرْتَكِضُ
والإثمدُ انْتَشَرَتْ بينَ الجفونِ مرايا فحُمِه
أَفَقاً يمتدُّ فوقَ شظايا قِبلةٍ رَوِيَتْ
فانحَلَّ من عسلِ الأهواءِ فيضُ رُؤىٍ
تهويلُها بمراقبي الروحِ قافلةٌ

بعد الفتوح وبعد الحج - ضائعة بين
المفاوز تعلو ثم تنخفض
حتى إذا اتسعت بالرمل ذاكرة القوضى وهب
رفات الأهل وانتشرت نؤي المضارب
والتم الشتات رعاة يشحذون ردينياتهم غضبا -
أهوى الكتيب على الكفين رجرجة
واستوقز العنب الممسوس في الشفة الظمأى
وفاح عرار الريق
والتمعت بين السبابس أسراب الطباء .
وكان السر مختلا في شهقة المطر الكوني يتفص . .

القاهرة

١٩٩٢/١/٢٦

اكتُمِلْ ذبيحاً

كَسَفُ الظُّلْمَةِ وَالْعَصْفُ كِتَابٌ مِنْ دَمِ الشَّاهِدِ
إِذْ تَسْفِي بِهِ الرِّيحُ وَتَعْلُو فِي سَمَاءِ الْقَوْلِ
وَالصَّرْحَةِ قَبْلَ الْأَبْجَدِيَّاتِ ،
وَتَذَرُو شَجَرَ الْأَقْلَامِ بَيْنَ الْأَبْحَرِ السَّبْعَةِ مِنْ
حَبْرِ الظَّلَامِ

هَكَذَا مُرْتَجِعُ الطِّينِ إِلَى مُقْدُورِهِ قَبْلَ الْكَلَامِ
هَكَذَا مُرْتَجِعُ الْحَرْفِ إِلَى ظُلْمَتِهِ الْأُولَى
فَلَا الشَّاهِدُ يُسْتَبْقَى وَلَا يَبْقَى شَهِيدٌ ،
كَانَ مَا كَانَ أَحْتِمَالًا ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا ظِلَامٌ صَبُوءٌ ،
كَانَتْ بَغَايَا الْقَوْلِ فِي الْأَسْوَاقِ ،
فَاسْتَبْدِلْ قِرَاءَاتِكَ فِي ذَاكِرَةِ الْمَحْوِ ،
اسْتَمِعْ - يَا أَيُّهَا الرَّائِي - إِلَى
زَلْزَلَةِ الرَّجْعِ وَتَأْوِيلِ الْكَلَامِ :

وقف الشاهدُ في أبهة السوق وحيداً،
 كان طفلاً فرّاً من قافلة البدو التي تضرب في
 ذاكرة الرمل المقفّى وأنبجاس الدم والثار وفوضى
 الرّجَزِ الهائم في هيّمة اللهجة والخوف،
 وحيداً كان في أبهة الختل وطقس الخلف الكاذب

مايين

نحّثون يعرض الصيد ولصّ يشتري بالرعب،
 شحاذون في الساحة، أضواء دم من سالف القتل،
 سبايا، جوهر من أعين الموتى، عظام بليت في
 قبضة النخّاس، هرج، ودخان قسطلاني على
 صفحته يشتبك البرق وتهوي كسف الظلمة
 والعصف، ومداحون يحثّون على وقع الدفوف
 حاصباً من مراثيات المدن المخلوعة الأبواب والمرمر،

طيرٌ من شطايا الجمر والفولاذ يَهْوِي من تعاشيق
السقوف

ينزوي الشاهدُ ما بين فتوق الرجز المضغّة (هل
مُسْتَفْعِلُنْ

كامنةٌ بين قلبِ الروح والآفاق أم يكمنُ
في مستفعلن ماءُ السلاّلات ومجدُ الفتح -
والوقتُ فضاءٌ دامسٌ بين جحيمين ؛
رفات الأهل - صيد الغرباء
للقطا والنوقِ والآرامِ (١١)

قَلْبُ أَيُّهَا الشاهدُ عَيْنِكَ :
بهذا الصيدِ من قايضَ مَنْ !!
لا ذهبُ التجار أو قيءُ المرابين ولا
سحرُ الأرقاء بفيض الخرز اللامع يكفي ثمنًا
يَعْدِلُ تسبيحَ القطا . .

للخبيل والطير وللنوق مَرَّاحٌ واسعٌ في سجع كهانك
 أو في الرجز البازغ والنَّفث الهَيولي بترجيع الحذاء
 أنت في ظلمة غَمَرٍ مُستعاد، فابتدى، قد أزِفَ الشعرُ،
 وأرجعُ بصرَ الحيرة ما بين الجمعين،
 وأطلقُ فزعَ الصرخة من وشمِ بلاد ورمادُ
 يتبعُكَ الصيدُ من طير ووحش وقواف،
 هيَّجِ المعجمَ وارصدُ وترصدُ مُرسلَ الغيمة والقطرِ،
 دَياميمُ العراءِ
 جسدُ منكمُمِ الصبوة، قاعُ حَقَّة من غُلْمة الخلقِ أراكُ
 وغضًا يَلْتَفُّ بالأعشاب والسُّدُر، غُرُودٌ نَاهِدُ،
 أنصابُ صخرٍ وتواءاتُ دمٍ من حجر الشهوة،
 هذا شبقُ الكونِ تُعرى، فاحذُ قطعانَ اشتهاؤك
 واخرجُ من فتوق الرجز الغُفل،
 وخذُ من إرثِكَ الدائرِ قتلَ الليفِ واعقدُ
 من حبالِ تلكَ أشراكِ الغوايات وثبَّتْ وتدَ

الخيمة، وافتح للصبا باب النشيد

واستمع:

أيُّكُما الشاهد، من كان الشهيد؟

هل تُرى كنتَ وحيداً أم دمُ الأسلاف معقودٌ على

نُطْفَتِهِ فِي عُقْدَةِ اللَّيْفِ

وهل كان الغناء

أمةً سِيقَتْ أَمَامَ الْعَصْفِ حَتَّى احْتَشَدَتْ فِي صَرْخَةٍ

المشهد؟

أم أنتَ احتمالا تُك:

موقوتٌ وبدءٌ خالداً الرهبة

أم أنتَ اكتمالا تُك:

في الرمل وجودُ الرمل . .

صِرْفٌ مِنْ صَرِيحِ الْفَقْرِ لَا يُشْرَى وَلَا يُبْتَاعُ،

سَافٌ . . لَيْسَ تَسْتَعْبِدُهُ فِي بَدَدِ الرِّيحِ يَدُ الرِّغْبَةِ،

دَوَّامٌ عَصُوفٌ . . حُرَّةٌ حَبَاتُهُ بَيْنَ الْمَدَارَاتِ،

جميع مكثف، فرد ذروري، قديم قدم الدهر،
ومن أحواله ينجدلُ الفجرُ الجديد!!
فابتعد.. لا هرباً في كذب الظن..
انقطع.. . أضعف ما كنت وأضوى بدؤك
المكتملُ الخطوة واللهاجة،
أقوى ما يكونُ القتلُ والقاتلُ عوداً أبديً
لاشتهاء الأرض.. ما بين المحيطين
وبحر الروم.. للمذبحة البكر،
وقلب.. أيها الشاهد.. عينيك، وزحزح لغة الرمل
وثبت وتدا الخيمة في رمل الكلام..

كَفَّ ظِلٌّ كَانَتْ النخلةُ،
 مَوَماً سراب في أبيضاض الشمس،
 رَحْلٌ، ورَحَى تَسْتَفُّ وحشَ الظما المنقض بالطير،
 جرادٌ من شظايا الذهب الشفاف،
 ها أنت، وهذا حُلْمٌ يَسْتَرْجِعُ الموتى
 أم الموتى حصى من حسرة الظن وحشدٌ سيقوم؟
 كيف والأهل غبارٌ لم يكن - لَمَلَمْتُ من
 شاهدة المقبرة الكبرى خطوط المرمر المغسول بالدمع
 وأسماء نجوع وقرى؟
 أم أنت في ساحة غيبٍ ذاهلٍ بالقيظ تستقبل تجارَ
 الأقاليم:
 قَبَاطِيٌّ، حريرُ الموصل، التفاحُ والفلفلُ، أجناسُ
 جوار،

ميرةٌ من كل زوجين ، سلاحٌ مرهفٌ ،
فيضُ كتاباتٍ على الكاغد والرق . .
مقامُ الظلِّ في الخيمةِ هذا أم غواياتُ التخومِ
برقتُ في خطفةِ الحلم بما كانَ
أم الخيمةُ ميثاقُ دمٍ محتشدِ الصبوةِ
مندورٍ لما سوف يدومُ ؟!

كائنٌ هذا الذي تنظرُ؟ أم هذا الذي تُبصرُ في النارِ،
وماءٌ من يقينِ اللمسِ هذي المجرمة؟
وترابٌ قائمٌ منتظرٌ في زعفرانِ السَّحرةِ
أم هبوبُ الريحِ في طلعِ الكتاباتِ؟
أهذا كائنٌ؟

فانظرْ - إذنْ - وامسحْ بِشِقِّ الليلِ وجهَ
الفجرِ، أشعلْ في رمادِ الأنجمِ المنكدرةِ
شمسَ قُطعانِكَ - هلْ غادرتْ من مُتردِّمِ الأهوالِ؟
واخرجْ للندى والعشبِ،
أضيافُكَ في ضَخوةِ هذا الصبحِ يأتونَ،
ومندورٌ لسانُ السَّطوةِ الفُصحى لُثملي خطبةَ العيدِ
فَهَيِّئْ من ثريدِ الضَّانِ وامزُجْ لبنَ الناقةِ بالتمرِ المصَفَّى،
واملا الرُّكوةَ بالجمرِ، اتَّكَيْ، وانظرْ،

أهذا كائن !!

فافرش - إذن - أبسطة الرمل
وقسم ظل بيت الشعر مساحات :
هنا يصطف كهان وعرافون ،

في ميمنة الظل النبيون وفي ميسرة الحشد مقام الشهداء
ثم يصطف ملوك الأرض مذ كانت ومن خلفهم
الحراس والحاشية - الحجاب - أخلاط قيان ومغنين
العبيد الشعراء

خلفك الأهلون من أسلافك الموتى نسيج في فضاء
الشجرة

أغصن في كتب النسابة امتدت شباكنا
لاصطياد الغيب والأفلاك ،
قد أمك أسلاب ذوي الشوكة والشكة مذ
سال دم فوق أديم الأرض ، قواد ،
غطاريف قلاع ورباطات ، سلاح ليس يحصى ،

مَدَدٌ مِنْ سَاقَةٍ . .

هل كائنٌ هذا !!!

فَقُمْ فِي مَلَأِ الْحَشْدِ - إِذْنٌ - وَابْدَأْ بِلَاغِ الرَّمْلِ مِنْ
قَلْبِكَ ، أَضْيَافُكَ يَلْتَفُونَ فِي ضَحْوَةِ هَذَا الْيَوْمِ أَسْمَاعًا
وَأَبْصَارًا ، لَهُمْ مِمَّا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ - بَعْدَ جَلَالِ الْمَوْتِ -

هَذِي الْأَوْجُهُ الرُّوَاغَةُ الْمُنْبَهَرَةُ

فَابْتَدِئْ بِالْقَهْوَةِ الْمُرَّةِ وَالصَّبْرِ الْجَمِيلِ
وَلْيَكُنْ إِشْرَاقُ عَيْنِكَ مَدِيحًا رَائِقَ النَّبَرَةِ لِلْأَرْضِ
الَّتِي كَانَتْ وَلِلْمَوْتِ الَّذِي كَانَ
وَلِلْخِيْمَةِ وَالْقَفْرِ الْجَلِيلِ

ها أنا . . لا درع لي إلا الوليمة
ليس من مُلك سوى ما خَلَّفَ الرِّحَالُ الماضون من
أثار خيل وقصاع وثريد حَجَرَتِهِ الرِّيحُ،
ما من وجهة - بعد - فقد جثتم ضيوفاً
والهدايا مُنجزُ الماضي الذي ولّى
وما من خطوة إلا الإقامة

بينكم

أسمعُ ما يُلقِي الملوك - الوزراء - السفراءُ
ورجالُ الحرب والتجارُ من كل الأقاليم عن الأرض
التي كانت رخاماً لينا تنقشهُ المهرةُ بالرقصِ
وعن أزمنة طالت بها الأذهرُ
كانت خطوتي ميزان إبقاعاتها، شالُ العمامة
ظلل الأصقاع واستنسج من رَقَّتْهُ الأعلام فوق

المدن الكبرى وآخى بين جوف البحر والمحراب،

أهداب الغمامة

ريشة الله على أروقة المرمر، سرج من سرى الليل،

جواد باذخ الزينة بالكوفي والنسخي يعدو في

براح الكتب المخطوطة،

الآفاق والأرض على ميزان ما كنت به

أوصيت من عقد نكاحات شعوب

وانصهارات دم في أول البهجة بالإنسان،

كانت عقدة الأمشاج تستفتح معيار الأقاليم،

أما كنت؟

وهل هذا الثرى في هدأة الوديان إلا

خطوتي في الموت أحقابا،

وهذي الريح في أشرعة البحر سوى نفخة أرغولي،

وهذا الصخر إلا أعظمي؟

ما أجملَ الأرضَ
وأبهى دَمَنَ الروحِ
وجَلَّتْ هذه اللحظةُ في
مُشْتَبِكِ الأعرافِ بالبشرى !!
لكمُ مجدُ الإغاراتِ وأَسْلابُ التواريخِ . .
وَوَحْدِي . . ليس لي درعٌ ولا مجدٌ
سوى عُرْيِ الوليمةِ
في عَرَاءِ الرملِ والقَصْحَى . . وهل غيرُ العَرَاءِ
منبراً في ضَحْوَةِ العيدِ وأَسْماطِ بلاغٍ وثريدٍ !!
أضرموا النارَ - إذنْ - في رَكْوَةِ البهجة . .
ولْيَعْلُ الدُّخَانُ
ربما يأوي إلى خيمتي الطيرُ ووحشُ الصحراءِ
ربما يلتفتُ السابِلَةُ الموتى إلى موعدنا المضروب في يوم
القيامةِ

وأنا آخرُ حراسِ الرِّباطاتِ على بابِ النشيدِ

أولستُ الآنَ ؟!

فلتشتعلِ النيرانُ في معجزةِ الدمعِ - إذن - وليتكلمِ

صاحبُ الحكمةِ أو فصلِ الخطابِ ..

عند باب الخان أرخيت اللجام
وتركت السرج، ألقيت عن الوجه اللثام
قلت: فليعرفنني... ولامش... لاسيف ولا
رميح ولا دراعة من وبر النوق،
وقلت: اخطب إلى أي ملك بته
تستكمل الأربع زيجات،
وسقت الأهل من خلفي قبلاً فقيلاً
ثم قدّمهمو، فاستعرض الأعمام والأخوال
ما شاءوا من المحتد والملك .
- فَمَنْ تَطْلُبُ ؟
- صُغْرَاهُنَّ . .
- فلتبق زماننا بيننا
فانصرف الأهل . .

وفي الليل أحاطَ الجندُ والأصهارُ بي ،
شدُّوا إلى أعمدة القصر وثاقي
ثم دارَ الطقسُ من حولي ، فهم أقنعةٌ تسقطُ ،
في كل يد كأسٌ من الرُّبِّ وطاسٌ ملئتُ من عسل
الموسمِ ،

طافوا ، ثم صبُّوا ما بأيديهم على رأسي وأعضائي ،
وخلَّوا بين عيني وبين الشمس حتى لا أنام
فَتَدَاعَتْ حشراتُ الأرضِ :

نملٌ مرسلٌ الزَّحَفُ قبيلًا فقبيلا ،
العظاءاتُ ، طرودُ النحل ، جرذانٌ ، وطيرٌ لاهمٌ ،
أبناء آوى ، البومُ ، دودٌ ، عُمِّي حياتٍ ، هَوَامٌ
أخرجتُ أثقالها الأرضُ فهل من صرخةٍ تُسمَعُ !!
أبصرتُ العظامَ

تتعرى من فتوق اللحم ، تبيضُ قليلاً ، ثم تجلُّوها
يَدُ الشمسِ فيصفو عاجُها ، فهي رخامٌ من رخامٍ ..

أنتَ لم تَسْتَكْمِلِ البيعةَ في أوَّلِ مسراكَ،
وكنْتَ اسْتَعْجَلْتَكَ الرِّيحُ والغَيْمَةُ بالبشرى فلم
تُحْكِمِ مجازَ الصَّوْلِجانِ
كم كتابًا من متون الرمل لم تقرأ!!
فلم تَسْتَأْلِفِ المَرْحَفَ والمَكْمَنَ والمَجْثَمَ والمَرْبِضَ،
لم تعقِدْ موَاقِفَ المُواخَاةِ مع الشَّرِخِ أو الشَّدِخِ
أو الشَّقِّ أو الهَوَّةِ،
لم تقرأ كتابَ الكونِ إلا لمحةً ١٩
فاقْعُدْ، أَقِمِ بَيْتَكَ في خطوتِكَ الأولى ولاعبُ في
فضاءِ الخِيمةِ البَشَرِ وما يَرْجُفُ والصَّلِّ وما يَزْحَفُ
والجُرْدُ وما يَكْسُمُنُ والطيرَ وما يَعْجُثُ والوحشَ
وما
يرْبِضُ واقْرَأ لُغَةَ الجِنِّ وما يُتْلِسُ والإنسِ وما

يَأْنَسُ أَوْ يُؤْنِسُ، واقْرَأْ مَا بِهِ تَنْتَفِضُ الْأَرْضُ

وَيَعْلُو الْفَيْضَانُ . .

أَنْتَ فِي بَيْتِكَ . . فَاقْعِدْ مَقْعَدَ الرُّؤْيَةِ وَالرُّؤْيَا،

أَزِجْ فِي رَكْنِكَ الْمُعْتَادَ شِقَّ الْوَبْرِ الْفَوَاحِ بِالْخُثْرِ

وَالْبَوْلِ وَرَوْتِ الشَّاءِ وَالنُّوقِ،

اتَكَيَّ، هَذِي زَقَاقُ الْمَاءِ، خَبِزْ مِنْ شَعِيرِ الْقَفْرِ،

مَنْ تَحْتِكَ يَمْتَدُّ ثِقَالُ لِرْحَى الصَّوَّانِ أَوْ لِلدَّرْعِ،

حَدِّقْ وَاكْتَمِلْ فِي الصَّمْتِ، رَتِّقْ مِنْ سَفِينِ الذَّاكِرَةِ

.. بِصَرِيحِ الْحَسِّ وَالرُّؤْيَةِ .. مَا هَرَّاتِ الْأَجْيَالُ،

قَدْ كَانَ وَيَبْقَى الْفَيْضُ مِنْ نَبْعِ الْمَكَانِ

هَكَذَا دِرْعُكَ مَسْرُودُ رَمِيمِ أُمِّ جَاءَتْ وَرَاحَتْ،

فَأَقِمِ بَيْتَكَ فِي خَطَوَتِكَ الْأُولَى

وَأَعْلِنْ زِينَةَ الْعِيدِ عَلَى ضَحْوَةِ هَذَا الْمَهْرَجَانِ

هكذا - يأبها السادة - لا أملك من
ذاكرة الحرب سوى شَعْشَعَةِ الأنواء :
شمسٌ ترسم الوردَةَ في صلصالها الكونى
أقواساً وكرمٌ من عناقيد النجوم
لآلآتُ أسماءٍ موتى فى التواريخ ،
أضواءٌ سكك الأوبة من كَدْحِ التجارات
وإبداعِ الدمِ الراصدِ للبحرِ وأضواءِ المنارات
وخاناتِ التخومِ
قلتُ فلأعصرَ لكم من عنبِ الذكرى . .
فهل أملكُ إلا أدمَ الرِّقِّ وسجْعَ الأقدمين !!
هل سوى جلدِ الذبيحة
- بعد أن ينصرفَ الجزارُ - زَقًا وخرائطُ
للسموات وللأرض !!

إذن . . فلتكتمل بعد تمام الذبيح . .
لا أوسع من جلد الذبيحة
لا ولا أبلغ من صمت الذبيح

القاهرة - فاس - رملة الأنجب

١٩٩٢/٣/١١

طردية

بِمُسْتَبَكٍ مِنْ بَدَاهَاتِ دَهْشَتِهِ كَانَ يَطْلَعُ
مِنْ طِينِهِ نَيْئًا بِاحْتِشَادِ غَرَائِزِهِ ،
عَتَمَةُ اللَّيْلِ كَانَتْ مَشِيمَتَهُ ،
بَيْنَ أَسْنَانِهِ هَبْلَةٌ مِنْ دِمَاءِ الْبَهِيمَةِ
وَالْفَجْرُ يُدْنُو بِرَقْشِ النَّدَى وَالْغُصُونُ
مَشَتْ آيَةُ اللَّيْلِ حَافِيَةً فِي ذَرَى الْمَوْجِ ، وَانْتَشَرَتْ
فَوْقَ حَصْبَاءَ مِنْ صَدَفٍ وَمَحَارٍ وَرَمْلِ بَلَا آخِرٍ ،
وَجْهُهُ اخْضَلَ بِالظُّلُمَاتِ الشَّفِيفَةِ ،
بَرْقٌ بَعِيدٌ يَشْقُ الْخَطَى فِي مَتُونِ الْخَلِيقَةِ ،
عَيْنَاهُ مِنْ غَشْيَةِ الْحَيَوَانِ مُفَتَّحَةٌ فِي الْعِمَايَاتِ وَالرَّهْبَةِ ،
الْبَحْرُ دَمْدَمَةٌ لِلْغَوَايَاتِ مَبْهَمَةٌ ،
وَهُوَ يَمْسَحُ دُهْنَ الْفَرِيَسَةِ عَنْ شَفَتَيْهِ
وَيَرْصِدُ مَا تُرْسِلُ الرِّيحُ مِنْ شَارَةِ الصُّبُوتِ وَالصَّيْدِ ،
تَمْتَدُّ شَطَّانُ رَمْلِ بَلَا آخِرٍ ، صَدَفٌ وَمَحَارٌ بَلَا عَدَدٍ ،

وعظامُ الهياكل والدَّرَقِ المتعقّنِ بين الجماجمِ،
والبحرُ يُلقِي رميمَ أوابدهِ موجةً موجةً
كان فجرٌ يرفرف في شُهبةِ الغيمِ والأرجوانِ
وينقشُ خطوتهِ واتّساعَ ملامحهِ بالطيورِ الأوابدِ في
الأفقِ،

عصفُ غناءٍ وصيحةُ كونٍ يُفِيقُ من الظلماتِ إلى
أولِ الخوفِ والصرخةِ البكرِ فاندلعتْ شهوةُ
الصيدِ واندفقتْ من بداهاثِ دهشته ألفةُ
الوحشِ والطيرِ فابتدأ الركنُضَّ عريانَ مستوحداً
خلفَ أسرابها واندفاعاتِ قطعانها ومسابعها
فاستضاءتْ مع الشمسِ صيحتهُ وخطاهُ،
وشقَّتْ مرآئي الخليقةَ . .
أسماءُها انكشفتْ
واشتباكاتُ إيقاعها انفضحتْ . .

ليس يدري من الصيد ما يشتهي . . أيَّ أحبولةٍ أو فخاخٍ
وأَيَّ الطرائد :

هذي التي تتقلبُ بين
السموات والأرض . . أمْ مَحْضُ أسمائها
وانفلاتِ رشاقتها !!
خطوةً . . والصبح يقلبُ كَفِّه بين الندى والغصونِ
وينشر في ثَبَجِ الموج والرمل والملح عُريَ خطاهُ
الوسيلة . .

كل النفايات مكشوفةٌ فوق رملِ الشواطئ . .
والبحرُ من أزل الدهر يعلو ويرتدُّ،
والكائنُ المنتشي بالضجيجِ ورَجْرَجَةِ العُنُقوان يحدِّقُ:
هذا الحصانُ من الموج . . أيُّ الفخاخِ تُخاتلهُ
وهو يعصف فوق الذرى صَبِيًّا وصهيلاً !!
وهذا المدى أيُّ رمحٍ يشكُّ أضالعهُ !!

والسَّمَوَاتُ وَالشَّمْسُ فِي أَيِّ شَصٍّ وَأَيِّ
شَبَاكٍ سَتَرٌ جُفُّ نَازِفَةٌ بَيْنَ كَفَيَّيَّ ۱۱
يَعْلُو ضَبَابٌ حَوَارٍ تَفْتَحُ بَيْنَ جِدَالَاتِهِ الرُّوحُ،
يَنْجَرِفُ الْكَوْنُ مِنْ رَاهِنِ الْحَسِّ حَتَّى
أَقَاصِي التَّذَكُّرِ وَالْحَلَمِ . .

مرت رياحٌ وهبت بلادٌ وأروقةٌ بُنيتْ وهوتْ
والمدائنُ مصفوفةٌ في مقاوِدِ أشكالها
والخرائبُ زاهيةٌ . .

أنتَ .. يا أيها الشاعرُ المنتشي بالخرائب والذكريات ..
وحيدٌ وجُمُجُمَةُ البحرِ قد فغرتْها الرياحُ على
الرملِ وانتثرتْ طُمَطُمَاتُ الدهورِ مُفْتَتَةً
في اهتراءِ المحارات

تَعْقِدُ أَحْبُولَةً من مجازاتِ فُصْحَاكَ
تنصبُّ أفخاخَ شِعْرِكَ عَلَّ الطرائدَ تأتيكَ طَبِيعَةً من
فجاجِ السموات والأرض بين انتظارٍ وصمتٍ .
قصصُكَ مُسَخَّسَةً في حطامِ المنارات والسفن
المتفككة ، الوزنُ تفعيلةٌ من جنونِ الدمِ المستباحِ
وصلصالُ أشكاله من رُغَامِ الهزائم . .

فاشحذ أسنّة صميتك حتى تمر الطرائدُ
واقعد على مرصد من متون مقدسة يكتبُ
البرقُ آياتها بالصواعق والنار يرسمها
سمكاً وهياكل أحصنة ووعول
وأخطابك انتشرت والجُذُذات من خشب الروح تقدمة
للقرايين والصيد منفلت في براح القصيد..

تأملُ دمي . . أيُّ هذا النشيدُ
تأمل حطام الخراب المقفَى البهى الجديدُ
ورمم قوافيك بي وانتظرُ في مداخل شطآنك المبهماتِ
وأماجك المرسلات
وذهب موازين صيلك . .
بحرٌ وشاطئ رملٍ تكدسُ بينهما جثثٌ وحصادُ شعوبٍ
ومجد قواقع من ذهبٍ
وصخورٌ منمَّشةٌ بالمعادن والعشب ،
جبرُ المحارات مخضوضٍ يتحلزنُ فيه وجيبُ الدوائرِ
من ذكرٍ وحكاياتٍ فوضى ووشوشة الغابرينِ
ولا صيدلى - فى صباح الخليفة هذا - سوى
غمغماتِ الدوي* وثرثرة البحر . .

أيُّ المَهاراتِ مَقْدُورَةٌ لَاقْتِمَالِ الأَحاديثِ في

الروحِ،

أيُّ المَهاراتِ مَنذُورَةٌ لَافْتِكَاكِ المَوارِثِ من

رَصدِ الصَّمتِ والصَّمِّ المتَحَجِّرِ في رَم

الوارثينَ

وأيُّ المَهاراتِ مَرصُودَةٌ لَذَهولِ التَفَجِّعِ والدمعِ،

أيُّ المَهاراتِ مَكْنُونَةٌ تَحْتَ قَشْرِتِها صَرخَةٌ من

خِرابِ حَكيمٍ يَجْلِجِلُ أو صَرخَةٌ من دَمٍ يَتَشَقَّقُ

في العَشقِ أو صَرخَةٌ الرُوحِ في الوَجدِ

أو صَرخَةٌ المَنشَدينَ

ويأَيُّها القَصِيدُ القَدِيمُ الجَدِيدُ

صَباحُ الخَلِيقَةِ هَذا تَدَاوَلَهُ الجَدَلُ والقتلُ . .

أَرخِيَّتُهُ لِلمَهاراتِ أنشُوطَةٌ

وَمَدَدَتُ الشَواطِئِ أَحْبُولَةٌ

واصطخب الأواذي تَسْجَ شباك
ومَوَّهتُ بين الخرائب أقنعة للفخاخ . .
فيا بهذا القصيدُ
كلانا يخاتلُ أخيلةً . .

أبنا صيدُ هذي الظهيرة ١؟
شمسٌ تُسَنُّ حُرْبَتَهَا فِي الْجَبِينِ
وَرَمْلٌ يُجَرِّرُنِي فِي نَدَاءَاتِهِ
وَالْمَحَارَاتُ قَيْدَ الْأَصَابِعِ وَالسَّمْعِ،
قَلْبَتُهُنَّ عَلَى مَسْمَعِي:
الْمَجَامِعُ مَعْقُودَةُ الْخَلَقَاتِ عَلَى حِكْمَةِ
الْأَقْدَمِينَ
جَدَالَاتُ رَحَالَةٍ وَفَلَاسِفَةٍ،
وَعَوِيلُ مَمَالِكٍ تَفْنَى وَهَزَجُ مَمَالِكٍ تَعْلُو بِكُلِّ اللُّغَاتِ،
طَنِينُ الْقِرَاءَاتِ يَنْقُضُ فَاتِحَةً بَعْدَ فَاتِحَةٍ وَالْفَتْوحُ
تَصْلُصِلُ مَا بَيْنَ جُغْرَافِيَا النَّفْسِ وَالرُّوحِ،
عَشَابَةٌ يَيْطَرِيُونَ أَهْلَ مُخَارِقِ سَابِلَةِ الطَّبِّ كِتَابُ
أُحْجِيَةِ وَأَحَاجٍ وَقِرَاءِ نُوءٍ وَبِخْتٍ وَحُذَاقِ

كيمياة رَصَادَةٌ لِلطَّوَالعِ مَسَاحَةٌ لِلْحُدُودِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حِرَاسٌ أَقْنِيَّةٌ وَفُصُولُ
أَرَاغِيزٍ أَدْعِيَّةٍ وَانْشِقَاقَاتِ رَأْيٍ وَتَرْصِيعُ
دِيبَاجَةٍ وَهَوَامِشُ عَنَنَةٍ وَشُرُوحُ ،
فَمَا أَنْتَ مَنْ أَنْتَ يَا أَيُّهَا الْحَيَوَانُ الْمَفْتَتُ
وَشَوْشَةٌ وَكَلَامًا مَخَارِجُهُ تَتَقَطَّعُ بَيْنَ
الْهَشَاشَاتِ وَالْخُلْفِ ۱۱

من أنتَ يَا أَيُّهَا الْوَحْشُ ؟ ۱

لَا صَيْدَ لِي فِي ظَهِيرَةِ هَذَا الْجَنُونِ
سَوَاكَ . .

على ظمأ ودم . .
 وإهاب الغزالة - زق سقائي - بلا فطرة
 يتدلى على كتفي ،
 وغور هي البئر ،
 شمس أصيل تفتت فخارها الذهبي وتذروه ،
 أركض حتى أرى نبع ماء ،
 أمد إهاب الغزالة في خضرة الماء . .
 أسمع طمطمة العظم
 والروح ينفخ أعضائها ، تستوي جسدا
 يتفلت من بين كفى تاركة نبضها وسخونتها ،
 غسق من بعيد وطائر برق يخط هوا مشه
 ظمأ ودم والغزالة بارقة تنقص بين مسالك عشب
 وقيد الخطى غابة وظلام

فيأيهذا القصيدُ

لهذي الطريدة مَنْ غيرُ إيقاعِكَ المتشّبي

بيروق البدايات والوحي ١٩

فانصبْ فخاخَكَ واشحذْ أسنَّةَ صمّتِكَ

عَلَّ الطرائدُ تأتيكَ طيعةً

أيهَذَا القصيدُ . .

رملة الأنجب - ١

٤/١٥

دِرْعِيَّةٌ مَدِيحٌ

تركتم دمي سبيًا . . فليس يُجِيرُهُ
عدوُّ يُدَاجِي أو صديقٌ يَصَاوِلُ
وحُمٌ قَضَاءُ اللَّيْلِ ظِلْمًا وظُلْمَةً
وقد حُبِكتُ دونَ الْفِرَارِ الْمُخَاطِلُ
فَبِتُّ عَلَى ظَنٍّ دِمَائِي تَوُجُّهُ
وتذروه فِي الرِّيحِ الْبَرُوقِ الصَّوَاهِلُ
يَقْلِبُنِي شَكٌّ وَيَأْسٌ مَسْخَامِسْرُ
وتنحتُ صَلْصَالِي الرَّجُومِ الْهَوَاطِلُ
فَتَشْخَصُ هَوْلَاتٌ مِنَ الرَّعْبِ شُرُتُ
وَلُفَّتْ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا الْجَدَائِلُ
أَمُوتِ وَأَحْيَا لِحِظَةٍ بَعْدَ لِحِظَةٍ
وتصرخُ فِي لَحْمِي الظُّبَا وَالذَّوَابِلُ
أَهْيَيْ أَكْفَانِي وَأَصْرَخْ ذَاهِلًا:
شربتَ سَرَابَ الْعَمْرِ فِيمَا تَحَاوِلُ ۱۱

فكلُّ بلادٍ ترتضيها إقامه
فجميعتها فيها، ومنها النوازلُ
هزائمُ جلادينَ تزهو سجونهم
وتعلو على هام العبيد المقاصلُ
فأيُّ رثاءٍ يرتضيهِ مُررًا
وأيُّ مديحٍ ترتجيهِ المزابلُ ١١

نزلنا إلى الأرض التي قام دونها
من الشارِ إرزامٌ وهامٌ مسوائلُ
وآفاقٌ أجداثٌ وهولٌ تنظرتُ
لوازبَ طينٍ تصنطفيه القسوابلُ
فيبدأ بدءُ الأرضِ نارَ قيامه
زفيفٌ تعاليها البروقُ الجوائلُ
تضيءُ وتعلو ثم تدوي رعودها
وتركضُ في العظمِ الرميمِ الزلازلُ

وَيَسْتَفْتَحُ الْهَرَجَ النُّشُورِيَّ نَافِخًا
 يَبْهَتُهُ الشَّعْرُ الْغُيُورِيُّ الْمَعَاظِلُ
 فَتَعْرِفُ مَا تَبْغِي وَتَنْكَرُ مَا تَرَى
 وَتَسْعَى عَلَى هَوْلِ السَّرَاطِ الْقَبَائِلُ
 صَفُوفًا مِنَ الْمَوْتَى يَرْبُّ رَفَاتُهَا
 وَأَكْفَانُهَا رَجْعٌ مِنَ الْعَصْفِ شَامِلُ
 فَتَهْوِي أَعَالِيهَا وَتَعْلُو وَهَادُهَا
 وَيَنْطِقُ مَكْظُومٌ وَتَبْكِي الثَّرَاكِلُ
 فَشُدَّ بِأَوْتَارِ الْمَدَائِحِ نَغْمَةٌ
 يَرْتُلُّهَا الدَّمْعُ الْحَرُونَ الْمَنَاضِلُ

أيا جارتا . .

كنا من الرمل نطفة
 وقبضة جمر في حديث مُرَجَّم
 ورؤيا سلاّات من الشعر أوقدت
 بأوتادها الأسباب . . فالأفق ملعب
 يطير به صقر من الطين والدم
 يظله بيت من الكون شاسع
 أليف الذرى بالضوء والريح ،
 دافئ بمجهوله المجهول ،
 والسر ساطع
 يخط خوافيه علو رمية من البرق
 تعلو في بهيم مُرَقَّم
 ويا جارتا . .

كنا من العشق قبلة
تطاوَل في راووقها الدهرُ سكرةً وأرضَ
غوايات ودرعاً مُفاضَةً تَحَدَّرُ
من جيلٍ لجيلٍ ، أديمُها
صفائحُ مسبوكٍ من السعيِ ينتمي
لعرقِ عروق الأرض من عهد آدم
هي الدرْعُ . .

ليس الكونُ إلا مُنَمَّماً
من النقش والتصوير تُرغى رسومُه
وتُزِيدُ مخضوباً من الوشي والصُّوَى :
طباقُ سموات أضأن كواكباً ، وأنجمُ أفلاك
سَرِينٍ ، وقفرةٌ من الأرض يعلوها
لنجيعُ الملاحمِ

تطيرُ شراراتُ السيوف تشقُّها
وتحفِرُ في قلب الصعيد المدممِ

فجاء لمن يسعى ، وسحرًا لمن يرى ،
 ونبع مياه من صفا الصخر فُجرتُ
 وسالت مَسِيلَ النارِ والشعرِ والرؤى
 ووقد جنون في غرامٍ مكتمٍ ،
 ووديانَ يخضُر من النبتِ بازغٍ
 واضغاتٍ أعشابٍ والفاف غيضةً
 وقطعانَ رعيانٍ ونقعٍ تكشفت غواربه عن
 هجرة بعد هجرة . . فاخلط أعراقٍ
 وأمشاج نطفة
 وهجنة أو شابٍ وجوهر رؤية
 تُفتح في ليل الكلام المجمع
 أوائل أشكال الحروف . .

فهل سرتُ وعولُ مسامير الكتابة ،
 غربتُ ، وشرَّق من وادي الملوك مُحَقَّر من
 الطير والحيات حتى تلاطمت على الدرع من

ماء المرايا غمامة ورؤية ترياق بكأس مستمم ١٩
ظمئنا فلم نشرب ١٩ أم المشهد الذي نرى سحر
فوضاه دبيب قيامة ١٩
أم الدرع من حت الدهور تقشّرت
زخارف رؤياها . .

فشف مجازها بحيرة مرموز ومرمر هائل
من الوحش والثيران يُرخي جناحه ويقعي على
باب القيامة ناظراً إلى الغيب والأفلاك يُحصي بمقلة
من اللؤلؤ المكنون والشذر أمة تجمي وتمضي
بين موت ورجعة ١٩

أم الدرع مدخور من الموج مقلع بمستخصد الرايات
حرباً وغيلة

وختل خيانات وقتل حباله
تربغ إلى خوف وظن ومبهم ١٩

هي الدرع . . .

هل شيءٌ سوى الدرع شاهدٌ
يشعُّ بوجه الله مجلّى وخلقةٌ
وهل حلقُ الفولاذِ إلا مجرةٌ وتذویرُ أفلاكِ
وترصیعُ النجمِ ؟

هي الجوهرُ الأبقى ،

هي العنصرُ الذي تحدَّرَ منه الشكلُ
في كل صورة . . فرُفرفَ فوق الغمر منها مُقدَّرُ
من الخلق والتكوين فالعرشُ قائمٌ ،
يجلجلُ مثنى الروح . .

كلُّ قراءةٍ بلادٌ وتأويلٌ ونارٌ كتابةٍ

فيا جارتا . .

هل هذه الدرعُ فكرةٌ تأولها الإبداعُ

من لحمٍ معجمٍ،

أقامتُ بمكنونِ المدائحِ ثأرها وترجييعها المكظومَ في

كل آيةٍ تجلجل في صمتِ الرّواقِ المهدّمِ؟!

متوثناً من الفولاذ . . حَفَّتْ شروحها وشَعَّتْ

تقاليبُ النسيجِ المنمنمِ

وذئيلها من كل عصرٍ مُشَطَّبٌ من الطعنِ وانهلَّتْ جراحُ

قديمةٌ تجددوها في كل رَهْجٍ بلاغةٌ هي الزحفُ

والإدبارُ والبعثُ والبلى وخَصَفُ أضاليلِ

وكشفُ مغيبٍ من العارِ، والموتى فراراً ورهبةً،

وجرحُ شهيدٍ لا يجفُّ، وصرخةٌ من النقشِ

تعلو في خرابٍ مُحوَّمِ

فيصحو من الزُّنْجَفَرِ ينبوعُ خضرةٍ من العشب والنَّوَارِ
 يسرحُ نحلُّها، ويسرحُ عشابون أهلُ كهانةٍ
 وطبّ وأسرارٍ وسحرٍ كتابةٍ يطيرُ بها الجعرانُ
 والصلُّ يلتوي مُدْتَبِّبَ مرجومٍ من الجنِّ،
 مارِدٌ من الإنس يشوي الخوتَ في عين كوكبٍ
 بعيدٍ ويرعى الخيلَ في حَرَجِ ظلمةٍ
 ويشحذُ نصلَ السيفِ فوق مُسَنَّ من البرقِ
 والأنواءِ يلقطُ جمرةً يثقبُ مزمارَ الفضاءِ المُقَسَّمِ
 على سلمِ الأنعامِ في الكونِ دائبًا تشدُّ
 رياضياتُ أدوارِ رقصه
 بناءَ سمواتٍ وكرةً مغزَلٍ ورعدةً مكظومِ النشيدِ بأعظمي

ويا جارتا . .

هذي هي الدرْعُ فانسجي
 مدائحَ فولاذٍ مُرِنٍ منغمٍّ . .

على الدرع كانت لأمة الحرب ثلّة
 مُعمّمة بالموت صبراً وحسبة،
 وظلُّ عُقابٍ تحته الأرضُ لئن من الطين
 مطبوعٌ بصورة غابرٍ
 من السعي :

وراقون تحت مُقرّ نصٍّ من المرمر المكتوب،
 خيلٌ تحملتُ سفوفَ بهارات
 ومخطوطَ حكمة
 وشرحَ نصوصِ الفتح صلحاً وعنوة،
 وثلّة صيادين يُخفون خلصةً أمام جيوش الغزو
 أعشاش قُبرٍ ومزحفَ حياتٍ
 ومرعى قنافلٍ،

وحاملٌ أختام الملوك مُقلَّبٌ بكفيه أسماءُ
العصور،

وراجلٌ يقود حصانَ الريح هَوَّجاءَ أو صَبَّاءَ رُخاءَ،
وحفَّارون في الشكل غاسمروا إلى مكُمن
الصلصال

حلمًا ونفخةً
لعلَّ ذراري الروح تصطفُ أمةً
تغادر مثنَّ الدرع.

بحرٌ، ونائمٌ من الكَلَلِ الدهريِّ يصحو لغفوةٍ
يُرْجِرْجُهُ بحرٌ من الوجد قُلَّبٌ
وصبوةٌ مكظوم من المدح
نافخ بأبواق مداحين
جنَّوا بما رأوا.

رملة الأنجب

١٩٩٢/٦/٧

ثَوْبَةُ رَجُوعٍ

تَقُلْتُ عَلَى عِبَاءِ الدَّمِ وَالرَّمَادِ
وَتَقَبَّ الرَّمْلُ الطَّرِيَّ جَرُوحَ أَوْسَمَتِي
بِمَعْجُونِ النِّيَاشِينَ الصَّدِيقَةِ وَالرَّمِيمِ
الْهَشِّ مِنْ عَظْمٍ وَفُولَازٍ،
وَكَانَتْ فِي فَجَاجِ الرُّوحِ قَافِلَةٌ،
وَسَبْعَةٌ إِنْخَوَّةٌ مَاتُوا صَغَارًا،
وَالْتَمِيمَةُ فَوْقَ صَدْرِي سَبْعَةٌ مِنْ حَبِّ مَا
حَصَدَتْ يَدُ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ:
جَوْهَرُ حَنْظَلَةٍ، خَرَزٌ مِنَ الْبَرَسِيمِ،
وَالرَّزُّ الْمَقْشَرُ، كَهْرْمَانُ الْعَدَسِ،
بُؤْبُؤُ حَبَّةِ سُودَاءَ، وَالذُّرَّةُ الرَّفِيعَةُ،
وَالْتِمَاعُ السَّمْسِمِ الْمَبْثُوثِ،
هَوْدَجُ نَاقَةٍ وَيَدَانِ يَقْطُرُ مِنْهُمَا الْعُتَابُ وَالرِّيُّ
الْمَقْطَرُ فِي حُشَّاشَةِ عَاشِقٍ . .
تَقُلْتُ عَلَى عِبَاءِ الدَّمِ وَالرَّمَادِ

والصبحُ يَجْلُو في عظام المحجرين مشاهدَ الجسد الذي

يرفو فتوقَ الروح ثم يُنْفِرُ الطيرَ الجوائمَ في

مُتَمَنِّمَةِ التذكر ثم يعلو قبةً من أغصن

اللَّبَخِ المسجَّعِ باليمامِ

واللهُ من خلل الغصون يمدُّ شمسَ يديه

ينسج خضرةَ الذهبِ الحريرِ،

يشدُّ قوسَ الأفقِ، يرمي سبعةً

من أعطياتِ سهامه :

تَفْحَ الصَّبَا قبل الغروبِ، مسابحَ الأسرابِ عائدةً

إلى الأعشاشِ،

والكُحْلَ المفسِّقَ في عيون الصحب من

بقرٍ وجاموسٍ، ونومَ الحبِّ في العنقود قبل

قطافه، وأنينَ أخشابِ السواقي، والملاحمَ

في رباب الشاعر الجوال، رائحة مُشْرِرةً على

الملكوت من ثوب الأمومة والعجينِ وطلعةٍ

الفجر المندي بالتراب وسكر النعناع والرز
المفلقل والكوائن المضيئة في عشاء السبت
والكتب القديمة والمصاحف،
كنت تحت هواطل النبل المقدس أتكي وأكلم
الحصباء والجرو المشاغب والحمام
وأعيد سبك ملامح الموتى وتهجئة الحروف
وأعيد سرده تهجد الأبوين بالقرآن ما بين
العشي وركعتي فجر يطل من الكوى في السقف،
أنسل من لحاء النيل، أقتل ربة
وأشد معقود اللجام
وأعاهد الموتى، وأضحك إذ أراني أمة - وحدي - من
الخلف الكثير، وأحبك المقلاع، أختل
للشوارد من مصعلكة البهائم والبنات
وخطقة الغربان للكيزان والشعر المبشر،
كنت ما بين الضحى وكتابة القرآن في الألواح إذ

سقطت من الصدر التميمة . . فالبلاذ
حرثٌ وحرثون، والأرضُ التميمةُ، والحصادُ
ميراثُ أهلٍ ينسلون من الغمام إلى الغمام
في الخبز طعمهمو وفي الألواح رائحةُ الفواصلِ
والرغيفُ.

ثَقُلْتُ عليَّ عباءةُ الدم والرمادُ
والريحُ تصفرُ في بوالي العظم . . أدكرُ التصارييفَ التي
علَّمتُ من لغة الصفير إلى البهائم والحمام والكلاب :
فَنَفْخَةٌ بين القواطع لاستقاء الخيل والأغنام،
أخرى - بين تقطيع ومد - فالحمائم وقَعُ
فوق الذراع،

وَنَفْخَةٌ في هيئة التَّقْيِيلِ تصفرُ من مقام العشق
فالأبوابُ تُفتح والنوافذُ،
بين إبهامين في الشفتين أو سبابتين يهرُ كلبُ
أو تفرُّ دجاجةٌ أو تُؤذَنُ التوقُ العصيةُ

بالحليب أو السّفاذ.

ثَقُلْتُ عَلَى عِبَاءِ الدِّمِ وَالرَّمَادِ وَقَضَعْتُ الزُّلْزَالَ
هَيْكَلَ مَجْثَمِي وَالرِّيحُ تَصْنُفُ فِي

بِوَالِي الْعِظَمِ تَفْخُ الصُّورُ . . .

هُودَجُ نَاقَةٍ وَيَدَانِ يَقْطُرُ مِنْهُمَا وَرْدُ الدَّهَانِ

وَمَهْرَةٌ صَهَلَتْ مِنَ الْأَبَادِ،

طَيْرُ الذِّكْرِيَّاتِ مُنْقَرٌّ،

«وَشَجْتُ أَعْرَاقِي بِأَعْرَاقِ الثَّرَى»، وَتَنَقَّرْتُ

أَمْشَاجُ مَا عَلِمْتُ أَوْ أَنْسَيْتُ،

مُنْحَلُّ الْجَدَائِلِ مِنْ أَصِيلِ الصَّيْفِ مَنْسَكِبٌ،

يَدَايَ عَلَى حَرِيرِ الْأَخْضَرِ الذَّهَبِيِّ،

أَنْصَتُ، ثُمَّ أَرْقُبُ سُبْحَةَ الْأَطْيَارِ عَائِدَةً،

وَأَنْظُرُ فِي ذُرَى النِّخْلِ الْبَعِيدِ غِلَالَةَ هُدَايُهَا

رَهَجٍ مُعْصَفَرَةٍ فَتَائِلُهُ،

وكفُّ الله تُغمد سيفه الكوني في غمد الظلام
تَقُلْتُ عليَّ عباءة الدم . . والصهيل مُرَجَّعٌ . .
يا مهرة البلد البعيد . . بعيدةً،
وبعيدةً نارُ المضارب والخيام . .

روتريدام - رملة الأنجب

١٩٩٢/٦/٢٩

فاصلة إيقاعات النمل

غموضٌ دمٌ هاربٍ يتقلبُ في صفحةِ الوجه ،
يخبو وينبضُ ،

خيطان من طائف الشك يشتبكان . .

التواريخُ تمحو التواريخُ ،
نملٌ من الذكرِ الباهتة

يدحرج ما لم يكن في تراب الذي ربما كان ،

كوبٌ من الشاي يطفو على سطحه ورقُ «العطر»
أخضرٌ ملتصعاً في شفافية من بخار وعطر يشقان
عن قبلة صبغة في أديم الزجاج
وصيدُ الكلام يفرُّ ويدنو ،

وأنت تفتشُ في نبرة الصوت

تعلم علم اليقين وتجهلُ ، تخبطُ خبطَ اللبiche
بين عماء دم ، وترى طائف الشك

واللهجة المستريفة ثملاً يدبُ ديب الملامح في
عاصفٍ تنكسر تحت غرائزه الروحُ ،

غُلُّ تَنْشُرُ أَرْسَالَهُ الْحُبُّ مِنْ مَكْمَنِ الظُّلُمَاتِ وَتَقْضِمُهُ
عَلَيْهِ يَتَكْتُمُ خَبَاءً تَحْوِلُهُ وَانْكَشَافَاتِهِ ،
وَتَلْمَلِمُ مِنْ زِينَةِ الشَّكْلِ خَطًّا الْحَوَاجِبِ وَالْكَحْلِ
وَالْأَحْمَرَ الْمُتَأَكِّلَ فَالْوَجْهَ تُسْفِي مَعَالِمَهُ ،
لَيْسَ يَبْقَى سِوَى زُفْرَةٍ تَتَهَدَّمُ فِي دَمْعَةٍ صَامِتَةٍ .

(ها هو . . تقوده الرائحةُ ويقودُكَ
الإيقاعُ وأهويةُ المحاريبِ وخفاءُ المجازاتِ ،
يَكْتُمُ أَشْكَالَهُ فِي أَرْسَالِ خَيْطِيَّةٍ ، أَسْوَدَ
وَرَمَادِيًا وَبَيْنَ بَيْنَ ، أَشْقَرَ وَأَسْهَلَ وَأَصْنَهَبَ ،
وَلَا يَعلَنُ عَنْ حُضُورِهِ فِي عِرْقِ الرِّسَامِينَ وَالنَّحَاتِينَ ،
وَهُوَ الْمَوَكَّلُ فِي تَوَالِي الدَّهْورِ بِثِقَلِ الْأَهْرِمَاتِ
وَرَمَادِ الْمُومِياوَاتِ وَأَقْوَاسِ النُّصَرِ وَهِيَائِ
الْحَضَارَاتِ - ذَرَّةٌ ذَرَّةً - إِلَى خِلَاءِ الشَّكْلِ
وَأَبَدِيَةِ الْفَرَاغِ الْمُنْبَسِطِ الَّذِي تَعُودُ إِلَيْهِ

التراكيبُ ونضالاتُ المعانى من مُستَنبَتِ
الكون فى الحروف . .)

هي انتشرت من ملامحها ،
أنتَ قَيْدَ الذراعين ، هل ضَمَّةٌ عَلَّ هذا الجنون
من الوجد يكشفُ بين الهلاوسِ والفرعِ المتشعبِ
بالنبوءاتِ والوهمِ عن مَسْرَبِ النملِ حتى
قراه البعيدة فى ليلة الروح والجسد المتآكل
والنظرة الميتة !!

هي التَّمُّ منها الرُّفَاتُ وقد نَفَضَتْ عن جوارحها
وممالك عشاقها كلَّ ما خَلَفُوا من صدى قُبَلِ
وارتشافاتِ ريقٍ ولمسةِ جمرٍ على كُحلٍ نهدين
عشاقها لم يكونوا ،
ولا فَرَعُها لانَ تحت الندى والدموعِ ،

ولا عُشْبُهَا ابْتَلَّ ،
والزهرُ لم يرتعدْ بين أكمامه مُلْهِمُ النحلِ ،
عشاقها لم يكونوا
ومجدُّ احتراقاتهم لم يكن غيرَ مَحْضٍ زجاجٍ تشعشعُ
نظرتُها عبره ،

أنتَ قَيْدُ الذراعين . . سانحةٌ تَدْرِيكَ
وأخرى تعرِّيكَ ، والنملُ يكتبُ عُرْيَكَ . .
أنتَ تَقْرِئُ نبرته وخطوطَ اندياحاته

(نقاطٌ من الأحبار الكونية المتسرِّبة
بين سطور الكائنات ومتون الخلائق ،
تَهَبُ غيرَ المكتوب شفافية الانتقال إلى
أجناس النطق ،
تزيدُ وتنقصُ أقلَّ القليل فتدبُّ عواصفُ
الممكنات في كل شيء ،

واختلاساتٌ مرحةٌ وتفكُّكاتٌ إراداتٌ تنقلُ
 القبلةَ قتلةً والجسدَ حشداً وتفتحُ الرعيةَ
 تقيحُ الرغبةَ والغدرَ عذراً . .
 وتكتفُ جموعُها ببصيرةِ الزلزالِ واشتباهاً
 المسالكِ في الممالكِ فتستبدلُ مواقعَ
 الأصواتِ في عماءِ الخلقِ :
 عتلُ علةٍ وجيشُ شجىٍ ورحيقُ حريقٍ
 وشعبُ شغبٍ يلحسُ ما يسليحُ في لذةٍ
 مُدلةٍ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوتٍ
 وتقلب من توارىخِ العشقِ الفراشِ أشفارا
 والبكرِ العوانِ كربتاً ونواعي يندبنَ
 أسفارا ترسفُ من قيدٍ إلى قوادةٍ
 ولا ملجأ فملائذُ النملِ أكرمُ على نفسه
 من عماءاتِ الإمعاتِ الجيفِ
 - بعد أن استنثوا بجرادِ الكذبِ وهلكوا -

بالرُّعاف وتبدّدوا تراباً في أحذية الأم -
فهي الموكّلة بأسرار الأرض وغيوب
الظلمة وباطل الليل والنهار

أنت تهوي على ركبتيك نداء دمٍ واتكاء خرابٍ على بعضه
وتهيلُ على الرأس مَرَمَدَةَ الظنِّ والحسراتِ
وتلطمُ وجهك من رهبةِ الظلماتِ وأزمةِ
الدمعِ والأسئلةِ
وتنظر سجادةً لم تكن تتأملها أو ترى ما تتأظّر
فيها من الشكل واللون . .

هل كنتَ محضَ خيالٍ ونساجةٍ أبدعتك على
نولها واشتهتَ نقضَ ما نسجتَ فهي في نشوة
من فساد العناصر ترقبُ وجهك تنحلُّ لُحْمَتُهُ وسُدَاهُ؟ !
أم الوقتُ بدءُ انحلالٍ بسجادة الكون
والنملُ بينكما دعوةٌ لامثال الهشيم

لأقداره الفاصلة

وهذى الرسومُ التي نصَلَّتْ برزخُ بين موتين،
أم أنتما قبضةٌ من زُبَالِ الموارِثِ والعشَقِ
والنملُ يَعتُلُّها بَدَدًا في الخرابِ العميمِ؟!

(تَكَافَأَتِ السَّقَطُ الَّذِي يَسْفَى وَلَمْ
تُنَاطِرِ الرِّيحَ وَلَا صَرَخَةَ لَكْ
وَأَرْسَالَ النَّمْلِ يَتَكَافَأُ بَيْنَهَا الدَّمُ وَالْخَطَرُ
تَكَافؤُ الكِفَافِ وَزَهَادَةِ الشَّهْدَاءِ
وَإِذْ تَقُولُ غَمْلَةٌ نَكْرَةٌ لِلنَّمْلِ الْمَعْرُوفِ بِالنِّدَاءِ
وَالنَّتْيِيهِ وَالتَّعْرِيفِ فَيَتَعَلَّمُ الْجَنُّ وَالنَّبِيُّ
وَالْمَلِكُ وَحَشَوْدُ الْجُنْدِ، وَتَمَثَّلُ الْجَمَاعَةُ
- امْتِثَالٌ ضَرْبَاتِ الْقَلْبِ لِلْعَاشِقِ -
أَرْسَالًا أَرْسَالًا فَيَسْتَقْلِدُونَ . .)

سَرَتْ مِنْ أَعَالَى الْبُرُوقِ الْإِشَارَاتُ؛

مُتَّهِمَةٌ أُمُّ شَامِيَّةٌ أُمُّ عِمَانِيَّةٌ أُمُّ
 شُظَايَا دَمٍ يَتَضَفَّرُ بَيْنَ الْفُرَاتَيْنِ وَالنَّيْلِ ۱۱
 لَا أَفْقَ إِلَّا الصَّرَاخُ الْجَلِيلُ
 يُدَمِّدُ فِي حُبِّكَ مِنْ سَمَاءٍ تَهْدَمُ بَيْنَ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا،
 أَنْتَ لَمْ تَحْتَمِلْ،
 وَهِيَ لَمْ تَحْتَمِلْ،
 كَانَ غُلٌّ بِلا عَدَدٍ يَتَسَلَّلُ مِنْكَ وَفَيْكَ،
 قِبَائِلُهُ - فِي ضِرَاوَةِ زَحْمَتِهِ - فَكَكْتِكَ
 وَبَيْنَكُمَا شَهْقَةٌ وَمَسَافَةٌ دَمْعٍ ذَلِيلُ

(فِي الْبَدْءِ كَانَ قِتَالُهَا، وَفِي الْبَدْءِ أَبَدًا يَكُونُ:
 قَبِيلَةٌ تُسْتَأَقُّ قَبِيلَةً، لِكِبَارِهَا الْقَتْلُ
 وَلِصِغَارِهَا أَرْمَنَةٌ أُسْرُ تُدْرَبُ فِيهِ عَلَى
 قِتَالِ الْعَبوديةِ الْمَاجُورَةِ بِاسْتِكَانَةِ الْجُوعِ
 وَسُخْرِيَةِ الْأَبْوَاقِ،

وهكذا . . يدور مغزلُ الدم بين مشارقها ومغاريها .

وبين مشارقها ومغاريها كنت تسفي :
جوارحك الريحُ أعضاءكَ الرملُ ،
والموتُ بوقُ يجلجلُ ،
كان الشتاءُ البهيمُ يبعثرُ عُريكَ في السجن ،
وهي بكامل زيننها انتظرتُك ،
تسلل - عبر الصفيح وأعمدة الصَّاجِ والصُّلب -
بارقُ أقراطها وخلاخلها وظباء التَّخَطُّرِ
ما بين عري ووشي زخارف ،
هل مستحيلُ يُلَوِّحُ أم ممكنُ أبديُّ نهاياته بدؤه !!

واستباقاتُ نملِ الطلائعِ مستدفى في الضلوع ؟ !
(ها هو . . رعدةٌ في الجسد تصعدُ وتهبطُ
يُغريها صمغُ الشجر والعسل المتقطرُ من

المن والأنساغ التي تربيها أمسياتُ
الحلم والغناء العظيم . . فاتحة سبلها
لاكمال الليل حتى آخره . .
وها هو . . من مكامن دفته المظلم يرسلُ
طلائعه بشارَةً بالانقلاب الفلكي وعلّة
شعرية لأوائل النوار وأزهار المشمش
والخوخ خصف الورق على مكامن
الغرائز في الشجر،
حتى يتعتعه جنون الانتشار حول مشافر
التين المتهتك وحلّامات التوت وإغواءات
العناقيد وحرائر القطيفة من
طلع وحَب حصيد

رملة الأنجب - القاهرة

١٩٩٢/٧/١٧

احتفاليات المومياء المتوحشة

إهداء

إلى طفلي رحمة..

لم أكن ألتفت لشيء سوى يديك النائميتين

حول «الدبوب» المحدث بعينيه اللامعيتين

ولم أكن أخاف شيئاً سوى يقطبتك بمفاجأة

الجحافل وهي تلتقطني.

أما الأثر الدامي على عظام الأتق الذي

لا تكفيه عنه السؤال حوله : فهذا هو الجواب :

زيارة

« كان هناك أميرٌ يغفو من تعب التجوال ،
يصحو ، يُحصي إيقاعات الريح وتفعيلات الفوضى
والتدوير النازف من عاصفة الصحراء ،
ويلفّق مُجَثَّثَ سلالته بالهزجِ الراقصِ بين
جيوش الغزو وبين سموات الموتى ،
يثر مُقْتَضِبَ الدمع على قافلة الرُّجَّازِ
القتلى ومراثي الأطلالِ
كان يقلّب في لهجته الرثة جمرَ ملامحه بالبردِ
الأسود والخَبَبِ الشتويّ فتنبضُ بالأشلاءِ
البركُ الأرضيةُ وأيدي الأحياء الموتى . .
قلتُ : اركضْ في متداركِ موتك ،
لملمْ وقعَ خطاك وغادرْ سرَّ الشجرِ النائمِ
وأسترجعْ بعضَ رمادك ،

أنت رمادٌ ثرثرةٌ يتساقطُ من كتب الأنواء،
فلم تُقتلْ بين القتلى،

وهشيمٌ أنتَ تَذَرِيهِ الرِّيحُ على تفعيلة
أَكْوَانٍ تتهدَّمُ في حُمَمِ الأهوالِ
«أرضك مفترقٌ تتسعُ به أرضُ الأغيارِ،
وتعبره أمٌّ وجيوشٌ،

للاقوى وعبيدُ الأقوى ميراثٌ أنتَ لمن يرثون،
على كتفك تكسَّرتِ الأمواجُ توارِيخَ مجاعات
وطغاةٍ منكسرين ومزهُوِّين

بتدليس الأبهة البيزنطية .»

الليل صقيعٌ، وروائح لحم الإنسان المشوي طرائدُ
مُنْسَرِحِ الرِّيحِ، الشاعرُ يَتَلَقَّطُ جمرَ جوارحه،
ويعيلُ إلى المقهى يُحصي مُنْهَلُ الدَّمْعِ،
يرتبه أوزانًا أوزانًا، يتحير في وتدٍ مفروقٍ أو
مجموعٍ، يسترجع آثارَ يديه الراعشتين عن

الأكواب وأيدي الأصحاب وحبر الصحف وقرص
الهاتف والمنديل الورقي، ويرقُب أعينهم
- كانوا أربعة بصاصين وجلادين -:

عُتِلُّ مِنْهَدِلُ السُّمْنَةِ يلمع سالفه من تحت
الصلعة . . يَسْلُحُ في كل صبيحة «مايو» أو
يلحسُ ما يسلح من كذب الأوغاد المأجورين،
ولصُّ الأشعار الضائع في أوهام قزامته
يَتَخَلَّلُ لحيته بأصابع من دخان الشيشة أو
لفتات وقاحته الهشة

كان الثالث - من تسع سنين - يَتَسَمَّعُ أو
يتشمَّم وقعَ خطاي . . بقامته الفارعة المشدودة
والعينين الجاحظتين وأرنبه الأنف الذئبية
(كانت تنفخ فقاعات البيرة في أكواب الحفلات
الخيرية .)،

رابعهم جرو مفروق الشعر، خفيف، ينصتُ

في ركنٍ منفردٍ من أرصفة المقهى ، يُغوي
الشعراء المبتدئين بسمتِ بلاهته المندھشة .

خَرَزٌ من فحم الماء يرخُّ ويلمع فوق زجاج المقهى ثم
يسحُّ خيوطاً يتموج فيها البرق . .
هي الآفاقُ أعاليها انقلبت ،
ريسحُّ دمٌ ،
والشاعرُ يركض . . علَّ المطرَ
الأسودَ يغسله ويذيبُ
جوارحه في البرق وينثره خَرَزًا . .

أَسْلَمَنِي «الدَّبْدُوبُ» النَّائِمُ بَيْنَ ذَارِعِي «رَحْمَةً» وَالْفَجَرُ
الْمَنْفُوشُ الصَّوْفِ إِلَى سَنَةِ مِنْ غَضَبِ الْيَأْسِ
وَقَزَعِ الرُّؤْيَا،

فَانْتَبَهَتْ أَعْضَائِي فِي حِلْمِ الْمَذْبِحةِ الْكُونِيَّةِ :
أَبْتَدَيْتُ الرِّكْضَ لَأَخَذَ مَوْضِعَ أَسْمَائِي الْحَرَكِيَّةِ
وَالْعَلْنِيَّةِ فِي قَافِلَةِ الْمَذْبُوحِينَ وَقَائِمَةِ الْأَسْرَى . .
أَيَقْظَنِي الْفَوْلَاذُ الْبَارِدُ،

كُنْتُ أَمِيرًا يَمِيقُ فِي «تَشْرِيفَةٍ» صَفِينٍ مِنَ
الْأَشْبَاحِ ، وَكَانَتْ شَاحِنَةُ السَّجْنِ تُرَضِّضُ
فَوْقَ ثَعَابِينَ الْأَسْفَلِ فَيُسَلِّمَنِي الْإِيْقَاعُ
إِلَى سَنَةِ مِنْ خَدَرِ الْمَجْهُولِ الْفَاضِحِ ،
كَانَتْ رَائِحَةُ الْغَيْطَانِ الْمَبْلُولَةِ إِغْوَاءَ دَمٍ تَتَفَتَّقُ
شَهْوَتُهُ رَكْضًا فِي النَّوْمِ وَتَعْرِيةَ لُظْلَامِ الْخَضِرَةِ فِي

الأحلام وعصف الروح :
جَسَدٌ شَفَّافٌ كَفَنَةٍ طَمِيُّ الْأَرْضِ وَغَطَّتُهُ الْأَعْشَابُ
أَسْمَعُهُ يَتَنَفَّسُ . .

هذي رائحةٌ مما تركَ الرَّبُّ أَوَانَ الْخَلْقِ ،
وأضوأ ما كان النورُ بأروقةِ الشجرِ العالِي والنومِ ،
وأنتِ مُدَوِّبَةُ الْأَعْضَاءِ وَكَامِلَةُ الزِينَةِ فِي
أَبْهَاءِ الدَّمْعِ الْغَامِضِ بَيْنَ جُنُونٍ لَمْ يُسَعِفْهُ الْوَقْتُ
وبين التزوة في عبثِ الوقتِ المَجْنُونِ
ها نحن مواجِهَةٌ ،

تَتَقَلَّبُ تَحْتَ رَمَادِ الْفَجْرِ . .
ضِفَائِرُكَ انْعَقَدَتْ بِالطَّلِّ الْمَوْرِقِ ،
غُبْشَةٌ كَحَلِّكَ غَيْمٌ أَثْقَلَهُ الْمَاءُ الْمَكْنُونُ
وأنا عريانُ الدهشةِ والوحشةِ :
هل أنتِ ، وهل جئتِ أَحَلُّ ضَفِيرَةٍ مَائِكَ ،

أصرخُ أم تصرخُ في حنائك جليجةُ العصف،
أم الشاعرُ يَخذو قافلةَ الموتِ إلى اعتابِك؟!

رملة الأنجب - الضجر الأول ٩١/٢/٢

١٩٩٣/٧/٣

طقوس متقابلة

«أقسى من الموت ارتعاشُ الموت في الشَّلُو الذبيح»
كتابة سلفت وهذا وقتها المقدورُ
فاقرأ ما ترى - أولاً ترى - من معصميك لكاحليك
كابدتُ وجذكتُ أيها النحاتُ:
لي عشقٌ قديمٌ، والصخورُ إلى نفاذٍ
أشبهتني بي أيها الليلُ المصورُ:
إنني الظمأُ المرفوفُ في رخامٍ لا يبيدُ،
فليس من شيءٍ لشيءٍ غيرُ عصفِ الروح في عصفِ
الرمادِ
مُسْتَحْدَثُ التعذيبِ بالكيمياءِ يكشِطُ من ظلامك طينةً
للمخلوق فالملكوتُ يَسْطَعُ،
والحشودُ المبهماتُ، وأنهرُ الدمِ، والملوكُ،
على الأرائكِ يتكبي الجلالُ منتظراً سقوطَ الصقرِ
محترقاً بجائشِ حلمه،
لما يَزَكُ وَهْمُ البلادِ هو البلادُ.

وخمسون ارتمت عنها مهلهلة الثياب
 وصتر صر هبت فخشخشت الضلوع
 وهب موتى الإخوة الصبيان بين أبي وأمي
 يضرمون النار في خشب المواقد والكوانين القديمة
 واصطلكت كما اصطلى صوت المؤذن في جليل الفجر
 وامتد الحرام الصوف،
 في سنة الرقاد،
 لقي إلي «بروجل» القروي منجله ومذراة الحصاد
 لركضت من قش إلى قش،
 وكان «بروجل» الأعمى يقود جماعة العميان في
 نوء من العصف الملبد والوحول
 لوحت من هلع الدهول
 وصرخت . . فابتدرت يد الجلاد ناصيتي وشد
 وثاق عيني المشاكستين بالرؤيا
 ومكنون التذكر والعناد

فرأيتُ جوهرةَ الظلامِ على قوائمِ عرشه انْفَجَرَتْ
نهاراتٌ مُضَوَّاةٌ،
وأشهدني مقامَ الذلِّ تحتَ يدِ الأذلاءِ المهانينَ:
الدهورُ تَفَجَّرَتْ أجداثُها بالثَّارِ،
فالأمُّ المؤبِّدةُ الدُّحُولُ
هَبَّتْ دَفَاتِنُها وقامَ الوحشُ وانتشرَ الجرادُ
وتخَشَّعَتْ أُمُّ الحشائشِ والهوامِشِ والخواءِ المستدَلُّ
تفاصَّحَتْ في الموتِ أعلامُ الذُّبُولِ
وتَحَلَّلَتْ إِرَمٌ وعادَ
في الغائطِ الكلبيُّ والنفطُ،
البلادُ وظلمةُ الملكوتِ عَهْنٌ طائرٌ،
وتَخَطَّفَتْ جَسَدِي المناسِرُ والعصيُّ
معلَّقًا ومثبَّتَ الرسغينِ في الأفلاكِ.
في أقصى الظلامِ
كانتُ «أرينا» الأرضِ واسعةً وأضيّقَ من

عيون الثور،
 كان الثورُ عاصفةَ الغرائز والترابِ
 وكان «جويا» ممسكًا بالثور من قرنيه،
 ناوَرَ ثم داوَرَ ثم لَوَّحَ بالرداءِ القرمزيِّ وأَفَّ
 مُنْعَطِفًا وَسَدَّدَ . فاستجاشتْ ثم
 غادرت الرسومُ شَوَائِهَ «التزوات» والأمثالِ
 فالأجواءُ غريبانُ ويومُ
 والخلائقُ مَحْضُ قِيءٍ من جحيمِ الروحِ
 والهولُ لَاتُ ترقصُ في فضاءِ الرعبِ . .
 أَوْقَفَهُ - وإصبعُهُ على صُلْبِ الزنادِ -
 في ثالثِ الأيامِ من مايو . . وسَدَّدَ . .
 كان جويًا واقفًا ويهمُّ بالطيرانِ في ألوانه
 ما بينَ زُنْكِ معتمٍ ودمٍ اتَّقَادُ
 وتقلَّبتْ «دوشيس» دالبا» بينِ عريِّ واكتساء . .
 آه يا مارياتريزا !!

كيف تنفلتين في هذا العراء وأنت عارية !!
خُذِي كَفِّيَّ مِنْ قَبْدِ الْحَدِيدِ الْمَلْمُ الشَّفُّ الْمَشَقَّقُ ،
كَانَ جِلَادٌ بِكَعْبِ حَدَائِهِ يَهْوِي عَلَيَّ فَطَقُّطَقْتُ ضَلْعُ
وَلَعَلَّتِ الرِّصَاصَةُ فَارْتَمَى جَوِيَا
ارْتَمَيْتُ

وليس من وطنٍ سوى هذا الرماد . .

لاظو علي ثالث أذان للضجر

الموافق ١٩٩١/٢/٤

القاهرة ١٢/١٠/١٩٩١

هلاوس ليلة الظمأ

غَبَشُ يَبْلُلُهُ دُخُولُ اللَّيْلِ ،

وَالْغَيْطَانُ تُسْنَحِبُ مِنْ بَدَايَاتِ النَّعَاسِ

تَنْفُسُ الْإِيْقَاعِ مُنْتَظِمًا عَلَى مَدِّ الْحَصِيرَةِ وَالْمَوَاوِيلِ ،

— الزَّمانُ كَأَنَّهُ فَجْرٌ قَدِيمٌ مُسْتَعَادٌ —

قَدْ كُنْتُ مُضْطَجِعًا أَعَابْتُ شَعْرَ بَيْتِي . .

الصَّغِيرَةُ أَفْزَعَتْهَا قَشْرَةُ الدِّمِّ وَالصَّدِيدُ عَلَى

عِظَامِ الْأَنْفِ

— أَهْذِي أُمُّ هِيَ الزَّنَزَانَةُ انْفَتَحَتْ عَلَى زَمَتَيْنِ

وَاتَّسَعَتْ عَلَى هَوْلِ الْمَكَانِ ؟ —

رَيْقٌ وَجَمْرَةٌ حَنْظَلٌ ، تَشْتَقُّ الشَّفَتَانِ :

— يَا عَبْدَ الْعَلِيمِ

مَا لِلْجَرَارِ إِذْ حَرَجَتْ وَالْقَلَّةِ الْفَخَّارِ عَقَرَهَا الرَّمَادُ

وَالْمَلْحُ ، وَالنَّهْرِ الْقَرِيبِ مُشَقَّقًا ،

مَا لِلتَّحَارِيقِ ارْتَعَتْ بِالْجَمْرِ وَالنَّسِجِ الْمَهْلَهْلِ

أَعْظَمِي

وأديمٌ هذا الليل . . يا عبدَ العليم ۱۱
 اهذي وألهثُ أم هي البنتُ الصغيرةُ من ظلام الغيمِ
 تخرجُ في يديها الكوزُ والإبريقُ تلمعُ في
 نحاسهما الزخارفُ بالعناقيد المتدأة ۱۲
 التفتُ . . فراعها أن القيودَ تعضُ
 لحمَ المعصمين فيرشحُ الدمُ
 فاستدارت وارتعت في عثرة الرهبوتِ
 :- قد نبهتُ «رحمة» أن يكون الماءُ
 والفخارُ مشمولين بالسعدِ المقروحِ واللُبَانِ .

قال المَخْنَثُ للمَخْنَثِ : إنَّ هذا الأَهْبَلُ المجنونَ يَهْرِفُ
 بالكلامِ

(فعرفتُ أنهما هما . .
 والجرَّيرُين الصالحيةَ والرَّشيدَ مُرَجِّعُ
 للبلغمِ الدهني في صوتيهما)

قال المَخْنَثُ للمَخْنَثِ : « إِنَّ نوبةَ نومي اقتربتُ فأخرسُ
صوته بعصاك »

فانفجرتُ برأسي الصاعقةُ

كان الصدى متشظيًا بدم الهلاوسِ

آه يا عبدَ العليمِ

لم يترك الأهلون من نُبلِ العصا في

لعبة التَّحطيبِ ميراثًا لأوغاد الزمانِ النذلِ . .

هل رجلٌ وضربتهُ تحيُّ من الورااءِ !!

أذكرُ دمي بالبنِّ بعد الماءِ يا عبدَ العليمِ

كانوا ثلاثةُ أصدقاءِ

والموتُ رابعهم ، وأيديهم تُجمَعُها قِصاعُ القَتِّ في

ليلِ الموالدِ بعد رقصِ الذُّكْرِ والتَّخْمِيرِ . .

كان أبوك يهدُرُ في

مقامِ الحشْدِ تأخذهُ الجلالةُ ،

وجْههُ الطينيُّ يلمعُ ، والعصا في إصبعيه

تدور مثل مغازل الأفلاك ،
يا «جمل المحامل» - إنه جملٌ يُطمطم من
ضراب الرقص في أعضائه
١ «أم هاشم» . . ثم تنكسر العصي على عصاه
انفهمو ينشق عنه الحشد :
فُفطانٌ يضيءُ بياضه الزهري ،
- الشالُ المرفرفُ ، بسطةُ الأفيون ، والقَدُّ النحيلُ
كالخيزُرانة ، والعصا ليست تُرى من كَرِّها بين اليدين ،
يفتحُ ، يصفرُّ ، يرتقي وتداً ،
يلينُ ويشني كالصلِّ . . آه وألف آه
هي نقرةُ الطرفِ الرشيق من العصا بفجاءة التلميح
والتصريح . .
لا تُجدي مصاوكة ولا يُجدي دفاعُ اللاعينُ
يعلو ضجيجُ الحشد ما بين الصهيل الحرِّ والفوضى
وإنشادِ الدهولُ

مَسٌّ وطائفٌ بهجةٍ ورؤى جنونٍ الوصلِ تُوصلُ
نشوةُ الملكوتِ بالإنسانِ في وجدِ الجنونِ
حتى إذا اقتربتُ خطا عمي «معوّض» بالعصا حطَّ
السكونُ

هو صخرةٌ قُدَّتْ من الأهواءِ والخمرِ الرخيصِ
فأفردته العائلةُ
هَجَرَتْهُ زوجتهُ وقرَّبْنوهُ في تسعينه الأولى
فزوجتهُ الزجاجةُ والعصا والذكرياتُ مع النساءِ
كفأه كالمِذْراةِ ساعدهُ عروقُ السَّنْطِ خُطْوَتُهُ
انصبابُ السيلِ،
كان الحشدُ يُنصِتُ وهو تَغْمِزُ عَيْنُهُ ببقيةٍ من
كحلها المعتاد من عسلٍ وششمٍ،
دارَ ملتفتًا إلى ركنِ النساءِ على السطوحِ
وحاجباهُ يراقصانِ الشمسَ والحناءَ والذِّكْرَ الغويَّةَ،
ثم مرَّ اللاعبونُ

وَتَخَلَّعَتْ أَعْضَاؤُهُ خَشَبًا وَفُولاذًا وَرَقَصًا عَارِيَ الْإِيمَاءِ
كَانَ اللَّاعِبُونَ أَمَامَهُ لُعْبًا تَطْيِشُ عَصِيَّتَهُمْ
وَتَطْيِرُ مِنْ أَيْدِيهِمْ
وَالْكَحْلُ فِي عَيْنَيْهِ يَغْمِزُ لِلنِّسَاءِ
وَاللَّيْلُ يَطْوِي خِيَمَةَ الصَّبْحِ الْمَعْفَرِ لِانْتِعْقَادِ الذِّكْرِ
وَالْتَّخْمِيرِ . .
وَاشْتَبَكَتْ أَصَابِعُهُمْ بِدَفْءِ الْقَتِّ وَاللَّحْمِ السَّمِينِ ،
وَرَابِعُ الْأَصْحَابِ يَرْقُبُهُمْ . .
يُطِيفُ عَلَى الرِّعَاسِ مَرْفَرًا كَالصَّقَرِ ،
يَنْسُجُ مِنْ تَوَاشِيحِ الصَّبَابَةِ وَالْوَلَايَةِ
مَذْرَجَ الْكَفَنِ الْحَرِيرِ . .

لاظوغي رابع أذان للضجر

الموافق ١٩٩١/٢/٥

رملة الأنجب ١٩٩٢/١٠/٢٥

الموت والدرويش

شمسٌ تكادُ تلامسُ الأيدي . .

يذوبُ بنفسجُ الألوان في ذهبٍ وجمرٍ باردٍ،
وأنا صبيٌّ، والجموعُ على المحطة،
والقطارُ يمرُّ بعد دقيقتين

فكانَ دهرًا من ديبٍ غامضٍ في الأرض يُشعلُ
في دمٍ - لَمَّا يراهقُ بعدُ - أخيلةَ الرباطاتِ الجريحةِ
وانكسارِ الخيلِ والأرضِ المقيمةِ في هزائمها
ورعدةٍ عارها وهوانها المكتوم .
بعد دقيقتين

يعدو الصبيُّ من الصبّا . .

كان الدخانُ يرفُّ في أفقٍ من الكافور والنخل البعيد،
ودمدَمَ الإيقاعُ - مقتربًا - بلحم الأرضِ،
أنظرُ:

إنهم شجرٌ يلوّح في النوافل
والهتافُ يمامةٌ خضراءُ حَجَّلها انقطار الصبحِ

تعلو،
ثم تعلو الشمس،
ثم تدبُّ فيها النارُ، فالشجرُ الملوَّحُ والوجوهُ
بشارةٌ أذنتُ بموعدها المكتَّمِ في دم الموتى،
وكنْتُ على الرصيفِ
والأعينُ اتَّقَدَتُ بومضٍ حينها الدهريُّ:
أهلي من شقوق الأرض كانوا يَنسِلُونُ
خَصَفُوا جريدَ النخلِ والصفَّصافَ..
وانصهرتُ دماءُ الحاكِميةِ في جلالِ الدمعِ والرؤيا،
وكنْتُ على الرصيفِ
مرَّ القطارُ ولم يقفْ إلا هنيهةً بارقٍ في الروحِ تَقْدَحُ
في ترابِ الأرضِ والزمنِ المكَّدسِ نارها
- كانتُ جموعُ الذاهبينَ إلى ولادةِ أمةٍ في الحربِ
تَنسَلُ أنسلالَ الغيمِ في الآفاقِ -
وانكشفتُ مجازاتُ الولايةِ

في حرائقها وتحت رمادها اندلعت شفافية القراءة
في الدم المكتوب . .
كان السامر انقضت مجامع . . وكنت على الرصيف
يعرّى الصبا مني وتضطرم المراهقة الفقيرة بالرؤى
والشعر،
قلت: أغرس خطاك بهذه الحمى
فأنت على رباط الروح،
والأرض المقيمة في دماك وفي خطاك الثغر . .
فاشحن فقرك الملكي واسمع كبرياء
جلالك المدفون في خرق الرثاء . .
أنت منذ اليوم مسكون بوجد الأنبياء
وحكمة الإيقاع في الفلك الجليل
لك من بلادك قبضة من نبي الدم والتراب،
وخطوة في غربة الموأل،
والخبز المشعشع بالقرابة وانتظار السيل . .

أَضِيقَ مَا تَكُونُ الْأَرْضُ أَوْ سَعَ مَا تَكُونُ
فَاعْقِدْ حِزَامَ النَّهْرِ فِي حَقْوَيْكَ،
رَابِطٌ فِي خَطَاكَ

فَمَوْعِدُ الْمَنَى وَوَعْدُ الْفَتْحِ يَتَّقِدَانِ :
ظِلٌّ مِنْ حُضُورِ الْمَاءِ وَالرَّمْلِ الْمُرْطَّبِ كَانَ أَرْوَقَةً،
وَجَمْرٌ فِي رَمَادِ الرُّكْوَةِ،
انْعَقَدَتْ مِنَ اللَّغْطِ الْجَمِيلِ سَحَابَةٌ
تَنْهَلُ حِينَ يَعُودُ أَجْنَادُ الْقُرَى مِنْ مَعْمَعَانِ النَّصْرِ
- إِنْ عَادُوا -

وَكُنْتُ عَلَى رَصِيفِ الذَّاكِرَةِ
خَمْسِينَ عَامًا . .

كَلِمَا نَضِجَتْ جُلُودُ الْمَيْتِينَ تَقْلُبُوا فِي الْجَمْرِ . .
وَاتَّسَعَتْ مَسَافَاتُ الْحَرِيقِ
الْأَبْيَضُ الْمُتَوَسِّطُ انْفَجَرَتْ زَعَاذُهُ بِفَيْضِ الدَّمْعِ وَالدَّمِ
- لَيْسَ مِنْ نَصْرِ يَجِيءُ -

وكانت الصحراء تُشَوِّى ثم تُرْسَلُ في خوابي الزيت
من بلدٍ إلى بلدٍ ،
وأهلوها هم الأشباح والرمم التي
تُحَلُّ في كيمياء زئزئاتها ،
خمسین عاماً . . والدمُ المستور يُقرأ في كتاب
الأرض :

نخلٌ من صراخ الروح ،
تُكْفِتُ من الشَّذَرِ المدمى في المحاريب ،
الحطامُ من الرخام وفضة التعريق في طلل الماذن ،
مرمرٌ يبتلُّ في نافورة القتل بصحراء ، الزيفُ
خمسین عاماً . . كنت شاهداً الضحية
والمقاوذة جررت فولاذها الريح العفيفة ،
عسكرُ الثوار ، حفارو القبور ، المخبرون ،
نُخاسةُ الأفكار في الزيف الأجير . . فخذت في
نازف الأرض الطرائق للخيول وشاحنات السجن

وَسَعَتْ الْمَسَالِكَ لِلْمَدَافِنِ وَالنَّعُوشِ
وَكُنْتَ تَسْمَعُ أَوْ تَرَى . . .

قُلْتُ: ائْتَرَسُ فِي ظِلِّ خَطْوَتِكَ الْأَسِيرَةِ
وَأَتَغَرَسُ فِي هَذِهِ الْحُمَى

فَأَنْتَ عَلَى رِبَاطِ الرُّوحِ وَالطَّمِي الْمَذَوَّبِ فِي
دِمَاكِ وَفِي خَطَاكِ الثَّغْرِ وَالْدَّرَكِ الْمُؤَبَّدِ،
أَنْتَ مِنْ جَنْسِ الدَّرَاوِشِ الَّذِي ائْتَدَّرَتْ
مِرَاقِعُهُ وَأَبْلَتْهُ الْحَتُوفُ

أَنْصَتُ - إِذَنْ - لِدِمَاكِ تَنْزِفٍ مِنْ فَتُوقِ الذَّاكِرَةِ
أَبْنَاؤُكَ التَّقْوَا - وَهَمَّ ذَبْحُ سَيْنَضِجٍ وَقَتُّهُ -
فَاجْدُلْ مَنَادِمَةً مِنَ الدَّمِ وَالْكَلامِ
هَلْ تَمَّ شَيْءٌ كَائِنٌ إِلَّا نَزِيفُ الذَّاكِرَةِ
وَمَسَابِغُ الدَّمِ وَالْكَلامِ ۱۱

الليلُ تحت عَصَابَةِ العينين مَكْحَلَةُ الشَّظَايَا،
والغبارُ أَسِنَّةُ الذهبِ التي انْغَرَسَتْ وَضَوَّاتُ
الْفَضَاءِ وَشَقَّقَتْ لَحْمَ الْجَفُونِ فَهَبَتْ مِنْ مَكْنُونِهَا
الدمويُّ قِطْعَانُ التَّذْكَرِ والمَرَاثِي :
النخلُ وَالصَّفْصَافُ خُلِبَ بَارِقٍ مِنْ لَوْلُؤِ
الدم والطبولُ تَدَقُّهَا شَمْسُ التَّذْكَرِ
وَالْبِلَادُ مَسَافَةٌ تَمْتَدُّ مَا امْتَدَّتْ شَظَايَا المَرْمَرِ
المغروسِ فوقِ شَوَاهِدِ الأَمْوَاتِ . .
هل كان الرِّبَاطُ على ثَغُورِ المَوْتِ !!
هل كانتْ خَطَايَا وَشَيْجَةُ الرِّحْمِ التي
تَسْمَعُ الأصْوَاتِ فِي صَمْتِ التَّرَابِ . . لَعَلَّ
أُمِّي أَوْ أَبِي أَوْ إِخْوَتِي المَوْتَى يَشْقَوْنَ

الظلام ويسهرون معي على وهج الحرائق في

رميم الشرق !!

كان الليلُ تحت عَصَابَةِ العينين ينبض مَلَحُهُ المسنونُ
بالبرق المفتت والدخان ومشهد الموت الأخير:
طَاقَةُ الحاخام، طقسُ ذبائح الصبيّان، تابوتُ
الوصايا، الفيلقُ النّسويُّ، والكهانُ بالأبواق
يَمْرُجُ عيدهم في مشعر السعي،
الذبيحُ وأُمُّ رملٍ وصرخةُ حاصبٍ بين الصفا والمروة،
البثرُ المعطلةُ، القصورُ، ومرمرٌ يعلو فتعلو من
رخام الموت شاهدةٌ ومثدنةٌ يؤذّن فوقها الجزارُ:

Ave Maria (١)

ومريمُ كانت انكأَتْ تهزُّ النخلَ لا رطبٌ ولا لجمٌ
سوى الفولاذ منصهراً يَمْرُجُ يَهْطَلُ،
والدخانُ معارجُ الموتى وقافلةُ الحجيج ..

صوتُ المؤذّنِ من رفاتِ «العَامِرِيَّةِ»^(٢) طالعٌ متوضّعٌ
 باللحمِ والدمِ وانصهارِ الرملِ والقولاذِ بالموتى . .
 وأنتَ تَخُبُّ في عارِ النجاةِ تُقَلِّبُ الكفينِ من
 مقهى إلى مقهى ،

ومن عارِ الحداثيين في لغوِ القراءاتِ الدنيئةِ
 والضميرِ المسترقِّ ، من المهارشةِ الخصبيةِ ،
 من مصارعةِ الديوكِ على بقايا الغائطِ النفطيِّ
 و«التنوير» في ظلِ النعالِ . .
 وأنتَ في عارِ النجاةِ تَخُبُّ ،

والصوتُ المؤذّنُ رائقُ التَرْجِيحِ
 كان يُثَوِّبُ^(٣) الموتى فينبعثون من روحِ الظلامِ
 جماعةً ، يَتَقَطَّرُ الدمُ من وضوئهمو ومن
 قتلى الظهيرةِ في الميادين التي امتلأتْ كتائبٌ من

سَرَايَا الْأَمْنِ ، تَبْدَأُ رَكْعَةُ الْمَوْتِ الْمَعَادِ عَلَى
رَبُوبِيَّاتٍ لَا ظَوْغَلِي وَنَهْشِ الْكَهْرِبَاءِ عَلَى
الْمَعَاصِمِ وَالْمَحَاشِمِ . .
أَنْتَ فِي ذَلِكَ النِّجَاةُ مُقَدَّرٌ لَكَ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْ
تَعِيشَ عَلَى أَذَانِ الْفَجْرِ
فَاسْمَعْ ثُمَّ مِتْ وَاسْمَعْ وَقُمْ وَأَنْشُرْ
قِمَاطَ الْمَوْتِ وَاسْمَعْ . . كُلُّ مَا هُوَ كَائِنٌ
وَيَكُونُ أَوْ سَيَكُونُ مَتَكَيٌّ عَلَى لَيْلَيْنِ بَيْنَهُمَا
وَضَوْءُ الْعَامِرِيَّةِ وَالْأَذَانُ . .

تحت العَصَابَة كان وقتٌ من دمٍ،
والأفقُ مشتعلٌ بوهج حريقه الممتدِّ،
أنت تهزُّ رأسك . . تستفيق من المخدِّرِ وانتهاكِ الذاكرةِ
شيئاً فشيئاً . . تُخرجُ النهرَ المخبأً تحت جليلك،
والسمااءَ الأرجوانَ وخضرةَ القمر الذي
ينسلُّ تحت عصابة العينين . .
أيُّ سَكينة هذي التي ابتلَّتْ بروح الماء !!
جلَّجَلتِ المآذنُ، قلتُ: مسرَّجةٌ وحبةٌ ظلمةٍ في
خيطٍ مسبَّحةِ الدهورِ،
وغيمةٌ ترغُو أم الإبريقُ صلصلةً من
الظما المفضَّضِ في العراءِ ١٩
قلتُ: اغسلِ القدمينِ والرسغينِ، أطفئِ جمرةَ
الفولاذِ تحت أساور الصليب المحبِّك،

وارتختُ في القيد أطرافي ،
وكنْتُ أفيقُ من خلطِ المخدِّرِ وانتهاكِ الذاكرةِ
شيئاً فشيئاً . .

قبل أن تبتلَّ أطرافي انتبَهْتُ على فحيحِ الموتِ
يفهقُ في العصيِّ وفي كُعوبِ الأحذية :
- : قم ، طاطي الرأس ، استدر ، واصعد ، وقف .
كان الهواءُ رطوبةً وحرارةً وزُهومةً تعلو عفونتها ،
ورائحةُ الشواء كأنها تننُّ الخليقة في سهوبِ الموتِ ،
(تذكُرُ قولَ أمك : إن أسرابَ الطيور الطائرة
كانت ترفُّ قتيلاً ،

تهوي وتسقط من أعاليها إذا انفتقتُ نبالُ الرائحة
من جلدِ أيوب . .)

وكان القيدُ في الرسغين جمرًا نابضاً . .
- : هيته ، واحذر أن يموت «فعهدةُ الأفراد»
كاملةُ الدفاتر . .

كنتُ مشبوحاً وسلكُ الكهرباء على يديّ،
وكان برقٌ من وحوش الطير ينهش ظاهراً الكفين،
تُبشُّ ثم تُلَقَط . . .

لا دمي يكفي ولا يكفي طحينُ العظم،
(فانظر . . . هل ترى !! لا شيء يبقى من بلادك
غيرُ جبرِ العظم،

هل وطنٌ سوى هذي المسافة بين لحمك في

الجحيم وبين سلكِ الكهرباء !!)

تحت العصاة كان من مروِ الحجارةِ والرخامِ صدَى
يرفُّ بصرخة الموتى ودقات الطبول،
أممٌ من الأشباح تعلوها المشاعلُ

- كان وحشُ الطير يثرنى رماداً في مباخرهم -

وكانوا يُنشدون غوامضَ التّرجيعِ،

يبتعدون في الصخب الجليلُ

ناديتُ - بين تَخْلُعِ الرسغين والجمر المورث في
الأصابع -

أيها الموتى . . بحق قرابة الأشباح درويش من
الأموات يركض في سهوب الموت فانتظروا . .

الطبولُ بعيدةٌ،

تخبو المشاعلُ،

والظلامُ الحيُّ تنعسُ في عباته السهولُ . .

محركة لافلوجللي - سادس أذان للمضجر

الموافق ١٩٩١/٢/٧

رحلة الأنجب - القاهرة

١٩٩٣/٦/١٤

إشارات:

١- Ave Maria أو Ave Mary :

ترتيلة كنسية في تحية وتمجيد العذراء مريم ، وهي
الصيحة التي أطلق السفاح شوارتسكوف على
بركتها أول صاروخ في حرب الخليج .

٢- العامرية : ملجأ أو مخبأ العامرية في بغداد ، قُتل به
مئات المدنيين ، من بينهم أكثر من أربعمئة طفل ،
بصواريخ المجزرة الأطلسية في حرب الخليج .

٣- التشويب : هو قول المؤذن في صلاة الفجر : « الصلاة
خيرٌ من النوم » . وبهذه العبارة كنت أعرف أن يوما
آخر قد مر علىّ وأنا معصوب العينين تحت التعذيب
في « باستيل » مصر المعاصرة « لاظو غلي » .

وجوها يتنطفئ الدم

«قصيدة ليس من

طبيعتها أن تكتمل»

الراحلون همو أم أنت مرتحل
أم هم إقامة ظن في مرابعه تسفي الرياح
فلا صيد النميمة يمتد الكلام به ،
والصمت محض شتات الروح في دمن الأحقاب
ياملكا ييكى على عتبات الشعر :

هل نغم إزميله دمه ١٩
هل طينة جبلت تفعيلة لججا والبحر مرتجل :
هذي خرائب ما تحوى المعاجم مما خلف السلف
هل أبجديتهم كانت ستعصف صلصالا إلى
الأفق الأعلى

وقبل بدايات الرؤى انعصفوا ١١

هل هذه لغة

أم أنت آخر لغو الناطقين بها
أم أنت من ظما الأجداد هممة قبل الكلام
وبرق في سلاله طين سوف ينكشف ١١

فاخرج أمير بلاد بت تنكرها

واخرج أمير قواف

من نشائدها يرقض وحي هجاء طالما

استترت من شمسه الجيف

واساقط الكفن المعقود من خرق الأحلاف ألوية:

مجد ولا شرف،

والشعب تحت عراء العار يرتجف ١١

قد يسلم الترف المأبون في زمن ديوثه الصحف.

ها أنت تحت سياط الكهرباء وبين القيد والظلمات السود

.. : تعترف؟

.. : إن الكلاب ملوك، والملوك دُمى،

والأرض تحت جيوش الروم تنجرف..

فاخرج طريد بلاد كنت تحرثها

حرث العبيد،

وغادر إرثها مدناً مجدورةً بعشاش النمل
ساطعة الفجر الكذب بكلس الزيف والسغب
وامسح جبينك بالنسيان واقتدر المنهل من
دمك النضاح :

راعف من بعد ما عصبوا عينيك يُتطف
فالعين يملؤها من ومضه السرب
أشباح ما عشق المشبوح من بشر ولوا ومن كتب :

«عدّاس» يمنح مجروحاً على ظمأ هدياً من العنب
والكرمة انفرطت ظلاً ومس ندى

والجرح ملح دم . فالضوء بارق ومض في
لعالعه تهوي مخايل حناء وصرخة آيات
تجلجل ثويباً ومرحمة في صوته الرطب .

أفق النجيع ، ورأس من تشهد

رَتَّقُ الْغُيُومَ وَرَجَعُ الْمَاءَ فِي السَّحَابِ
كَانَ الْحُسَيْنَ . .

وَكَانَتْ خُطْوَةُ الشَّجَرِ الْمَكْتُوبِ فِي دَمِهِ
تَهْوِي . . فَأَلْقَفُ نَسْغًا مِنْ بَرَاعِمِهِ .

شَيْخُ الْقَوَائِلِ مِنْ «دَلْفِي» إِلَى شَغَبِ الْغَوْغَاءِ
مُرْتَهَنٌ، يُصْغِي إِلَى صَخْبِ الْأَمْوَاجِ عَلَى صَدْيٍ مِنْ
هَوَاقِفِ مَوْعِدِهِ

يَذْوِي فَيُطْلِقُ أَسْرَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ:
نُبْلُ الْإِشَارَةِ ضَوْءٌ شَعَّ مِنْ يَدِهِ
وَالشَّيْكَرَانُ بِكَأْسِ السَّمِّ ذَوَّبٌ رَدِيٌّ
يُصِفُو التَّذَكُّرُ فِي مَسْرَاهُ

فَالْأَزْلُ الْمَطْمُورُ مَنَكُشَفٌ فِي شَرَفَةِ الْأَبَدِ
زَحْرَحَتْ فِي هَلَعِ النَعْدِيبِ قَيْدَ يَدِي

فأشْتَدَّ . . . وأنهدمتُ - في قطرةٍ علقتُ تحت الجفون -
سماؤُ
الله . . . فالتفتُ رأسَ القَتيلِ جروحُ الصَّدْعِ في كبدي .

والشيخُ يرقدُ في خُرْجِ الأتَانِ
وعَدَلِ الجَنَّةِ أنهدكتُ أسْفارُهُ ،
فمتونُ الشرحِ صامتةٌ ،
والفقهُ يذمَعُ في راحاتِ «قرطبة»
ليستُ تُكفِّفُهُ إلا سياحةُ «محيي الدين» بين
فتوح الروح واللهبِ المكنون تحت جلالِ الخلقِ
من

شَرِقَ بالرملِ أو بهطولِ الماءِ مُتَّقِدَ
شَقَّتْ يداهُ قِماطَ الموتِ فاندلعتُ نارُ البَدَارَةِ في
رَقٍّ «المقدمة» . . . استصْرَخْتُ مُلِحَ دمي :
هذي الدماءُ إلى يومِ القيامةِ ؟ !

قال «النفريُّ»: أجلُ
 «ياربِّ همَّ تبسُّتُ الليلَ ساهرةً
 عينُ الفستى منه والآراءُ في خُلْفِ
 إن رَامَ هُدًى أثارَ الهمَّ هَدَاتِهِ
 أو رَامَ وَقفاً على الأشجانِ لم يقفِ
 حيران لا يتهادى بين عزِّمته
 إلا عَمَى مثل جُنْحِ الليلِ ذي السُّدُفِ»

فاخرج بعريك لا تأمل ولا تخف
 وادراً بيأسك ما كان الزمانُ به يُغوي ويُوهمُ
 واركضْ في هجيرِ سرابٍ طالما التمعتُ منه
 السَّمَادِرُ أعلاماً مرفرفةً في الأفقِ
 يا ملكاً يكي على عتباتِ الشعرِ:
 هل نغمٌ إزميله دمه!!
 واركضْ . . فإن قلاةَ الروحِ واسعةٌ

والموتَ ظَنِّي قَوافٍ رَِبا انْفَتَقَتْ مِنْهُ الجَوارِحُ
فِي عَينِكَ فَانْهَمَلْتُ هَذي الوجوهُ
-: فَهَلْ هَذي الدماءُ إِلى يَومِ القِيامَةِ ؟
قالَ الرَاحِلونَ : أَجَلٌ . .
فاعرُجْ إِلى شَفَقِ دامي السَحائبِ
واهْطَلْ كَلِما انْثَرَتْ بَينَ السَلاسلِ
والجِلاَدِ
قَافِيَةٌ . .

حجَز لَاطو غَلي ١٢/٣/١٩٩١

مَعتَقِل طَرة

رَملة الأَنجَب

١٩٩١/٨/٧

إيقاعات الوقائع الخنومية

«اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَا أَحْسِبُكُمْ»

وَلَا أَلْمُكُمْ وَلَا أَتَحَبُّونِي

لَوْ تَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَرَوْا شَارِبُكُمْ

وَلَا دَمَاؤُكُمْ وَجَمْعًا تَرَوْنِي»

— ذُو الْأَصْبَعِ الْعَدُوَانِي —

كَيْفَ هُنَاكَ :

يَتَنَخَّلُ الْوَطَنُ فَتِيَّتَهُ الطَّالِعِينَ مِنْ عَكَارَةِ

الْبَلْهَارِ سِيَا وَصَمَمِ الْأُمِيَّةِ وَحَيَوَانِيَةِ الْجُوعِ

وَرَهْبَةِ الْعَبِيدِ وَطَاعَةِ الْإِمَاءِ وَجَبْرُوتِ الْوَحْشِ ،

ثُمَّ يَنْتَقِي :

أَجْسَادُ قُدَّتْ مِنْ صَخْرَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى قَالِبٍ وَحِيدٍ

فَلَا اسْتِثْنَاءَ فِي شَيْءٍ

وَجُوهٌ مَسْفُوعَةٌ بِصُفْرَةِ الشَّمْسِ الْمَعْتَلَّةِ

وَغَبَارِ الْأَحْدِيَةِ

عيونٌ تختلط فيها حمرةٌ بصفرةٍ براوق البن المتخثرِ
ولا يشبهها شيءٌ إلا عيون الكلاب الميتة في
مجرور النهر ومستنقعات الشنِّ الدهريِّ
كان «خنوم»^(١) كان يدخرها في فواخير الألفية
حرساً سرمدياً لفراغة كلِّ الدهور
وسوى خنوم لا آلهة هناك !!

- : ما الأسماءُ الصريحةُ لرفاقتك الإلهابيين :
سقراطُ وابنُ رشدُ والسَّمندلُ^(٢) والنفريُّ
وأورفيوس^(٣) والسعلاةُ^(٤) . . إلى آخر ما وجدنا
في أوراقك من أسماء حركية ١٢

- :

- : سنعرف كيف تنطق حين نواجهك باعترافاتهم
صوتاً وصورة . .

وحين وُجِهُتُْ بتقارير المخبر أفلاطون،
وجدالات التهاقُتِ ومناهج الأدلة، ونار الطقسِ
المبدئِ المعيدِ، وبشارة الإيدان بالوقتِ،
والملابسِ الداخلية لأوريديكي^(٥)، ورْمَزَمَة
السُّفادِ في بوادي الجنِّ،
وسمعتُ تسجيلاً لصرخات الهلع من زرقاء اليمامة
اعترفتُ بأدقِّ التفاصيلِ . .

العنكبوتُ كأنه وركٌ^(١٦) يدبُّ إلى مراعي الضَّانِ ،
خيَطُ من سُعاع الشمس يقطعه إلى نصفين ،
فالأطرافُ تنبض بالدم القاني وتترك نقشَ
رقصتها الذبيحة في سقوف الأرضِ ،
نسجٌ هلهلته الريحُ في أفق البلادِ
كان المماليكُ العتاةُ الأقدمون المحدثون
يَتَنَزَّلُونَ خلائفًا من هيلمان الجوع والفوضى ،
وفي أفق المدينة
نافورةٌ تعلو وتنفّسُ امتداداتُ الهواجرِ في
انتشار رمادها في الريحِ ،
والأجواءُ تَبْرِقُ ،
هذه الشمطاءُ عاريةٌ . تفحُّ جدائلُ الدخان والحياتِ

هذا المغزَلُ الكونيُّ من نُذُرِ القيامةِ أمْ
هو العَصْفُ الذي تنحلُّ فيه الروحُ والرُّوْيا
وتنحلُّ البلادُ

جميزةٌ تتغاصَّنُ الأهوالُ والكسَفُ المضِيئةُ والظلامُ

بشكلها الممتدُّ في الأفاقِ ١٩

هل كانت بلادك أمْ جنونك... هذه... ١٩

أم أنت من فجرِ الخليفة لازِبُ الطينِ المقدَّرِ

للغوايةِ والجنونِ

متقلَّبُ الأشكالِ بين يدي «خنوم»

طالعٌ من وقْدَةِ الفاخورةِ العظمى،

ومُصْطَفُ صُفُوفًا كلما بليتْ أعيَدَتْ في بَراحِ

العصفِ والخلقِ الرَّمِيمِ المستعاذِ ١٩

- : اخلع ثيابك . .

(لفحةُ الخوفِ المشوَّشِ بالحياءِ وزمهريرِ الفجرِ،

صفان خنوميان تلمع في أكفهما عصي الخيزران،
 وحارسان يصلصلان برجفة الجنزير:
 كلب في علو البغل يُقعي، آخر في
 هيئة الوحش الخرافي اشْرَابٌ . .
 . أدِرْ إلى الجدران وجهك . . لا كلام ولا تلفت . .
 (لا كلام سوى دوي الإرث من
 ليل القراءة في دم التعذيب، والهول المؤبد
 في بلادك والخنوميين في منفى التواريخ التي
 أبقت دم القتلى يبيد ويستعاد.
 هل كل مجدك يا خنوم
 هذي الدُمى الفخار تذروها الهشاشة في
 رياح السجن والتعذيب من جيل لجيل
 حشداً يكسر بعضه بعضاً فلا يبقى سوى
 دمن الوجوه ورهزة الغوغاء والأم الطلول !!)

حَدَّثْتُ فِي وَسْخِ الزَّجَاجِ فَرَوَعَتْنِي نَظْرَةُ «الشَّخْصِ»
المُحَدِّقِ،

عَنْكَبُوتٌ مُلْهِمٌ فِي الرُّكْنِ يَبْنِي ثُمَّ يَهْدِمُ
فِي انْتِظَارِ الصَّيِّدِ .

(أَيُّ فَرَّاشَةٍ سَتْرَفُ أَيُّ ذَبَابَةٍ سَتَحَطُّ مِثْلُ
دُمِّي الْمُخْتَرِّ فَوْقَ مَنْسُوجِ الْجَوَارِحِ وَالْعُرُوقِ ۱۱)
فِي نُوبَةِ الْبُوقِ النُّحَاسِيِّ اسْتَجَاشَتْ رَهْبَةً بَيْنَ الْمَفَاصِلِ
- : إِنَّهُ «الْبَاشَا» وَبُوقُ الصَّبِيحِ فِي «عَرَضِ التَّمَامِ» .

شعبٌ خنوميٌّ، وجيشٌ مشترى من صيد نخاسين،
والباشا يقدم في رطائنه جلايبه^(٧) :

الطواشي، القضاة المخبرين، السادة الخصيان،
أعيان التسوّل، جلعلوت المنبريات الزواني،
البرزرميط^(٨) المدعي . .

درعٌ من الشرق المفتت
والسيوفُ مباعَةٌ كي يملك الغربُ الرقاب
بين الرميّةِ وانفساحِ القلعةِ انتشرت وحوشُ الطير . .
(إن دم الذبائح يستثير الطير قبل ملاحم الموت)
البنودُ على رءوس الجند
(هل يدري الخليفةُ أن هذا السيفُ مرتهنٌ : معهُ
زمنًا، وأزمةٌ عليه ١١)

-: طاطىء ولا تنظر وراءك واحتبس أنفاسك .

(الزمن انفجارُ الرعب . . هل سيمزق الكلبان

لحمك من وراء أو أمام !!)

في الركن . . كان العنكبوت

من مغزل الدآبِ المجنحِ بالغرائز وانتظار الصيد يبني ثم
يهدم

(هذه كانت حدودُ «العبقريّة في المكان» :

سجنٌ وجلادون ، أدوارٌ الخنوميين ما بين

الهزائم والخراب

في الأرض من أقصى غوايات القناصلِ وابتياحِ

السيفِ حتى الموتِ في ختلِ الكلام .)

ليلٌ وكأسٌ من دم الموتى ترُبُّ به البلادُ رفاتِها،
ورخامٌ عرّافين ينشر من جعارين الكتابة جيشه السحريُّ
فالطينُ المقدّرُ فوق نار من تعاويد الرُقَى يغلي
وينضجُ لحمه الدهريُّ جارحةً فجارحةً
فَيَصْطَفُ الخنوميون
(هل يدري الخليفة أن هذا الحشدُ مُخْتَلَقٌ
وأن السيفَ مرتهنٌ: مَعَهُ
زمنًا، وأزمةٌ عليه؟)
الشمسُ جمرٌ ذائبٌ في أعين الموتى،
فلا استلموا ولا طافوا ولا انتسبوا لزُمرةِ السلالةِ
فالجزيرةُ صَفْصَفٌ والرملُ مشويُّ،
سرابٌ من دم الفصحى يرفُّ على مياه البحرِ،

ترتيلٌ من الملح العصي يؤجُّ في لحم المصاحفِ
ثم يترقُّ في اندلاع الخبرِ
ثم يدبُّ في رمم القراءات الحريقِ
ويعفرمُ^(٩) الباشا ويضحكُ،

ثم يبتعثُ البريدَ على ظهور الخيل بالبشرى
(فهل يدري الخليفةُ أن هذا النصرَ أولُ ذُبْحِهِ !!
ضربتُ^(١٠) كلابُ الصيدِ فانتظر المواسمَ . .)
عفرمَ الباشا وفهقه . .

والخنوميتون محضُ فكاكةٍ حُبلى بشمسٍ
من صديد الجرح ، ينسلون عبر البحر والصحراء ،
ينتشرون في جوع القرى كالقملِ والبلهارسيا
والنهرُ موالٌ من الدمعِ المقطرِ في الظلام . .

ضَرَيْتُ كِلَابُ الصَّيْدِ . .

صِيَادُونَ مِنْ كُلِّ الْبِلَادِ تَحْلَقُوا

فَوْقَ الْحَشَايَا وَالزَّرَابِي الدُّمُقْسِ :

حَثَالَةُ الْمَاسُونِ ، تَجَارُ ، جَوَاسِيْسُ الْقَنَاصِلِ ،

بَاعَةُ الْوَهْمِ ، السَّمَّاسَةُ ، الْمَرَابُونَ ، الْحَجِيجُ

وُثْلَةُ التَّجْوَالِ بِالسَّمِّ الْبَطِيءِ ،

وَشَيْشَةُ الْبَاشَا تَكْرُكُرُ أَوْ تُعَقَّرُ تَحْتَ تَلِّ الْجَمْرِ

وَالْتَمْبَاكِ وَهُوَ عَلَى الْأَرِيكَه غَائِبٌ فِي

حَلْمِهِ الْأَمِيِّ بِالْجَبْرُوتِ وَالسُّلْطَانِ . .

حَاشِيَةُ الْحَثَالَةِ فِي طَقُوسِ الصَّيْدِ هَرَّاجُونَ بِالْفَوْضَى

وَمَحْبُوكُونَ فِي لَغْوٍ مِنَ الزُّورِ الْمَضْفَرِّ ،

إِنْ فَيَضُ السُّوقَ مِنْدَفِقُ :

طرايشُ العبيد، وَيَشْمُكُ السَّبْيُ البغيُّ، وَمَسْبُكُ
الفولاذ، والبارود، سمسرةُ التراجم، خطةُ
الحرب،

الطواقمُ من قيادات الكتائب والسفائن . .
جنةُ الإستبرقِ البرسيم، والخيْلُ المطهمةُ الصهيل،
وطينةُ الوادي استجاشت تحت شمس الجوع والخبَلِ
الخنومي . .
الحنالةُ والجلائبُ والجواسيسُ القناصلُ قادةُ
للزحف،

تخبو شيشة الباشا فيهرعُ أمردُ بالجمر والتмбаك
وهو مُعَقَّرٌ ومكر كُرُ بإشارة الحرب الدنيئة . .
والخنوميون أوبئةٌ وجوعٌ بين وقد الرمل في
آسيا وبين الثلج في البلقان . .
يا ربي أمان . .

كانت جعارينُ الكتابة والرُّقى ينحلُّ فيها السحرُ والنفتُ
الخنومي:

الفلولُ وآخرُ الموتى وقطعانُ الخنوميين ترجع من
ظلام النصر والفوضى إلى الوادي وماء النهر
ثم تُعيدُ سيرة طينها دهرًا فدهرًا . .
آه يا ربي أمان . .
- : البس ثيابَ السجن ، لا تنظر وراءك ،
لا كلام ولا تلفت . .

(لا كلام سوى دوي الإرث من ليل القراءة في
دم التعذيب والهول المؤبد في بلادك والخنوميين
في منفى التواريخ التي أبقت دم القتل يبيدُ
ويُستعاد . .)

معتقل طرة ١٢/٣/١٩٩١

رملة الأنجب - القاهرة ٢٦/٤/١٩٩٢

إشارات:

١ - خنوم : إله صناعة الفخار وتشكيل الطين في مصر القديمة .

٢ - السمندل : حشرة خرافية يقال إنها تعيش في النار .

٣ - أورفيوس : شاعر أسطوري من تراقيا كان لشعره وموسيقاه أثر سحري على الكائنات ، تشكلت باسمه نحلة وتنظيمات سرية من أهمها جماعات الفيثاغوريين .

٤ - السعلاة : حيوان خرافي متوالد من سفاد الجن مع الحيوانات .

٥ - أوريديكي - أوريديس : حبيبة أورفيوس .

٦ - الورل : حيوان صحراوي زاحف ، يقول البدو إنه يلف ذيله المكون من عقد قوية حول سيقان الأغنام ويرضعها حتى يدميها .

- ٧- الجلائب، الجلب : العبد والماليك .
- ٨- البزرميط : عامية شائعة تعني خليط البشر المهجنين الذين لا يعلم لهم وطن أو أصول .
- ٩- عفرم يعفرم عفرمة : اشتقاقات شخصية من لفظة الاستحسان التركية «عفارم» .
- ١٠- ضربت : أصبحت ضارية متوحشة .

الإخوة الخمسة

تهبُ شماليَّةٌ من أصيل الصِّبَا ،
والسُّهوبُ امتدادٌ لمروحة العشب ،
تبطيُّ تحت جُسورِ « بني سوَيْفٍ » خطوةٌ نيلٍ
تذوبُ به الشمسُ في صفرةٍ حائلةٍ
وغيمٌ نديفٌ تشبُّ به جمرةٌ من أذان الغروبِ ،
وفي الركنِ طبليَّةُ العائلةِ
عليها نقيعٌ من الثَّمرِ تَنَدَّى أباريقه ،
وهي لائبةٌ تتلفَّتُ حول المداخلِ
لا خطوُّها يرتخي بالوضوءِ
ولا شَبَكُ الصيدِ فوق مناشره منبىٌّ بالخطى .
بالوصيدِ ارتخى رأسُ كلبهمو واشترأبتُ معاطسُهُ .
علَّ رائحةَ الخطوةِ الموحلةِ
نفوحُ اشتهاءِ أثَّما
افتَرَشَ الشيخُ سجادةً من نسيجِ القلوعِ المرتقى ،

وَامْتَشَطَ اللَّحِيَّةَ الْمُرْسَلَةَ

بِكَفْيِهِ لِمَلَمَ ذَرَوْ السَّعَوِطَ بِعَلْبَتِهِ،

اسْتَعْرَضَ الْأَفْقَ . .

هَمْ خَمْسَةٌ . . فَلَا يُيْهِمُو أَنْشَقَ إِرْثُ الرِّضَاعَةِ

وَاصْطَرَخَتْ شَهْقَةً ثَاكِلَةً

وَوَلَوْتَ الدَّمْعَةَ الذَّاهِلَةَ !

وهم خمسة . .

وقفوا في اصطفاف الصلاة بزئانة السجين :

أَوْجُهُهُمْ مِنْ نَقَاءِ الْحَلِيبِ وَعَافِيَةِ الدَّمِ،

أَصْفَرُهُمْ قَالَ: شَيْخَكُمْ فِي أَنْتِظَارِ الْأَذَانِ،

السَّعَوِطُ بِعَلْبَتِهِ لَيْسَ يَكْفِيهِ سَهْرَتُهُ،

اغْتَسَلَتْ أَحْرَفُ الْآيِ بِالدَّمْعِ . .

كَانَ الْهَلَالُ تُعْرَجُهُ الْغَيْمَةُ الْآفِلَةُ

وَتَرْتِيلَةُ الدَّمْعِ تَرْغُورُغَاءَ الْجَنَائِبِ،

والمُعْصِرَاتُ انْعَقَدْنَ حَنَانًا مِنَ الْوَحْيِ
وَاللَّيْلُ فِي إِثْرِهِ اللَّيْلُ . .
كَلْبُهُمْ بِالْوَصِيدِ اشْرَأْبَتْ مِعَاطِسُهُ :
خَاتَلَتْهُ الرُّؤْيُ . . فَالطَّرَائِدُ
بَارِقَةٌ وَالسَّوَانِحُ سَائِبَةٌ فِي مَدَى الدَّوِّ ،
رِيحًا مِنَ الرِّيحِ يَطْوِي الْمَسَافَاتِ :
عَمَقُ السَّمَاءِ نُبَاحٌ
وَمُتَّسَعُ الْكَوْنِ ضَبْحُ الْعَوَاءِ الْمَرْجَعُ ،
فِي الْفَجْرِ يُلْقِي طَرِيدَتَهُ بِالْوَصِيدِ :
هَرِيرٌ مِنَ الْغَضَبِ الْمُسْتَبَاحِ ،
وَكَانَتْ صُدَيْرِيَّةٌ يَتَوَقَّدُ بَيْنَ زُخَارِفِهَا
مَا تَبَقَّى مِنَ الدَّمِ وَالصَّرَاخَةِ الزَّكْرِلَّةُ . . .

١٩٩١/٤/١٣

معتقل طرة

هذا الليل يبدأ

دهرٌ من الظلمات أم هي ليلةٌ جمعتُ سوادَ
 الكحل والقطران من رَهَجِ الفواجع في الدهور !!
 عيناك تحت عَصَابَةٍ عُقِدَتْ وساخت في
 عظام الرأس عَقْدُهَا،
 وأنتَ مجندلٌ - يا آخر الأسرى . . .
 ولست بمفتدى . .
 فبلادك أنعصفتُ وسيقَ هواؤها وترايبها سيياً -
 وهذا الليل يبدأ،
 تحت جفنيك البلادُ تكوِّمتُ كرتين من ملح الصديدِ
 الليلُ يبدأ
 والشموسُ شَطِيئَةُ البرق الذي يهوي إلى
 عينيك من ملكوته العالي،
 فتصرخُ، لا تُغاثُ بغير أن يَنحَلَّ وجهُكَ جيفةً
 تعلو روائحها فتعرف أن هذا الليل يبدأ،

لست تُحصي من دقائقه سوى عشر استغاثات
لفجر ضائع تعلو بهنَّ الريحُ جلجلةً
لدمع الله في الآفاق . .

هذا الليل يبدأ

فابتدئ موتاً لحلمك وابتدعُ حلمًا لموتك
أيها الجسدُ الصبورُ
«الخوفُ أقسى ما تخافُ» . . ألمْ تُقْلُ؟!

فابدأ مقام الكشف للرهبوت

وانخلُ من رمادك، وانكشفْ عنك،
اصطفِ الآفاق مما يُبدع الرخَّ الجسورُ . .

١٩٩١/٢/٢٧

معتقل طرة

زفرة البدء والمنتهى

* كيف تنفخ - أيها الشاعر - فى ناي الدهشة والغضب ،
وقد ترصدتك لدائن الأشبساح التي لا تفنى
ولا تستحدث ،

وكيف ترهف السمع للصدى ولا فضاء هناك
وكيف يتسلق خيالك نخلة لا يعلو جذعها غير ليف
الصرخات ولا يتهدل غير تمر الخرز الساقط

من جيد الأم الذبيحة
ولا رمل هناك ولا رجز رعاة ينجدل بحنين النياق حتى
تغدو القصيدة جاهلية !!
* كيف وهناك :

لا هو فى السماء فيفعل بهم فعل القدرة
فتنقض أسماؤه بالصاعقة إذ يفعلون بالخلق
فعل السدنة المتحلقين حول أبواب الجحيم

ولا هو في الأرض فيفعل بالخلق فعل النار بالقش فتنفخ
رياحه بجمرات الغضب في الأحطاب.. الرقود
* كيف و«هم» شهود غيابه إذ يستلّون ما نفخ في الخلق
من روحه المطلول بالبشرى ومرحمة الأسماء والندى *
وكيف هو لا في وعد ولا وعيد
إذ هم مطلق الفعل وخالص اليقين ولا أسئلة هناك !!

كان يختل لك في هوى من الهلوسة والحلم
فترتعد في شبكته ارتعاد سمكة الروح الحية في مجمرة
الحواس .

رقم الإيداع ٩٨/١٠٣٠٧
الترقيم الدولي 1 - 0482 - 09 - 977

مطابع الشريعة

القاهرة: ٨ شارع سيوفه المصري - ت. ٤٠٢٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت: ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)

To: www.al-mostafa.com